

الفَوْتَلَى

٢٢ - ٢١



سلسلة الشيخ  
الدكتور محمد الصادري

# الفروض

في تفسير القرآن  
بالقرآن والسنّة

شُرُكَاءُ الْأَجْنَانِ شُرُكَاءُ سَبَبِيٍّ شُرُكَاءُ قَطْلِيٍّ

دار النواث الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان



سورة الأحزاب مدنية

وآياتها ثلاثة وسبعون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ (١)  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفِي بِاللَّهِ  
وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبِهِنَّ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الْلَّائِي نُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ  
أُمَّهَاتُكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذِلِّكُمْ فَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي  
السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ  
وَمَوَالِيَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا  
﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ﴾ (٥)

أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاكُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِسَبْعِينِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْ أُولَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيشَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيشَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)

الحزب جماعة فيها غلظ وتماسك مهما قلت أو كثرت فعدة التماسك هي ركناها دون عدّة المتماسكين فإنها زيادة في عدّهم ، فقد تكون جماعة كثيرة وليس حزباً لعدم الغلظة التماسك ، أو قليلة هي حزب للغلظة التماسك ، فهذه حزب دون تلك مهما كانت حزب الرحمن أم حزب الشيطان ولم يأت الحزب في سائر القرآن السبعة بخير إلّا في المائدة : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦)

والجادلة : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) وفي الكهف : ﴿لَمْ يَعْتَدُهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْجِنِّينَ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (١٢).

لم يأت الأحزاب الإحدى عشر فيه إلا بشر ﴿كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (٤٠) : مما يدل على أن في عديد الأحزاب شرًا قضية الاختلاف وإن كانوا من حزب الله : ﴿فَخَتَّلَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَلَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْآيِمِ﴾ (٤٢) :

(٦٥) فإنما الاختلاف والاختلاف في حزب الشيطان ، وحزب الله واحد : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّلُنَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٦ : ١٥٣) ... ولا تكونوا من المُشْرِكِينَ . منَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢ : ٣٠)

﴿فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢٣ : ٥٣) ! وهؤلاء هم أهل كتاب واحد وأمر واحد فتقطعوا أمرهم بينهم ..

والأحزاب ثلاثة ، هنا في الأحزاب كلها حزب الشيطان ، ولذلك تسمى سورة الأحزاب مستعرضة سيرة الأحزاب وثورتهم وسريرهم ، ولكن يتباهي المؤمنون فيتماسكوا قدر المستطاع في حزبهم الواحد «حزب الله» : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾ ! وأهم تمسك بين أفراد يجعلهم حزبا هو العقائدي الذي يخلق على كافة الوحدات والطبقات سياسياً واقتصادياً وثقافياً أماداً ، وفي قمتها التوحيد حيث يوحد بين قطاعات عظيمة بشريّة يجعلها حزب التوحيد ، ومن ثم الرسالة الإلهية ، فأحرى بال المسلمين أن يكونوا حزبا واحداً هو حزب الله مهما اختلفت درجات إيمانهم وسائر ميراثهم وفوارقهم حيث تظل تحت ظل الإسلام وحدة متماسكة وصفاً متراصاً لهم قوائم الصارمة ضد الأحزاب الكافرة ، وحين لا نجد أي حزب في صارم الوحدة من كل الجهات إلا وحدة جانبية

سياسية أو اقتصادية ، وهم احزاب لهم قواهم بما تجمعوا ، فلما ذا لا نتوحد نحن المسلمين في حزب الله ، وكل اختلاف وراء العقيدة تتوحد على ضوئها أم تذوب؟!  
ولماذا نختلف في أحزاب متعارضة متباينة لأهداف سياسية مختلفة أما فيه ، تحليقا  
لسائر الوحدات على الوحدة العقدية الإسلامية؟ تلك إذا قسمة ضيزي! .

ف لأن الله واحد وشرعيته واحدة فحزب الله واحد ، وعديد الأحزاب بين المسلمين دليل تخلفهم عن شرعة الله ، أو تفضيلهم سائر الوحدات على الوحدة الإسلامية السامية ، ألا **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** فلا مبرر لأي اختلاف بعد الوحدة الإسلامية :  
هذه السورة تبدء بتحذير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» عن الأحزاب الكافرين والمنافقين ، وأمره باتباع ما يوحى إليه والتوكيل على الله ، ثم تتناول قطاعاً واقعياً من حياة الكتلة المؤمنة في فترة تمت بعد بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، بازدحام الأحداث خلال هذه الفترة ، والتنظيمات التي انشأها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبني الدولة المجيدة الإسلامية واستمراريتها المعصومة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كما تتبناها آية التطهير ، وبطيات سرد النظم الحديدة يستطرد الحديث عن غزو الأحزاب وبني قريظة وموافقي الكفار والمنافقين واليهود والمرجفين في المدينة ودسائهم وسط الجماعة المؤمنة!

ثم وفي السورة نبذات هي نبضات في هذه الحياة الجديدة تثبّتاً لبعض التقاليد مع إصلاحها ، وتبييداً لأخرى كالمظاهره والتبني ، وإخضاعاً للأمة للشرعية الجديدة الماجدة.

وسمة الأحزاب هي هذه الحاضرة لدينا ، دونما زيادة عليها أو نقيصة عنها ، أو تقديم الآية أو بعضها أو تأخير كسائر السور بأسرها في حصرها لآياتها جملات وآيات ، خلاف ما يهرب به من لا يعرف ، تحريفا فيها بنقيصة أماهيه؟<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٣ ح ١ في كتاب ثواب الأعمال باسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيمة في جوار محمد (صلى الله عليه وآل وسلم) وأزواجه ثم قال : سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم يا ابن سنان سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها».

أقول : ليضرب هذه واضرها عرض الحائط لمخالفتها في بعدين بعيدين لكتاب الله ، آية الحفظ واضرها ، وإنما تخالف القرآن المتواتر الموجود ، وأحاديث العرض تضرها عرض الحائط ، وترى كيف بالإمكان أنما (٧٣) كانت أطول من البقرة وهي (٢٨٦) آية فتنقص منها أكثر من مائتين ما عرفها إلا ابن سنان دون المسلمين الحضور زمن تأليف القرآن ، ولم يكن يجرأ مثل الخليفة عمر أن يترك الواو الثاني في ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِخْسَانٍ﴾ حيث صرخوا عليه اين الواو يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم) ، فلم تكن تهمة التحريف وبهذه الوسعة الشاسعة إلا الأهرطة إسرائيلية وما شاكلها!

وفي الدر المنشور ٥ : ١٧٩ مثله كالثاني : وخرج عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن احمد في زوائد المسند وابن منيع والنمساني وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف والدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن زر قال قال لي أبي بن كعب كيف تقرئ سورة الأحزاب او لم تتعدها؟ قلت ثلاثة وسبعين آية فقال أبي : قد رأيتها وإنما لتعادل البقرة وأكثر من سورة البقرة ولقد قرأتنا فيها «الشيخ والشيخة إذ زينا فارجوهما البتة نكلا من الله والله عزيز حكيم» فرفع منها ما رفع ، وخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس قال : امر عمر ابن الخطاب مناديا فنادى ان الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا ايها الناس لا تجزعن من آية الرجم فانما آية نزلت في كتاب الله وقرأنها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد وآية ذلك ان النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) .

بدايتهما مسك بمسك التقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ ...﴾ وختامها مسك بمسك التوبة» ويتواب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا

. قد رجم وان أبا بكر قد رجم ورجحت بعدهما وانه سيجيء قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم.  
أقول : لو كانت آية الرجم من كتاب الله وعمل بما منذ الرسول الى عمر فكانت . إذا . معروفة لدى حفاظ القرآن وسواهم فلما ذا لم يثبتها عمر ، وفيه أخرج احمد والنسيائي عن عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن خطاب خطب الناس فسمعته يقول : الا وان أنسا يقولون ما بال الرجم وفي كتاب الله المجلد وقد رجم النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ورجمنا بعده ولو لا ان يقول قائلون ويتكلمون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لاثبتهما كما نزلت.

أقول : أضحك به وأغرب ومن الغريب أنهم ينسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تحريف آية الرجم ، كما أخرج النسيائي وابو يعلى عن كثير بن الصلت قال : كنا عند مروان وفيينا زيد بن ثابت فقال زيد ما تقراء «الشيخ والشيخة إذا زينا فارجوهما البتة»؟ قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ابني آية الرجم قال : لا أستطيع الآن ، هذا وقد أخرج ابن الضريس عن أبي امامه بن سهل بن حنيف ان خالته أخبرته قالت لقد اقرأنا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زينا فارجوهما البتة بما قضيا من اللذة»! ثم نرى نقبيه فيما اخرج ابن الضريس عن عمر قال قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لما نزلت آية الرجم أكتمنها يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال لا أستطيع ذلك ، واخبر ابن الضريس عن زيد بن اسلم ان عمر بن خطاب خطب الناس فقال : لا تشکوا في الرجم فانه حق قد رجم رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ورجم ابو بكر ورجمت ولقد همت ان اكتب في المصحف فسأل أبي بن كعب عن آية الرجم فقال أبي : السنت أتيتني وانا استقرئها رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فدفعت في صدري وقلت أستقرئه آية الرجم وهم يتسامرون تسامر الحمر؟» أقول فاقض العجب من هذه المطرقات المتناقضة وتبرء منها الى الله!

رحيمًا» وبينهما رائحة المسك في توجيهات تبني تقوى الله والتوبة عن الطغوي!

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا١ وَاتَّبِعْ  
مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا٢ . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُفِّرْ بِاللَّهِ  
وَكَبِيلًا﴾ (٣).**

يرسم في هذه الثلاث تحذية السلب : **﴿اتَّقِ ... لَا تُطِعِ﴾** وتحذية الإيجاب : «واتبع» ثم يتبعهما بسياج التوكيل على الله في كل سلب وإيجاب ، ليرسم حياته الرسالية كلها بكلمة **الإخلاص ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾**!

وإنما آية فريدة منقطعة النظير ، آمرة بتقوى البشير النذير ، لأن موقفه من الكافرين والمنافقين خطير خطير ، وهذه تقوى سياسية تجنبنا عن أن يدلوا بمواعيدهم العسلة ، كان يرفض ذكر آهتهم حتى يدعوه وربه <sup>(١)</sup>

(١) في الجموع نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وطعمه بن أبيق فدخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا يا محمد! ارفض ذكر آهتنا اللات والعزى ومناة وقل : ان لها شفاعة من عبدها وندعك وربك ، فشق ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عمر بن الخطاب أئذن لنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتلهم فقال : إني أعطيتهم الأمان وامر (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخروا من المدينة ونزلت الآية **﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾** من أهل مكة أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن أبي وابن سعيد وطعمه. وفي الدر المثور ٥ : ١٨٠ . اخرج ابن جرير من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي (صلى

معاملة التهاتر بعملة الوعد الكذب ، ما لو كان صادقا لكان صادقا للدعوة الإسلامية لفترة ، مما يدل على تسرب المصلحية السياسية في هذه الدعوة فتبوء بالفشل والخسار والدمار ، فظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب !

فلذلك «يا ايها ..» لا «ايها» فقط أو «ايها» تدليلا على خطورة المنادى له وتنبيهه المنادى .

أترى أن النبي كان متلبسا بطاعة الكافرين والمنافقين حتى يتقىها؟ كلاما والتقوى هي الابتعاد عن المحظور ، وأصلها ما لم يتلبس وهو على أشرفه ، وأوامر الله ونواهيه الموجهة إلى شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنقسم إلى تشريعية لو لولها لم يعرف النبي إيجابا او تحريمها ، كالأحكام التعبدية غير الضرورية ، وإلى تأكيدية فيما هو ضروري معلوم لك . ﴿فَاعْلَمْ﴾  
 آللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ و ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ﴾ وإلى سياسية ظاهرها غير باطنها فهي تنبيهية كهذه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ...﴾ .

«اتق الله» للنبي التقى في القمة ، تنبيهه لاستمرارية التقوى ، وللتقوى تقواه كل حين أقوى مما مضى ، فلانه يزداد علما ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فليزدد على ضوءه وتبعا له تقوى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وليس لذلك اليقين حد يقف عليه ، فلا وقفة لعبادته وتقواه ، ثم للتقوى واجهتان : أن تتقى بنفسك عن الحق وهو الاتقاء بإسناد النقائص كلها إليك عن إسنادها . أيا كان . إليه ، فتجعل نفسك وقاية له تعالى .

. الله عليه وآله وسلم) إلى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾

أقول : هذا يناسب جو مكة وقد مضى ، واما المدينة فلا يناسبها هذا الاقتراح وقد يئسوا من تطميجه بمال او منال !

أو تتقى بالحق عن نفسك وهو الاتقاء بإسناد الكمالات كلها إليه تعالى عن إسنادها إليك فتجعله وقاية لك ، وما كمال النقوى أن تتخلى عن كلما يختص بالله وتخليه تعالى عن كلما تختص بك ، وكلما وراءهما طغو بدركاتها ، كما هما تقوى بدرجاتها.

وأما «لا تطع» فهو متكرر له في الذكر الحكيم ، نحيا عن المسائرات السياسية فيما ظاهرها مصلحة ، لولا العصمة الإلهية لتفلت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بالتفاها ﴿وَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (٤٨ : ٣٣) لا تؤذهم وإن يؤذوك ، ولا تطعهم وعد آلا يؤذوك! ﴿فَاصْبِرْ لِحِكْمَ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٢٤ : ٧٦) ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُوَا لَوْ ثُدْهُنْ فَيَدِهِنُونَ﴾ (٦٨ : ٨) ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا﴾ (٢٥ : ٥٢) ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (١٨ : ٢٨) وعلى الجملة :

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٦ : ١١٦) كل ذلك نحي عن طاعتهم ولما يقترف ، ولكي يبقى مفارقـا غير مقارب ، وكل ذلك في التلبـيسات السياسية التي تزلـ فيـها الأقدام ، والله يعـ رسولـ فيها عـصـمةـ كـافـلةـ للـدـعـوةـ الرـسـالـيـةـ المعصـومةـ العاصـمةـ للأـمـةـ!

إنـهـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) قـطـعاـ لمـ تـخـلـدـ بـخـلـدـهـ لـهـمـ طـاعـةـ ،ـ وـلـمـ تـحـصـلـ فـيـ أيـ مـنـ هـذـهـ المـوـارـدـ ،ـ فـالـنـهـيـ تـأـكـيدـ لـلـتـركـ ،ـ وـالـتـداـوـمـ عـلـىـ التـرـكـ ،ـ وـلـكـيـ يـسـمـعـ الـكـافـرـونـ وـالـمـنـافـقـونـ الطـامـعـونـ طـاعـتـهـ ،ـ يـسـمـعـواـ تـحـذـيرـهـ مـنـ الإـذـاعـةـ الـقـرـآنـيـةـ فـيـتـكـرواـ اـقـتـراـحـاتـهـمـ الـتـيـ تـشـقـ عـلـيـهـ وـتـؤـذـيـهـ!ـ «ـلاـ تـطـعـ..ـ»ـ لـ﴿إـنـ اللـهـ كـانـ عـلـيـمـاـ﴾ـ بـكـ وـبـمـ «ـحـكـيـمـاـ»ـ بـمـ يـصلـحـ لـكـ كـرـسـولـ ،ـ وـعـلـيـهـمـ كـمـتـرـبـصـيـ الدـوـائـرـ بـالـرسـالـةـ وـالـرسـولـ ،ـ فـالـلـهـ

عليم بما يجهلونه وما تجهله ، حكيم بما لا تحكمه ، وأنت كرسول دائم إلى قمم من العبودية.

والرسالة بما أراك الله ، ولا تكون للخائنين خصيما ، فمهما أرادوا ليكيدوك ويغروك أن في إجابتهم أخادا لنائرة الحرب ، وتقربا لهم إلى الإسلام بتلك الاستimulation والتقارب ، ولكنه أمر ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾!

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فلأنه ربك في كل صغيرة وكبيرة ، ظاهرة وباطنة ، ولكي تكون رسول ربك بما ربك . ف . ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وقد أحاط علما بما يعمله الكافرون والمنافقون من شيطنة السياسات ، وتهارات المعاملات ، التي تسوء بالخسأء للرسول ، وبالدمار للرسالة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا﴾ وكما أحاط خبرا وعلما بما تعلمك أنت ومن معك ، ف . ﴿إِنَّمَا تَعْمَلُونَ﴾ تشملها ، تنديدا بأعمالهما وحيطة على أعماله من معه.

ولكي تكون على اهبة كاملة كافية لتصوی مطلقة ، وترك لطاعتھم مطلقا ، رغم المناؤات والعرقلات التي لا تملك صدھا ، بعد ما وفیت وكفیت جھودك كلھا :

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفِي بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣) فلا توکل على سواه إذ لا وکيل في المخاطر والضرورات إلا الله ، فتوکل على الله لا سواه ، في أن : ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ لا سواه وفي أن : «لا تطع ..» إلا إياه!

أصل السلب : «لا إله» وأصل الإيجاب : «إلا الله» محول إلى محاولة العبد ، ثم المطلق فيهما موکل إلى حول الله ، ف . ﴿اتَّقِ اللَّهَ .. وَلَا تُطِعِ .. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ .

وهلّا يطع الكافرين . فقط . والمنافقين . إذا . فله ان يطيع غيرهما من المسلمين والمؤمنين؟! كلاً! فلا طاعة لغير الله ، وعل تخصيصهما بالذكر هنا لأنهما اراداهما منه دون غيرهما ، وأن طاعتهما طاعة كافرة او منافية ، وطاعة غيرهما طاعة فاسقة ، أو أن كل من طلب منه (صلى الله عليه وآلها وسلم) طاعته من دون الله او مع الله فهو بذلك يصبح في صف الكافرين او المنافقين ، ولا طاعة لخصوص الرسول إلّا طاعة الله ولا اتباع له (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلّا لوحى الله ، إذ ليس يتأنّر عليه ولإلّا الله ، فمهما صحت طاعة لغير الرسول غير الله ، من رسول او امام معصوم امّن ذا من الدعاة الى الله ، فلا تصح للرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلّا طاعة الله واتباع وحي الله! .

ولو لم تدلنا ﴿لَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ على الا يطع غيرهما ، فقد يدلنا ﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اضافة الى سائر الآيات في طاعته واتباعه (صلى الله عليه وآلها وسلم) .

فهذه الثلاث رصيدات لهذه الداعية حيث تقيم وتقوم دعوته على المنهج الواضح الناصح : تقوى الله وترك طاعة من سوى الله ، والتوكيل فيهما على الله! مهما كان من باب إياك اعني واسمعي يا جاره ، يسمعانه فيقطعان آماهم عن طاعته ويسمعه المؤمنون فيتقون!  
 ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبِينِ فِي جُوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّذِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمَّهَا تِكْنُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل﴾ . (٤)

هنا امور ثلاثة ما جعلها الله من تكوينية تحيل ان يجعلها غير الله ، ومن تشريعية تحرم عليهم جعلها ، أترى ان بينها في سلبها او إيجابها صلة ورباطا؟ ثم ترى أن لها أم لأولها رباطا بما سلفها؟

ان لأولاهما رباطا عريقا سالفها ولا حقها ، فطاعة الله وطاعة الذين يجادون الله تتطلب قلبين اثنين إذ لا تجتمعان في قلب واحد ، فالذى يمزج بينهما . ضغث من هذا وضغث من ذاك . لا يطيع إلا هوا ، دون الله وسواء ، حيث الطاعة المطلقة التي هي الطاعة لا سواها ، تحيل كونها بين اتجاهين متناحرتين ، إلا ان يكون للمطبيع قلبان اثنان فيصبح كشخصين يطيع ويهدى بأحدهما الله ، وبثانيهما من سواه .

كما لم يجعل لرجل من امين اثنين ، التي ولدته والتي ظاهر منها ، لا جعلا تكوبنيا ولا تشريعا ، ان تنزل الزوجة المظاهرة منزلة الام ، وان أمكن في غيرها كالام الرضاعية ، وكذلك الأمر في الأدعية فهم ليسوا أبناء ولا بمنزلة الأبناء .

وليس لقلب واحد ان يتوجه ويهدى الى امين على سواء ، ولا الى ابنين على سواء ، وأحدهما مجازي مجعل بحق او باطل ، اللهم إلا ان يكون لرجل من قلبين في جوفه ! فالاضابطة الرئيسية في هذا البين ﴿مَا جعلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ﴾ أن يصبح كشخصين يتوجه كل الى وجهة ، مضادة او مناقضة للأخرى في حب مطلق وهوى او بغض مطلق أما ذا؟

فالجمع بين اثنين في قلب واحد مستحيل في متناقضين ، او ناقص في مختلفين ، فانه بكماله مستحيل كتمام الحب لهذا وقامة لعدوه ، واما ان تجتمع في قلب واحد امور عدة حالة واحدة واتجاه واحد مع الغض عن حب وبغض وطاعة وعصيان ، وكلما يستحيل جمه في تصديق ام حب وبغض ، فانه من مقام جمع الجمع ، يختص بالمرءين كقلب محمد وقلوب المحمديين المعصومين ، فلهم الحيطنة العلمية بما يتلقون من اعمال ، هم

من الشهداء فيها إلقاء يوم الله ، والله تعالى فوقهم ف ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لا يشغله  
شان عن شان ، دون من سواه ومن سواهم.

ولقد ورد في شأن نزول آية القلبين منازل عدّة ومن ذلك قلب المصلّى : «فمن كان  
قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله  
منه في صلاته»<sup>(١)</sup> فانما حقيقة التعلق بالله فلا تجمعها تعلق بغير الله فـ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ  
لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ولقد كان قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذويه متعلقاً  
متديلاً بالله ، ومهما خطر خطره في الصلاة وغيرها تدليلاً على امر ما فهو ايضاً من الله وإن  
أخطاً في أمره خاطئون<sup>(٢)</sup>.

ومهما كان من شئون نزوها تكتيّب رجل ادعى ان له قلبين<sup>(٣)</sup>

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٤ ح ٥ في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل له : .. قال الله  
عز وجل : ما جعل الله ...

(٢) الدر المثور ٥ : ١٨٠ . اخرج احمد والترمذى وحسنه وابن حجرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه  
وابن مردویه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال قام النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يوماً يصلي فخطر خطره  
فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ ...﴾  
وفيه اخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال صلي رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) صلاة فسها فيها  
فخطرت منه كلمة فسمعوا المنافقون فأكثروا فقالوا ان له قلبين لم تسمعوا الى قوله وكلامه في الصلاة ان له قلباً  
معكم وقلباً مع أصحابه فنزلت يا ايها النبي انت الله .. ما جعل الله ..

أقول : ظاهر قوله «قلباً معكم» انه لم يكن سهواً وانما قراءة تندد بالمنافقين وآخرى تبشر المؤمنين فظنوا  
ظنهم وخيل الى ابن عباس انه سهى ولم يكن الا سهواً منه لا منه (صلى الله عليه وآلہ وسلم)!  
(٣) الدر المثور ٥ : ١٨٠ عن مجاهد قال ان رجلاً من بنى فهر قال : ان في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما  
أفضل من عقل محمد فنزلت وفي المجمع نزلت في أبي عمر .

فليست لتكذب من جعل الله له مقام جمع الجمع ان يحيط علما بأمررين اما زاد ، ولا يجمع صاحب هذا المقام بين متناقضين ، ام حبين لمتابugin ، كمن سواه من العالمين وكما الله رب العالمين . وليس له قلب . فليس ليجمع حب المؤمن الى حب الكافر ام بغضهما وهو لا يشغله شأن عن شأن !.

ولأن الواجب من حب الله وطاعته هو توحيده فيهما دونما ند ولا شريك ، فالجمع بين هكذا حب وطاعة ، وحب الغير وطاعته لا يمكن في قلب واحد ، إلّا ضغث من هذا وضغث من ذاك وهو من حب الهوى وطاعتها ، اللهم إلّا في قلبين ، هذا يحبه تماما وهذا يحب غيره ، فممكّن الجمع بين حبين في قلب واحد غير مطلوب ، ومستحيله يمكن في قلبين و ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ﴾ ! ف . «لن يحبنا من يحب مبغضنا إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد» <sup>(١)</sup>

. حميد بن معمر بن جيب الفهدى وكان لبيبا حافظا لما يسمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما أفضلا من عقل محمد وكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه فقال له يا معمر ما حال الناس؟ قال : انهزموا قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك؟ فقال ابو معمر : ما شعرت الا اخما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٤ ح ٦ في اعمال الطوسي باسناده الى صالح بن ميثم التمار قال وجدت في كتاب ميثم يقول : تمسينا ليلة عند امير المؤمنين (عليه السلام) فقال لنا : ان عبدا لن يقتصر في حبنا لخير جعله في قلبه ولن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لا يجتمع في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بالآخر عدوهم والذي يحبنا فهو يخلص الذهب لا غش فيه والقمي في رواية ابن الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف انسان ... فمن أراد ان يعلم فليمتحن قلبه فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ولستا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين.

إن شرعة الحب والطاعة الالتفاقية شرعة منافية لا تنبئ ولا تنبئ عن إيمان مهما كان إيمانا بالحق او بالباطل ، فإنه قلب واحد ، فلا بد له من تعلق واحد ومنهج واحد ، تصورا كليا للحياة كلها ، و إلا تمزق ونافق ، فإما اتباع المدى ، أو الهوى حيث الخلط بينهما اتباع للهوى إذ لا تعتبر هداه هدى ﴿أَلَا لِلّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ﴾ !

وكما لا ينقسم شخص الى اشخاص ، كذلك لا ينقسم قلب الى قلوب ، يستمد آدابه في كل حقل عما يهواه من معين وعقل بينها تناحر وتشاجر ، فأخلاقه وآدابه من معين ، وشرائعه من ثان ولا جتماعياته من ثالث ، ولا قتصادياته من رابع ، وسياساته من خامس ، وثقافاته من سادس ، ولعوائده من سابع ، فيصبح كالجحيم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ ممزقا مشلاة بين ارباب متشاركون مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وانه لشر مكانا من يأخذ كل جنباته من واحد كافر !.

ان كل انسان هو شخص واحد له قلب واحد لا يملك ان يتقسم في شخصيته وحالاته ، يقول : انا في كل حقل غيري في حقل آخر ، فانا بصفتي مسلما اصلي وأحج و .. وبصفتي سياسيا اعمل وفق مصلحيات السياسة ، وبصفتي تاجرا اعمل كرجل اقتصاد إما ذا من صفات في مختلف الحقول !

فالإنسان المسلم يعيش مسلما في هذه كلها ، حيث الإسلام يضم وينظم هذه كلها ، فيعيش في المحراب كما في الحرب مسلما ، وفي السوق كما في المجلس النيابي مسلما ، يعيش في كل الحقول مسلما مستسلاما لشرعية الله المتکفلة لكافة حاجيات الحياة وجنباتها.

فإذا يقول الله ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ليس يعني عن

المستحيل ، إذ لا يعبد في الحق إلهين إلا من له قلبان ، وإنما يعني أن في اتخاذ إلهين اتخاذًا لإله الهوى ورفضاً لإله الهدى ، ومن المستحيل طاعة مطلقة لسديدين متناحررين ، اللهم إلا طاعة الله كأصل وطاعة للرسول كرسول يوجه إلى الله وكما في طاعة الشيطان ، فطاعة كل مستقلاً بجنب الآخر تتطلب قلبين اثنين ، إلا أن يكونا في خط واحد أو سبيل واحد.

﴿... وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجُكُمُ الَّذِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتِكُمْ﴾ (٤).

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَا هُنَّ أَمْهَاتُهُمْ إِنْ أَمْهَاتُهُمْ إِلَّا الَّذِي وَلَدَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُورًا ... وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَبَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ..﴾ (١٠) (٥٢ : ٣)

فالزوجة لن تصبح أمًا ، لا واقعاً فهي التي ولدته ، ولا شرعاً فهي التي أرضعته ، دون لفظة القول : «أنت على كظهر امي» فلم يجعل الله الزوجة المظاهر منها كالأم ، بل أبقاها زوجة بكفارتها يقدمها لكي يحل لها وطئها ، وليس ذلك طلاقاً يخلصه منها ولا تخلصها منه ، كما كانت هذه الظلمة العنيفة عادة الجاهلية إذ كانوا يحرمون وطئها بظهارها ثم تبقى معلقة لا ذات زوج فتوطئ ولا خلية فتنزوج ! قسوة ما أسوأها معاملة مع المرأة المظلومة في الجاهلية الجهلاء ، أزالتها الإسلام بحسن العشرة :

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيغٌ بِإِحْسَانٍ﴾ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارْقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

(٣) فالام أم والزوجة زوجة لا تتحول واحدة منها إلى أخرى ، لا بل لفظة قوله ولا بأية محاولة ، وإنما الجمع بين كونها زوجة لا تنزوج وإنما لا توطن فهو جمع بين متضادين اثنين يحتاج إلى

(١) راجع الفرقان ٢٨ - ١٩١ : ١٩٦ تجد تفاصيل الظهار بأحكامه

قلبين اثنين ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ﴾ وكذلك هو بحاجة الى امرأتين اثنتين إحداهما زوجة لها ما لها ، والاخري أم لها مالها ، فلا تبديل ولا جمع ، وكما ظهارهم من تبديل الجموع !

وان صيغة الظهار محضة خلائق كفارة إن أراد وطئها ، وحملها عليه وعليها إن تركها ، او طلاقا بحكم الحاكم الشرعي ان لم يفعل مداوما في ترك الوطء! وبذلك تسلم الأسرة من تصدّعها بتلك العادة الظالمة التي كانت تمثل طرفا من سوم المرأة سوء العذاب تحت نزوات الرجال ، الجاهلية المتعنته!

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ والدعى من يدعى ابنا وليس به ، لا دعوة فقط في لفظة النداء ، بل وفي كلما تتطلبه البنوة من التوارث وحرمة حليلته.

وقد كانوا في الجاهلية يتبنون ، قطعا لبنيوة كواقع ، ووصلوا لها الى غريب كواقع ، فتنقطع علاقات البنوة عن الوالد الحق ، وتتصل بالأب المتبني في كافة الصلات بالباطل.

يقال إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبنى قبل أن يبعث زيد بن الحارثة ، فكيف؟

وملذا؟ وهل يشمله التنديد التجهيل وانه خلاف الحق وخلاف القسط وهدى السبيل؟ ام ولأقل تقدير هو ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؟

كلاا! ف . ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فضلا عن الكافرين كأبي زيد ولما آمن

زيد وحسن ايمانه ورفض أباه المشرك أن يتبعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينذاك تشويقا للامان وتفريقا عن

الكفر «اشهدوا أن زيداً ابني ، فكان يدعى ابن محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكان يحبه وسماه زيد الحب...»<sup>(١)</sup>

فلان زيداً أملك بنفسه وأولى من أبيه حتى لو كان مؤمناً ، وهو مشرك! ولأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فولايته (صلى الله عليه وآلها وسلم) عليه أولى من أبيه ، بل لا ولادة لأبيه المشرك عليه وهو مؤمن ، فما تعمد الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) جناحاً في هكذا تبنيه ولا أخطأ لو كان تبنياً ولم يكن إلا تشريفاً!

(١) نور التقلين ٤ : ١٠ تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في سبب نزول الآية كان سبب ذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج الى سوق عكاظ في تجارة ورأى زيداً يباع ورعاة غلاماً كيساً حصيناً فاشتراه فلما تبع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) دعاه الى الإسلام فاسلم وكان يدعى زيد مولى محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة وكان رجلاً جليلاً فأتى أبا طالب فقال يا أبا طالب ان ابني وقع عليه السي وبلغني انه صار الى ابن أخيك تسألة إما ان يبيعه واما ان يفاديه واما ان يعتقه فكلم ابو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) هو حر فلينذهب حيث شاء فقام حارثة فأخذ بيده زيد فقال له : يا بني الحق بشر فلك وحسبك فقال زيد : لست أفارق رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما دمت حياً فغضض أبوه فقال : يا معاشر قريش اشهدوا اني قد برئت منه وليس هو ابني فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : اشهدوا ان زيداً ابني ارهه ويرثي فكان زيد يدعى ابن محمد وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يحبه وسماه زيد الحب فلما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) الى المدينة زوجه زينب بنت جحش ...

أقول : كان التورات بين المؤمنين والمهاجرين سنة مأموراً بها قبل نزول آيات الإرث تشجيعاً للإيمان ومنها الآية التالية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِعَضٍ ...﴾ وكان زيد مؤمناً مهاجراً فلم يكن هناك تبّ وانما بنوة الحب وميراث الإيمان والهجرة مهما تخيله الجماهير تبنياً كما كانوا يعملون!

أترى كان له في ذلك الموقف الحرج ان يسكت عن الكلمة محبة أولاها : «اشهدوا أن زيدا ابني»؟ وما عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يخليل الى سائر المؤمنين . المتعودين في الجاهلية على ذلك التبني العارم . انه أصبح ابنه ، فحرام عليه . إذا . حليلته !

فلم يكن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «اشهدوا ان زيدا ابني» قوله بفيه ، وإنما عمق قلبه الجيب ، ولم يرتب عليه شئون البنوة ، اللهم إلا ميراثا كان بين المؤمنين والهاجرين بما فرض الله ، ثم نسخه بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ ولم يحرم هو على نفسه حليلته ولا رتب عليه سائر احكام البنوة ، فلم يشمله التنديد الإبطال :

﴿.. ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤).

ذلكم يجعل الجاهل والحكم القاحل من مظاهره وتبين «قولكم» لا قول الله «بأفواهكم» دون رباط بعقلكم وقلوبكم ولا وحي ، إذا فهو قول باطل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ لا سواه ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ لا سواه !

فالقول بالأفواه هو المنقطع الرباط عن دواليل القائل وخوارجه ، فلا هو ينبع من نبعة فطرية او عقلية داخلية ، ولا وحي خارجي ، فلا أثر له داخليا في حب أو بغض ولا خارجيا من آثار الامومة والبنوة والابوة لا تكينيا ولا تشريعيا ، فهو قول باطل في بعديه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الى الحق.

هذا رغم ما هنالك من آثار تهواء الأنفس في طقوس جاهلية لا تعلو حدود الخيال فتستأصلها آيات الله البينات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ومن الحق السبيل والسبيل الحق :

﴿إِذْ عُوْهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءِهِمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيْماً﴾ . (٥)

﴿إِذْ عُوْهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ لا «الى آبائهم» فقد يختلفان ايمانا وكفرا فكيف يدعى الولد المؤمن الى الأب الكافر؟ مهما صحت المعاكسة ، ان تدعوا الولد الكافر الى الوالد المؤمن ولكي يؤمن ولأنه يلحق به قبل بلوغ الحلم دون عكس ، ثم «ادعوه الى ..» لا يزيل أساس التبني ، فقد يدعى «الى» وهو بعد ابنه كما يدعى غريب الى غريب ، فاما ﴿إِذْ عُوْهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ دعوة تختصهم بآبائهم نسبا وفي كل ما هو لزامه ، فقولوا ابن فلان بدلا عن ابني ، لا في لفظة قول فحسب ، بل وفي كل ما تطلبها البنوة اللهم إلا ما يستثنيه الإسلام للولد المؤمن او الوالد المؤمن.

ولقد دعى الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) زيدا لأبيه قبل ان تنزل آية الدعوة اللهم إلا نسبة تشريفية تشويقا له إذ رجع المقام عند الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) على اللحق بابيه<sup>(١)</sup> فيما

(١) مضى له قصة عن الإمام الصادق (عليه السلام) وفي لفظ آخر في الدر المشور ٥ : ١٨١ واتخـر ابن مردوـيـه عن ابن عباس قال : كان امر زيد ابن حارثة انه كان في أخواله بين معن من طين فأصـيبـ في غـلـمةـ من طـيـنـ فـقـدـ به سـوقـ عـكـاظـ وـانـطـلـقـ حـكـيمـ بنـ حـزـامـ بنـ خـوـيلـدـ إـلـىـ عـكـاظـ يـتـسـوـقـ بـهـ فـأـوـصـتـهـ عـمـتـهـ خـدـيـجـةـ (رضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ)ـ انـ يـتـاعـ لهاـ غـلامـاـ ظـرـيفـاـ عـرـبـياـ انـ قـدـرـ عـلـيـهـ فـلـمـ جـاءـ وـجـدـ زـيـداـ بـيـاعـ فـأـعـجـبـهـ طـرـفـهـ فـابـتـاعـهـ فـقـدـمـ بـهـ عـلـيـهـاـ وـقـالـ لهاـ اـبـيـ قـدـ اـبـتـاعـ لـكـ غـلامـاـ ظـرـيفـاـ عـرـبـياـ فـانـ اـعـجـبـكـ فـخـذـيهـ وـالـاـ فـدـعـيـهـ فـانـهـ قـدـ اـعـجـبـيـ فـلـمـ رـأـيـهـ خـدـيـجـةـ اـعـجـبـهاـ فـأـخـذـتـهـ فـتـزـوـجـهـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـهـ عـنـدـهـ فـأـعـجـبـ النـبـيـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ طـرـفـهـ فـاسـتـوـهـبـهـ مـنـهـ فـقـالـتـ هـوـ لـكـ فـانـ اـرـدـتـ عـنـقـهـ فـالـلـوـلـاءـ لـيـ فـأـبـيـ عـلـيـهـ فـوـهـبـتـهـ لـهـ اـنـ شـاءـ .

فعله الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) به إلّا خيراً وحقاً رغم ما زعمه المتنبّون الآخرون  
قياساً لفعله بما كانوا يفتعلون! .

**﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ..﴾** (٥) .. أترى كيف تكون دعوّهم لآبائهم

اقسط عند الله؟ وقضيته ان تبنيهم قسط! وبقاءهم لغير

. أعتق وان شاء امسك قال فشب عند النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ثم انه خرج في ايل لا ي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام؟ قال : غلام من اهل مكة قال : من أنفسهم؟ قال لا قال : فحر أنت ام ملوك؟ قال : بل ملوك قال : ملء؟ قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له أعربي أنت ام عجمي؟ قال : بل عربي قال : من أهلك؟ قال : من كلب قال : من اي كلب؟ قال : من بني عبدود قال ويحك ابن من أنت؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل قال : وain أصبت؟ قال في أخواли قال ومن أخوالك؟ قال طي قال : ما اسم أملك؟ قال : سعدى فالتزمه وقال : ابن حارثة ودعا أباه وقال يا حارثة هذا ابنك فأتأه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال : كيف صنع مولاك إليك؟ قال : يؤثري على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه واخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال له حارثة يا محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)! أنت اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تكون العاني وتطعمون الأسير ابني عبدك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائك فانك ابن سيد قومه فانا سندفع لك في الفداء ما أحبيت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما أعطيكم خيراً من ذلك؟ قالوا وما هو؟ قال : اخيه فان اختاركم فخذلوه وان اختارني فنكحوا عنه قالوا جراك الله خيراً فقد أحسنت فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال يا زيد أتعرف هؤلاء؟ قال : نعم هذا أبي وعمي و أخي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فانا من عرفته فان اخترتم فاذهب معهم وان اخترتني فانا من تعلم فقال زيد : ما انا بختار عليك أحداً ابداً انت مني بمكان الوالد والعم قال له أبوه وعمه : يا زيد اختار العبودية على الريوبانية؟ قال ما انا بفارق هذا الرجل فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) حرصه عليه قال : اشهد انه حر وانه ابني برثني وأرثه فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه فلم يزل زيد في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن **﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾** فدعى زيد بن حارثة .

آبائهم ليس قسطا ولا عدلا ، والقسط أفضل من العدل؟

عله ككل ما شاء مع المتبين : إن كان هذا قسطا تعطفا بهم دون مقابل ، فدعوتهم لآبائهم اقسط عند الله ، فإنهم بضع من آبائهم دونكم ، وامتداد لهم بمدّهم إيلادا دونكم ، فليس منكم لهم إلا قول بأفواهكم ، وهم من آبائهم فعل الآيلاد وهو حقيقة لا تنكر ، فالاصل الفطري والولادي يقتضيان ان تدعوهם لآبائهم في كل ما تتطلبه البنوة ، والتخلف عنهمما هو خلاف العدل والقسط.

او عله كبعض مصاديقه قسط ، كما كان من رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) مع زيد ولكنما الأقسط عند الله ان يدعى هو ايضا لأبيه كما فعله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قبل آية الدعوة ، فقد جمع الأقسط الى القسط فلم يخالفهما او أحدهما قبل آية القسط ، اللهم إلا من سواه بين متعمد ومحظى وساحة الرسول منهمما براء!

﴿... فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءُهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ ..﴾ (٥).

فإن فوضى العلاقات في أسرة الجاهلية في هرج الجنس ومرجه ، والتبني الأعمى بحيث كان يعمي عن الآباء الأصلاء ، مما يختلف مجھولية الآباء ، ولكنها ايضا ليست بالتي تسمح بالتبني او تقره ، فان هنالك الأخوة في الدين والولاية فيه اصل جامع يخلق على كافة المعلومين فضلا عن المجھولين ، فهم إذا إخوانكم في الدين في كلما تقتصيهم الاخوة الدينية ، وكما في سائر المسلمين ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ..﴾ (٩) : (١١) وكما في خصوص اليتامي : ﴿يَسْتَأْلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى فَلْيُنْصَلِّحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُحَاذِلُهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ..﴾ (٢ : ٢٢٠) وطبعا هي الاخوة الدينية كما في الأدعية فإنهم أعم من كونهم يتامى او ذوي آباء مجھولين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكُنْ مَا تَعَمَّدَتْ فُلُوْبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾  
رجيمًا . (٥)

هنا ينفي الجناح عن خلفيات التبني لحد الآن **﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾** خطأ في أصله أن لم يكن إلا قولا بالأفواه دون اثر خارجي ، وخطأ في تجھيل آباءهم حتى جھلوا ، و **﴿مَا تَعَمَّدَتْ فُلُوْبُكُمْ﴾** يعم عمد التبني بترتيب آثار البنوة لهم ونفيها عن آباءهم ، او عمدا في تجھيل آباءهم حتى جھلوا خطئان لا جناح فيهما ، وتعمدان مغفوران لمن تاب توبة نصوحـا. ثم وقصة الرضاعة ليست بالتي تشكل نسبا إلا تحريما ما وتحليلا ، والإسلام يهدف من وراء هذا السياج القوم على الأنساب أن يحافظ على نظامها التكويني ذو تبعثر بتبن وسواه ، وحتى إذا كان نسباً كافرا ، فإنه ليس ليسمح نسبة المؤمن إلى غير والديه مهما كانت هنالك أحكام وقائية لشرف اليمان.

فليس لأحد أن يخفى نسبه بوصمة الكفر فيدعى نسبا آخر باسمة اليمان ، فليس اليمان بنسب وسبب ، فإنه شرف ذاتي لا يعدو حامله إلى سواه إلا إذا حمله إلى سواه. وإنه تشديد أكيد يتمشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة كيما كانت ، والحفاظ على روابطها من كل شبهة وخلل ، وحياطتها بكلفة أسباب السلامة والسلوة والاستقامة ، بعيدة عن الفوضويات في دعارات وسوها من ادعاءات جوفاء ، في تغيير النسب وتحويره ، مهما كان بمبرر اليمان فإنه خلاف قضية اليمان.

﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاكُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْتُطُورًا﴾ (٦).

آية وحيدة منقطعة النظير ، تختص ولاية عامة للنبي على المؤمنين ، وامومة أزواجه لهم ، وأولوية اولى الأرحام بعضهم بعض من المؤمنين والمهاجرين ، تضم في هذا المثلث أحكاما عدّة جماعية سياسية واقتصادية أمّا هيه؟

ولاية النبي على المؤمنين؟

**﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾** ضابطة مطلقة عامة ثابتة بين محور النبوة وشعاع الایمان ، فهو «اولى» قضية النبوة ، وهم مولى عليهم قضية الایمان ، وهو (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لا ينفصل عن ولايته ولا تنفصل عنه حيث النبوة لزامها ولكن الایمان قد ينفصل عنمن يتتحى عن ولايته (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم): «والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»!.

وليست هي مجرد ولاية الحب مهما كان أصلا من قضيتها ، بل هي مطلق الولاية في مطلق الأمور على مطلق الأنفس المؤمنة ، عقيدة وحبا وقولا وعملاً أماذا من متطلبات الولاية الأولوية المطلقة!

إن هذه النبوة القمة تقتضي اولوية قمة ، كما الایمان بدرجاته يتضمن تحمل تلك الاولوية حسب الامكانيات.

أتري ان هذه الولاية الحمدية قد تعني مصالح الامة جماعات وفرادى لمصلحة ذاتية شخصية؟ كلا! ف . **﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ﴾** وليس «محمد اولى» فهذه الاولوية ليست إلا لخدم مصالح الرسالة والمرسل إليهم جماعات وفرادى ، دون مصلحة لشخص محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فانما مصالح رسولية ورسالية ومصالح للمؤمنين ، وكلها لصالح الایمان فصالح

المؤمنين ، جماعات وفرادى ، تصد عنهم اخطاء عامدة وجاهلة وتصلح الامة كما يرضها الله حيث الولاية اسلاميا هي أن يلي كل قوي من المسلمين ضعيفهم ، عقيديا او علميا او خلقيا او عمليا ، أما ذا من مختلف الوهبات والكسبيات جبرانا لنقصه ، فقد يكون المسلم ولیا من جهة وموئل عليه من اخرى ، كالأعلم بالنسبة للأئقى ، فإنه ولیه علميا ، ولكنه مولى عليه عمليا ، وهلم جرا فيسائر الأولياء والمولى عليهم حسب مختلف الولايات.

والسمة العامة فيها كلها صالح المولى عليه حيث لا يقدر على تحصيله كما يجب او يحب ، وهذه الموالاة هي في صيغة اخرى تعاون على البر والتقوى ، وضد الشر والطغوی ، تعليمها او امرا ونها او حملها على فعل المعروف وترك المنكر.

فليس للولي أيا كان أن يتامّر على المولى عليه لصالحه الشخصي بسند انه قوي ، اللهم إلّا لصالح المولى عليه افرادا وجماعات ، والى السلطة الزمنية على ضوء الإسلام حيث الزعيم خادم الرعية ، دون ان يتبعي من الزعامة مالا او منالا إلّا إصلاح الرعية ، وتوجيههم الى الأصلح فالأصلح في مختلف الحقول الإسلامية المخلقة على كافة المصالح .

الولايات العشر في الإسلام :

هناك ولايات خاصة و أخرى عامة على المؤمنين كلها ت نحو منحى مصالحهم معنوية ومادية جماعية و فردية ، أك : « ١ . الولاية على الأيتام . ٢ . والسفهاء . ٣ . والمحانين . ٤ . والزوجات . ٥ . والأولاد . ٦ . والمتخلفين <sup>(١)</sup> .

(١) دليله قوله تعالى «الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»

٧ . وعلى كل الأمة من الفقهاء . ٨ . وأئمة الدين . ٩ . والرسول . ١٠ . وولاية الله !.

كل هذه ولايات على من لا يحيط علمًا أو طاقة على مصالحه ، فالولاية المعصومة من بينها مطلقة وكما تدل عليه آية الولاية : ﴿إِنَّا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الرِّزْكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥ : ٥٥) وآية الطاعة : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٥٩)

والولايات الأخرى محدودة بحدود المصالح ، وللمولى عليهم الاعتراض والاستيضاح إن اشتبه عليهم أمرها أو تأكدو من خلاف المصلحة فيها .

ثم تشتراك هذه العشر في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها وضيقها وسعتها ، وتخصّ ولاية الموصومين الشرعية بأنّها مطلقة محكمة دونما استثناء لأنّها تمثل ولاية النبي الممثلة لولاية الله وما الولاية التشريعية والتکوینية فهما من اختصاصات الربوبية ، فهو . فقط . المشرع لا سواه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...﴾ وهو المكون خلقاً وتدبّراً لا سواه ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ ..﴾ .

ولاية النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) هي الاولوية بأنفس المؤمنين ، فتحتل الدرجة الثانية من العشر بعد الولاية الإلهية ، فهو أولى بكل مؤمن من نفسه واهله وماليه وعرضه ، وكلها لصالح النبوة والمولى عليهم على ضوء النبوة العادلة ، ولاية عامة تشمل رسم مناهج الحياة الفردية والجماعية في كافة حقوقها ، فلا ولاية مع ولايته ، حيث لا تساوى ولا تسامي ، إذ تخلق بعد ولاية الله على الولايات كلها ، على سائر الأولياء والمولى عليهم كلهم .

قد تتحقق الولاية دون اولوية بأنفس المولى عليهم منهم كما فيسائر الولايات الخاصة والعامة ، إلا الحمد لله من العترة المعصومين (عليهم السلام) <sup>(١)</sup> ولكنما الآية تثبت ولاية الاولوية له (صلى الله عليه وآلها وسلم) بأنفس المؤمنين مما يقدمه (صلى الله عليه وآلها وسلم) . عليهم في النواميس الخمسة كلها : نفسها وعقلاً وديناً وعرضها ومالاً لصالح النبوة والمولى عليهم ، فصالح النبوة هو هو صالحهم جميعاً .

فكمما يحب على كل مؤمن الحفاظ على هذه النواميس حباً لها وإيماناً ، كذلك عليهم . وباحرى . الحفاظ عليها من النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) تقديمها لجانبه على جوانبهم ، وكما الله جعله أولى بهم وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة» <sup>(٢)</sup> ومن هذه الولاية قوله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات وترك ديناً فإلي ومن ترك مالاً فلورثته» <sup>(٣)</sup> فليس له من أموال المؤمنين شيء إلا ما تلزم المصلحة

(١) الدر المنشور ٥ : ١٨٢ اخرج ابن أبي شيبة واحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ذكرت علياً فنقضته فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تغير وقال يا بريدة أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : من كنت مولاًه فعلي مولاًه» أقول وإنما كلمة متواترة عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم)

(٢) المصدر اخرج البخاري وابن حجر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ... اقرعوا ان شئتم ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾

(٣) المصدر اخرج احمد وابو داود وابن مردويه عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ... ومثله ذيل الحديث السابق ولكن فيه : من ترك مالاً فلعصبة ...

الجماهيرية الاسلامية كالضرائب المستقيمة وغير المستقيمة وهي كلها لصالح المسلمين.

ثم إذ يأمر الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بشيء فلا تختلف عنه نظرة الإذن من غيره ولها وسواه كما كان في غزوة تبوك<sup>(١)</sup> ومن خلفيات هذه الولاية الاولوية المطلقة أن لو رأى النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) صالحا في تطليق زوجتك طلقها دون استئمارك ، ام صالحا في حملك على عمل دون أجر او بأجر ، ام دفع مال بمقابل او دون مقابل ، أما ذا مما لك فيه الولاية نفسها وأهلا وحالا ، فهو أولى بك منك ، فضلا عما ليس لك فيه ولاية ، فهو فيه أولى منك في بعدين اثنين ولكنك لم يعهد عنه أمثال هذه التصرفات خلافا لمرضات المؤمنين وان كانت له بسناد ولايته المطلقة المخولة.

ثم الولاية الجماهيرية هي له أخرى من الشخصية ، حيث النبوة تنحو منحى الجماهير قبل الأشخاص ، وهي لصالح مجموعة الامة قبل افرادها ، وصالح الجماعة في ولاية وسواها أهم من صالح الأفراد.

ومن أهم الاهداف في ضابطة الولاية هنا هي الإمرة<sup>(٢)</sup> آلا يخلد بخلد

(١) في المجمع وروي ان النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) لما أراد غزوة تبوك وامر الناس بالخروج قال قوم : نستأذن آبائنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ عن علل الشريعة باسناده الى عبد الرحمن لقصیر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سأله عن قول الله عز وجل ﴿الَّتِي أَوْلَى...﴾ فيمن نزلت هذه الآية قال : نزلت في الإمرة ان هذه الآية جرت في الحسين بن علي (عليه السلام) وفي ولد الحسين فتحن اولى بالأمر وبرسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من المؤمنين والمهاجرين ، قلت : لولد جعفر فيها نصيب؟ فقال : لا . فعددت ؟؟ ليه بطون عبد المطلب كل ذلك يقول : لا . ونسيت ولد الحسن فدخلت عليه بعد .

المؤمنين فرادى وجماعات التقدم او التقدم بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) في اي امر من امورهم حتى وان شاورهم مصلحيا كما أمره الله ، فالامر أمره والرأي رأيه ، لأن الإمارة الشاملة على المؤمنين هي إمرته.

فلو رأى المؤمنون بأجمعهم صلواه في أمر من حرب او صلح أماذا؟ ورأى الرسول خلافهم ف . ﴿الَّتِي أُولَئِنَا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فلا لهم او عليهم إلا ما يراه دونهم.

ولقد جرت هذه الإمارة النبوية في الأئمة الاثني عشر بدليل الكتاب والسنة وعلى حد قول باقر العلوم (عليه السلام) «ما لحمدي نصيب غيرنا» فهم لا سواهم ﴿أُولَئِنَا بِالْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ الذين افترض الله طاعتهم بإمرتهم بعده وبعد رسوله : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِنَا بِالْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .

. ذلك فقلت : هل لولد الحسن (عليه السلام) فيها نصيب؟ فقال : لا يا أبا عبد الرحمن ما لحمدي فيها نصيب غيرنا.

ورواه مثله عنه في الكافي وروایات اهل البيت في ذلك بعديد اسماء اولى الأمر متواترة .  
ومن ذلك ما رواه القمي بإسناد متصل عن سليم بن قيس قال سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول :  
كنا عند معاوية انا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن سلمة واسامة بن زيد فجرى بيبي وبين معاوية  
كلام فقلت لمعاوية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يقول : انا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم اخى  
علي بن أبي طالب اولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد فالحسن بن علي اولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني  
الحسين من بعده اولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين ثم تكملة اثنتي عشر اماما تسعة من ولد الحسين  
قال عبد الله بن جعفر واستشهادت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد فشهدوا  
لي عند معاوية قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا لي انهم سمعوا ذلك من رسول الله  
(صلى الله عليه وآلها وسلم)

ولقد احتل حديث خلافة الإمارة النبوة في علي (عليه السلام) يوم الغدير ، قمة التواتر بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعهم <sup>(١)</sup> وكذلك حديث التهنئة من الشيختين في قولهما لعلي (عليه السلام) : «بَخْ بَخْ لَكَ يَا عَلِيًّا أَصْبَحْتَ مُولَّاً يَ وَمُوْلَىً كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةً <sup>(٢)</sup> تَلُوْ مَا قَالَ

(١) اخرج العلامة الأمياني في الغدير نزول آية التبليغ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير في علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن ثلاثين مصدرا من إخواننا وان رواة الغدير من الصحابة (١٢٠) صحابيا ومن التابعين (٨٤) وان طبقات الرواية في حديث الغدير من أئمة الحديث وحافظه والاساتذة (٢٦٠) نسمة ول المؤلفون فيه (٢٦) راجع علي والحاكمون ص (٣٤).

(٢) قد روى حديث التهنئة فيمن رواه الحافظ ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة عن البراء بن عازب واحمد بن حنبل في مسنده ٤ : ٢٨١ عنه والحافظ ابو العباس الشيباني عنه والحافظ ابو يعلى الموصلي عنه والحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى في تفسيره ٣ : ٤٢٨ عن ابن عباس وابن عازب والحافظ احمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالإسناد عن سعد بن أبي وقاص والحافظ ابو عبد الله المرزبانى البغدادى عن أبي سعيد الخدري والحافظ علي بن عمر الدارقطنى البغدادى والحافظ ابو عبد الله بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب والقاضى ابو بكر الباقلاى البغدادى في التمهيد فى اصول الدين ص ١٧١ والحافظ ابو سعيد الحنوكشى النيسابورى فى شرف المصطفى عنه والحافظ احمد بن مردوه الاصفهانى فى تفسيره عن أبي سعيد الخدري وابو إسحاق الشعاعى فى تفسيره والحافظ ابن السمان الرازى عن ابن عازب والحافظ ابو بكر البهقى عنه والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادى بمسنددين صحيحين عن أبي هريرة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ والفقيه ابو الحسن بن المغازى فى المناقب وابو محمد احمد العاصمى فى زين الفتى والحافظ ابو سعد السمعانى فى فضائل الصحابة عن ابن عازب وحجۃ الإسلام ابو حامد الغزالى فى سر العالمين ص ٩ وابو الفتح الاشعري الشهري فى الملل والنحل واطلب الخطباء الخوارزمي الحنفى فى مناقبه ص ٩٤ وابو الفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب وفخر الدين الرازى الشافعى فى تفسيره الكبير ٣ : ٦٣٦ وابو السعادات مجد الدين بن الأثير الشيباني فى النهاية ٤ : ٢٤٦ وابو الفتح محمد بن علي النظري فى .

النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) : الست اولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا على مولاه» مما يبرهن جلياً أن مكانته من المؤمنين هي نفس مكانة الرسول إلا في الوحي والنبوة.

فإمرة الاولوية والولاية المطلقة تختص بـ محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) والحمديين من عترته المعصومين ، ثم لا إمرة إلا شوري بين المؤمنين ، سواء أكانت إمرة الفتوى أو الزعامة السياسية ، فانها مهما كانت علية تقية عادلة فليست معصومة عن أخطاء ، ولأنها لا بد منها في استمرارية الإمارة الإسلامية ، فلا بد من كونها في نطاق الشوري بين الرعيل الأعلى حتى تقل أخطاءها وكما يروى الإمام علي عن الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) «اجمعوا العابد من امتي فاجعلوا أمركم شوري»<sup>(١)</sup>.

والشوري في امور المؤمنين هي من سبل الامان فتركها قطع لسبيل الامان حسب درجات الأمر الذي يتطلب الشوري.

فولاية الفقهاء محدودة لمكان اخطاءهم قاصرة او مقصرة ، فان ثبت للمولى عليهم وهم غير الفقهاء أنهم اخطأوا في شيء حرم اتباعهم فيه إلا ان يقنعوا به ، وان لم يثبت فاتباعهم مفروض.

ثم لا ولاية لفقيئه على فقيئه مهما اختلفت درجاتهم ، ففي الأحكام الشرعية كل فقيئ ولي نفسه ومن ليس بفقيئه كما وفي المسائل السياسية الزمنية فليس ولي امر الامة زمان الغيبة إلا الشوري من الرعيل الأعلى ، بل وفي الأحكام الشرعية المرجع هو الشوري دون الأشخاص.

. الخصائص العلوية عن أبي هريرة وعز الدين ابو الحسن بن الأثير الشيباني عن ابن عازب وثلاثون آخرون اما زاد ذكرنا أسمائهم في علي والحاكمون ص ٨٢٠ - ٨١ .

(١) راجع آية الشوري في سورتها ج ٢٤ . ٢٥ من : الفرقان.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَا هُنْ﴾ ... تنزيل لأزواجه منزلة أمها هن ، ولو لا آية حجاجهن عنهم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ...﴾ بل وزيادة علىسائر المؤمنات كما هنا وفي خضوع القول ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ولو لا امكانية تسريجهن ﴿وَأَسْرِّيْخُكُنَّ سَرَا حَاجِيَلًا﴾ حيث تنفصل عنهن الأمومة بانفصال الزوجية ، لو لا هما لكان التنزيل يعم من امومتهن كونهن محارم لهم فلا حجاب ، فاما الأمومة هنا في وجوب حرمتهم كما الأمهات ، وحرمة نكاحهن كما النص يخصصها بالذكر ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ فالامومة النسبية لها وجوب حرمتها وحرمة زواجها ومحرميتها وميراثها ، وللرضاعية كل ذلك إلا ميراثها ، وللرسالية ليست إلا الاوليان وهما الأولان فيما يسوق الى الأذهان من اختصاصات الامومات ، فاما المحرمية فتنفيها آية الحجاب : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ثم الميراث تنفيه الآية في ذيلها : ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِيَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ولو لاها ايضا في نفيهما لم يشملهما التنزيل ، حيث التنزيل لا يوازي الحقيقة ، ولا ان المقام مقام فائق الاحترام فلا يناسبه الميراث والتكتشف . فلان التنزيل خص في مورد الحجاب ولم يذكر له مورد إلا حرمة نكاحهن فقد انضم عراه وانخل فتلها الشامل لكافة اختصاصات الامومة واختص بالمنصوص منها وحرمتهم كما الأمهات ، فهذه امومة شعورية وشعارية وراء حرمة زواجهن !.

وهل إن ذلك التنزيل مستمر مهما تختلف عن ساحة الرسالة ، بل وعارضتها وأصبحن محادات لها؟ لأن هذه الأمومة ذات علاقتين ، علاقة بالرسول إذ يتآذى ان تؤذى أزواجه وينكحهن ، وعلاقة بهن إذ هن من حرمات الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) فانطلاقهن عن ساحة الرسالة بفاحشة مبينة تنهدم تلك الساحة المباركة فلا يتآذى إذا من ان

ينكحون بعده ولا ألا يحترمن كأمهات ، إذا ففي انطلاقهن هذا سماح لطلاقهن.

وقد يروى عن القائم المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف : «ان الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق لهن ما من الله على الطاعة فأيتهم عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من تشرف الأمهات ومن شرف امومة المؤمنين» (١) !

وكان حقا له أن يسقط حقه بطلاقهن عن هذا الشرف فيما يضيع حقه في أولويته على المؤمنين بالخروج على أمير المؤمنين ومثيله في أولويته تلك في سدنته العليا وإمراته المنصوصة عليهم .

ترى إذا كانت أزواجهن أمهاتهم أليس . إذا . هو أباهم في اصل الحرمة الوالدية فلما ذا

**﴿الَّبِيُّ أَوْلَى...﴾** وليس «أبواهم»؟ (٢) .

ان أولويته المطلقة اولى من الأبوية ، فإنه اولى من أبوائهم ومن كل ولی لديهم ! فهو

الأب الأول للمؤمنين وولده الامة درجات أعلىها علي (عليه

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ ح ١٧ في كتاب كمال الدين وقمام النعمة باستناده الى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم (عليه السلام) حديث طويل وفيه : قلت : فاخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فرض رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) حكمه الى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام) : ان الله تقدس اسمه

...

(٢) في الدر المنشور ٥ : ١٨٣ اخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ائم قرءوا الآية باضافة «وهو أب لهم» أقول : وهو معروض عرض الخائط لكونه خلاف المتواتر الموجود من القرآن وان **«الَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ»** تعني فوق الابوة فلا حاجة الى ذكرها وليس مثله الا مثل القائل «محمد رسول الله وهو مؤمن» !

السلام) ، فهو الأب الثاني للامة وكما سائر الائمة (عليهم السلام) ومن ثم سائر الآباء ، وقد صح عنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) «انا وعليـ أبوا هذه الـمة»<sup>(١)</sup> ولأنـه اولـ بالـمؤمنـين من أنفسـهم» كما النـي (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وـعلـى حدـ قولـهـ (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) «فـوالـلهـ اـنـي لأـولـ النـاسـ بـالـنـاسـ»<sup>(٢)</sup>.

**﴿.. وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾**<sup>(٦)</sup>.

هـنا تـلمـيـحةـ انـ قـدـ مضـىـ رـدـحـ مـنـ الزـمـنـ يـتـوارـثـ فـيـهـ الـمـسـلـمـونـ بـالـإـيمـانـ وـالـهـجـرـةـ ،ـ ذـلـكـ

وـلـيـ تستـقـرـ الدـوـلـةـ الـاسـلـامـيـةـ ،ـ فـقـدـ آخـيـ الرـسـوـلـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)

(١) نور الثقلين ٤ : ح ٢٣٨ في كتاب علل الشرائع باسناده الى علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال : سـأـلـتـ أـبـاـ الـحـسـنـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ) فـقـلـتـ لـهـ :ـ لـمـ كـنـيـ النـيـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) بـأـيـ القـاسـمـ؟ـ فـقـالـ :ـ لـأـنـهـ كـانـ لـهـ اـبـنـ يـقـالـ لـهـ قـاسـمـ فـكـنـيـ بـهـ قـلـتـ :ـ يـاـ اـبـنـ رـسـوـلـ اللهـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) فـهـلـ تـرـانـيـ أـهـلـاـ لـلـزـيـادـةـ؟ـ فـقـالـ :ـ نـعـمـ اـمـاـ عـلـمـتـ اـنـ رـسـوـلـ اللهـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) قـالـ :ـ اـنـاـ وـعـلـيـ أـبـواـ هـذـهـ الـامـةـ؟ـ قـلـتـ :ـ بـلـيـ قـالـ :ـ اـمـاـ عـلـمـتـ اـنـ عـلـيـاـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ) قـاسـمـ الجـنـةـ وـالـنـارـ؟ـ قـلـتـ :ـ بـلـيـ .ـ قـالـ :ـ فـقـيلـ لـهـ اـبـوـ القـاسـمـ لـاـ اـبـوـ القـاسـمـ الجـنـةـ وـالـنـارـ فـقـلـتـ :ـ وـمـاـ مـعـنـىـ ذـلـكـ؟ـ فـقـالـ :ـ اـنـ شـفـقـةـ النـيـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) عـلـىـ اـمـتـهـ كـشـفـقـةـ الـابـاءـ عـلـىـ الـأـوـلـادـ وـأـفـضـلـ اـمـتـهـ عـلـيـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ) وـمـنـ بـعـدـ شـفـقـةـ عـلـيـ عـلـيـهـمـ كـشـفـقـتـهـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) لـأـنـهـ وـصـيـهـ وـخـلـيـفـتـهـ وـالـأـمـامـ بـعـدـهـ فـلـذـلـكـ قـالـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ) اـنـاـ وـعـلـيـ أـبـواـ هـذـهـ الـامـةـ وـصـدـ النـيـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وـصـارـ اوـلـ بـهـمـ مـنـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ وـكـذـلـكـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ) بـعـدـهـ جـرـىـ ذـلـكـ لـهـ مـثـلـ ماـ جـرـىـ لـرـسـوـلـ اللهـ (ـصـلىـ اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ).

(٢) نـجـحـ الـبـلـاغـةـ مـنـ كـلـامـ لـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ.

عليه وآلہ وسلم) بین المهاجرین والأنصار ، وکان هذا الإخاء صلة عريقة فريدة في تاريخ التكافل العقائدي لحدّ قام مقام قرابة الدم ، وارتفع فيه المدّ الشعوري الى ذروة عالية ، وقد أخذ مأخذ الجدّ ، قائماً مقام قرابة الدم او زاد ، ولقد كان ذلك الإخاء العميق ضرورياً بادى ذي بدء حفاظاً على هذه النسأة الوليدة اليمانية ، وتماسكة بقوة صارمة في تلك الظروف الاستثنائية ، وحتى تقوم الدولة على سوقها فتنزول الضرورة الوقتية من ذلك الإخاء القائم مقام الدم ، فيبقى وراء التوارث كأشد ما كان على طول الخط.

فلما استتب امر الدولة واستقرت في مختلف حقوقها الجماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية عاد النظام الحقوقي الاسلامي في التوارث بين اولى الأرحام إلى حالته التي ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾.

اولوية النبي (صلی الله عليه وآلہ وسلم) بالمؤمنين من أنفسهم وفي الحمد़يين من أولي امره ، دائبة ثابتة بشاكلتها المعصومة في فترة الرسالة والإمامنة ، ومن ثم في الشورى من الرعيل الأعلى في العابد من الامة بشاكله غير معصومة.

وامومة أزواجها باقية ما لم يختلفن عما عليهن ، فبانطلاقهن عنه سماح الطلاق لصاحب الإمارة بعده وكما في طلاقه (صلی الله عليه وآلہ وسلم) نفسه.

والاخوة المورثة باقية ردحا حتى تستتب امر الدولة ويقر قرارها.

ثم هذه الآية واجهتان : خاصة قد تعني الاولوية في إمرة الرسول (صلی الله عليه وآلہ وسلم) بعده ، فأولوا أرحامه بعضهم اولى بعض في كتاب الله من سائر المؤمنين من الأنصار والمهاجرين.

فهناك اولويتان اثنتان ، اولاًها اولوية ذوي أرحامه (صلى الله عليه وآله وسلم) من سائر المهاجرين والأنصار ، والآخرى الاولوية بين أرحامه أنفسهم ، فعلى اولى من آل عباس ، والحسنان اولى من سائر ولد الامام ، وولد الحسين (عليه السلام) اولى من ولد الحسن ، وزين العابدين اولى من سائر ولد الحسين ، ومن ثم سائر الأئمة (عليهم السلام) حتى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) اولوية بالانتساب ، وكما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منتصب في اولويته بالمؤمنين من أنفسهم ، كل ذلك بوجي من الله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ وعله ام الكتاب او اللوح المحفوظ إما ذا من كتاب الله <sup>(١)</sup>.

(١) لقد مضى شطر من الأحاديث في آية ﴿أُولُوا الْأَرْحَام﴾ وإليكم شطرا آخر ، ففي تفسير البرهان ٣ : ٢٩١ ح ٢ عن الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا تعود الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) ابدا انما جرت من علي بن الحسين (عليه السلام) كما قال الله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَام بِعَضُّهُمْ أُولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فلا تكون بعد علي بن الحسين الا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.

وفي ح ١٣ . ابن بابويه بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن الله خص علينا بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يصييه له فأقر الحسن والحسين (عليهما السلام) له بذلك ثم وصية للحسن وتسليم الحسين للحسن (عليه السلام) ذلك حتى افضى الأمر للحسين (عليه السلام) لا ينazuنه فيه احد له من السابقة مثل ما له واستحقها علي بن الحسين يقول الله عز وجل ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَام بِعَضُّهُمْ أُولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ «فلا تكون بعد علي بن الحسين (عليه السلام) الا في الأعقاب وأعقاب .

وفي ح ١٤ عنه بإسناده عن ثابت الشعالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : فينا نزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَام بِعَضُّهُمْ أُولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وفيها نزلت هذه الآية ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْدَةِ﴾ والامامة في عقب الحسين (عليه السلام) الى يوم القيمة ...» .

ومن ثم تنتقل الاولوية بالرحم عن عنوانها المشير بعد الإمارة المعصومة ، الى الاولوية بالشوري ، وأولوية الشوري في إمرة السياسة والفتوى ، فـ . **﴿أُولُوا الْأَرْحَام﴾** عنوان مشير في الإمارة المعصومة المتضبة حيث الرحم . فقط . ليس ليختص بنفسه الإمارة إلا للأصلحية المنضمة إليه وهي الأصيلة ، ثم هو في الميراث عنوان للحكم بالأولوية فيه حيث الرحم وقربه هو موضوع الحكم لكونه الرحم ، وهو في إمرة الشوري عنوان بين الاشارة والموضوعية ، اشارة إلى الأقربين إلى أهل بيت الرسالة علما وتقوى أرحاما وغير أرحاما ، وهي بنفسها الموضوعية حيث الاقربية إليهم في روحية الرحم هي موضوع الأصلحية في الإمارة .

فـ . **﴿أُولُوا الْأَرْحَام﴾** تعني اولي ارحام النبي (صلى الله عليه وآله

. وفيه ح ١٥ عنه بأسناده عن إسماعيل بن عبد الله قال قال الحسين بن علي (عليه السلام : لما أنزل الله تبارك وتعالى لي هذه الآية **﴿وَأُولُوا الْأَرْحَام﴾**) سألت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عن تأويلها فقال : والله ما يعني بما غيركم وأنتم اولوا الأرحام فإذا مت فأبوك علي اولـي بي ويعـكـانـي فإذا مضـيـ أبـوكـ فـأـخـوكـ الحـسـنـ (عليـهـ السلامـ) فإذا مضـيـ الحـسـنـ فـأـنـتـ اـولـيـ بهـ فـقـلـتـ ياـ رسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)!ـ ومنـ بـعـدـيـ؟ـ قـالـ :

ابـنـكـ عـلـيـ اـولـيـ بـكـ منـ بـعـدـكـ فإذاـ مضـيـ فـابـنـهـ مـحـمـدـ اـولـيـ بـهـ فإذاـ مضـيـ مـحـمـدـ فـابـنـهـ جـعـفـرـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ وـعـكـانـهـ فإذاـ مضـيـ جـعـفـرـ فـابـنـهـ مـوـسـىـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ فإذاـ مضـيـ مـوـسـىـ فـابـنـهـ عـلـيـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ فإذاـ مضـيـ عـلـيـ فـابـنـهـ مـحـمـدـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ فإذاـ مضـيـ مـحـمـدـ فـابـنـهـ عـلـيـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ فإذاـ مضـيـ عـلـيـ فـابـنـهـ الحـسـنـ اـولـيـ بـهـ منـ بـعـدـهـ فإذاـ مضـيـ الحـسـنـ وـقـعـتـ الغـيـرـيـةـ فـيـ التـاسـعـ مـنـ وـلـدـكـ فـهـذـهـ الـائـمـةـ التـسـعـ مـنـ صـلـبـكـ أـعـطـاهـمـ اللهـ عـلـمـيـ وـفـهـمـيـ طـيـبـتـهـمـ مـنـ طـيـقـيـ ماـ لـقـوـمـ يـؤـذـنـيـ فـيـهـمـ لـأـنـلـمـ اللهـ شـفـاعـيـ أـقـوـلـ :ـ وـتـأـوـيلـ آـيـةـ اـولـيـ الـأـرـحـامـ بـذـلـكـ بـالـغـ حدـ التـواتـرـ وـفـيـماـ نـقـلـنـاـ الـكـفـاـيـةـ كـنـمـوذـجـ.

وفي ملحقات الاحقاق ٣ : ٤١٨ ذكر نزولها في علي وأئمـةـ اـهـلـ الـبـيـتـ جـمـاعـةـ منـ أـئـمـةـ الـحـدـيـثـ منـهـ التـرمـذـيـ فيـ مـنـاقـبـ مـرـتضـويـ ٦٢ـ نـقـلـ اـتـفـاقـ الـمـفـسـرـيـنـ عـلـيـ نـزـولـهـاـ فـيـ عـلـيـ لـأـنـهـ الـذـيـ كـانـ مـؤـمـنـاـ وـمـهـاجـرـاـ وـبـنـ عـمـهـ وـمـنـهـ اـبـنـ مـرـدوـيـهـ فـيـ مـنـاقـبـ كـمـاـ فـيـ كـشـفـ الـغـمـةـ ٩٥ـ

وسلم (نسبة روحيا ، ثم اولى أرحامه روحيا ، ومن ثم اولى أرحام المؤمنين نسبيا ، تجمع هذه الثالثة وتعنيها ، قضية المناسبة في ادب اللفظ وحدب المعنى!).

ترى إذ تعني الآية فيما تعنيه الاولوية بالإمرة بين اولى أرحام الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) فلما ذا **﴿أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾** لا «من بعض»؟ لأنها تعني اولويات عدة هذه منها فلذوي أرحام الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) اولوية الإمارة من غيرهم ، ومن بينهم أنفسهم ، وكذلك الاولوية في الميراث بين اولى الأرحام ككل من المؤمنين والمهاجرين نسخا للتوارث بالأخوة ، ومن بينهم أنفسهم الأقرب فالأقرب.

ف . **﴿أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي ..﴾** هنا تعني اولوية في الامرمة عكس ما كان **﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾** انهم اولى بالنبي في امرته بعده من غيرهم ، وبعضهم اولى ببعض في ميراث الإمارة من غيرهم ، فعلي اولى بالنبي (صلى الله عليه وآلله وسلم) من غيره كما الحسان اولى بعلي من غيرهما وهلّم جرا الى قائمهم ، اولوية ذات بعدين ، من سوى اولى الأرحام ، ومن سواهم بينهم ، الأقرب فالأقرب فيما يحملون من معنى الرسالة وحقيقةها.

فللاولوية واجهتان : خاصة تخص اولى أرحام النبي (صلى الله عليه وآلله وسلم) بينهم أنفسهم ومن سواهم ، وعامة تعم اولى الأرحام كلهم في اولوية الميراث تعني تفاضلا بينهم وبين من سواهم من المؤمنين والمهاجرين نسخا للتوارث بالأخوة ، وتفاضلا بينهم أنفسهم بالقريب والأقرب ، فإنهم طبقات لا ترث كل تالية مع وجود السابقة ، ضابطة عامة صارمة في كل توارث .

إذا فالميراث فرضا وردا يختص بالأقرب رحما ، فكما لا نصيب لتاليه من فرضه كذلك مما زاد ، فان ترك بنتا من الطبقة الاولى لا سواها ، أخذت نصفه بالفرض : ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ ورد الباقى إليها آية ﴿أُولُوا الْأَرْحَامُ﴾ فانها مطلقة في الميراث ، وليس لسائر الطبقات معها ولا للعصبة حق من زائد الفرض ، حيث البنت اولى بايه من بعدها لأنها أقرب ، وإذا كان ذو فرض ليس معه اي وارث من طبقاته فله المال كله فرضا وردا<sup>(١)</sup>. ﴿... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعُلُوا إِلَى أُولَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

«إلا ..» استثناء فقط عن اولوية الميراث و «أوليائكم» تعم ولاية القرابة والمحبة والرقبة ، و «معروفة» يخص الثالث وما دونه بدليل آيات الوصية بالثالث ، وما يدل على مثلث الولاية : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup> (٤ : ٨).

و «كان ذلك» قد يعني هذه الثلاث كلها ، مما يدل على ان الوراثة بالإخاء كانت مؤقتة في ربح من بداية الدولة الاسلامية مصلحة.

وهل خصت فاطمة الصديقة عن آية ﴿أُولُوا الْأَرْحَامُ﴾ فكان سائر المؤمنين اولى منها بفكك وغير فدك ام لم تكن هي من اولى ارحام الرسول

(١) في الكافي بسانده عن حنان قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اي شيء للمولى؟ فقال : ليس لهم من الميراث الا ما قال الله عز وجل ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعُلُوا إِلَى أُولَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾.

(٢) في أحاديث متظافرة ان عليا (عليه السلام) اعطى الميراث كله لخالة دون المولى او بيت المال إذا كانت وحدها ليس معها وارث غيرها.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ام . انها ولا سمح الله . كانت كافرة لا ترث أبيهما؟ سلوا الخليفة أبا بكر وزميله عمر عن هذه المسألة تسمعون الحديث المختلق «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» ثم سلوها تجبيكم بآيات الإرث ، رداً لحديث الخليفة إلى كتاب الله وضرباً عليه عرض الحائط لمخالفة الكتاب في خطبتها وقد نقلها أمّة الحديث بما لا نكير عليه<sup>(١)</sup> .

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيشَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيشَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٨).**

ميثاق واحد مطرد يشمل كافة «النبيين» فإنه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخله ، و «ميثاقهم» يوحى باختصاصه بهم لا يعودهم إلى سواهم من نبي أو مرسلي غير نبي حيث «النبيين» هم أولوا النبوة والرقة بين المرسلين فضلاً عن دونهم من نبي لم يرسل فضلاً عن أن ينبو في رسالته!

فلو كان الميثاق لعامة المسلمين لكان «من المسلمين» ام ولعامة من يوحى إليهم وان لم يرسلوا لكان «النبيين» ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام أولاء ولكنه «من النبيين».

هنا ميثاق منهم يعمهم ، لأمر مَا يهمهم كلّهم في هامة النبوة ، وفي اخر ميثاق آخر منهم كلّهم لإيمانهم ونصرتهم لآخرهم مبعثاً وأولهم ميثاقاً : **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ**

(١) ومنهم احمد بن أبي طاهر البغدادي في بلالات النساء ١٤ وابن أبي الحديد في شرح النهج ٤ : ٧٨ و ٩٢ و عمر رضا كحاله في أعلام النساء ٣ : ١٢٠٨ وابو بكر الجوهري في كتابه على ما في تظلم الزهراء ٣٨ .

رَسُولُ مُصَدِّقٍ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُ بِهِ وَلَنَتَصْرُونَهُ قَالَ أَفَقَرَرْنَمْ وَأَخَذْنَمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ (٣) هنا إصر بإقرار وشهادة لميثاق اليمان والنصرة بهذا الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وهنالك ميثاق غليظ ، فأين ميثاق من ميثاق ، كما البون بينهم وبين خاتم النبيين !

وفيما هنالك ايضا نراه يتتصدر في ميثاقهم : «ومنك» وهو آخرهم ، مما يوحى باوليته ميثاقا ونبوة ورفة ومن ثم «من نوح» ومن بعده حسب الترتيب الرسالي لا الرسولي. وهنا ترتيب ثلاثي بعموم النص لـ «النبيين» واحتصاص صاحب الرسالة الاخيرة بينهم «ومنك» ثم احتصاص ثان بين من دارت عليهم الرحى ، يهدف الى بيان محتده الاول في نبوته وميثاقه ومنازله الرسالية والرسولية بينهم ، وكما يبين ان الخمس المذكورين هم أفضل النبيين ككل.

ففيما يسئل : متى أخذ ميثاقك؟<sup>(١)</sup> (٢) «متى استتبنت؟»؟ «متى كنت نبيا»<sup>(٣)</sup>  
«متى وجبت لك النبوة»<sup>(٤)</sup> «متى جعلت نبيا؟»؟

(١) الدر المنشور ٥ : ١٨٤ . اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)!:!

(٢) المصدر اخرج ابن سعد قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)! : ..

(٣) المصدر اخرج البزار والطبراني في الأوسط وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم):.. وأخرجه مثله احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن مسيرة الفخر قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)! ::.. واجز مثله ابن سعد عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير ان رجلا سأله رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ..

(٤) المصدر اخرج الحاكم وابو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة قال قيل للنبي (صلى -

(١)؟ يجيب : «وَآدَمْ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» . «وَآدَمْ مِنْ جَدْلِ فِي الطَّينِ» «وَآدَمْ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْطَّينِ» وكان إذا قرأ الآية قال : بدأ بي في الخير وكنت آخرهم فيبعث (٢) «كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم فيبعث فبداء بي قبلهم» (٣) وعلى الجملة «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» (٤) فهل يعني من نبوته «وَآدَمْ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» نبوته في علم الله؟ وقد كان يعلمها قبل أن يخلق الخلق! وكان يعلم نبوة سائر النبيين كذلك ، وذلك مخصوص به. او يعني كونه مخلوقاً قبل خلق آدم أبيه؟ ولم يخلق إلا من أبيه! ام يعني نبوته في الروح قبل ان يخلق جسده من آدم ، فكونه قبله . إذا . ليس كونه ككل فاما هو نبوته؟ والقرآن ينص على ان واقع نبوته كان بعد روح من خلقه في جسده!

ام يعني منها كيان نبوته حينذاك لا كونها كما كان يوم مبعثه ، وكما تدل عليه آية الميثاق له ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ ... لَثُؤْمِنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّ﴾ ولا نبي كمثله يؤخذ على من قبله ميثاق نصرته والآيمان به وهو لم يبعث بعد؟ وهذا صحيح في نفسه ولكم الميثاق المأخوذ عليه بينهم وقبلهم هنا

. الله عليه وآله وسلم) .. قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.

(١) المصدر اخرج ابو نعيم عن الصنابجي قال قال عمر :

(٢) المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن قتادة قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قرأ ...

(٣) المصدر اخرج الحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية : ...

(٤) كما استفاض من طرق الامامية.

يتطلب له كوننا يجنب ذلك الكيان ، فهم كلهم مشتركون في كون ما ، أخذ عليهم فيه الميثاق العام ، وهو قبلهم في ذلك الكون اضافة الى ذلك الكيان.

فقد كان قبل ان يخلق ويعث نبيا له كيان الایمان به والنصرة له من النبيين أجمع ، كما له كون في الروح قبل خلقه ككل وقبل بلوغه ذرورة النبوة ، وقد يصلح هذا المعنى لقوله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أخذ علي الميثاق واستبنت وآدم بين الروح والجسد <sup>(١)</sup>.

(١) تفسير البرهان ٣ : ح ٢٩٤ علي بن ابراهيم قال حدثني أبي عن النضر بن سويد عن ابن سنان قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) اول من سبق الى الميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وذلك انه كان اقرب للخلق الى الله وما كان بالمكان الذي قال له جبريل لما اسرى به الى السماء تقدم يا محمد لقد وطئت موطنك لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسلا ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه فكان من الله عز وجل كما قال الله كفاب قوسين او ادنى اي بل ادنى فلما خرج الأمر وقع من الله الى أوليائه عليهم السلام ، فقال الصادق (عليه السلام) كان الميثاق مأخوذًا عليهم لله بالريوبنة ولرسوله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بالنبوة ولأمير المؤمنين وأئمة الهدادين (عليهم السلام) أئمتكم؟ قالوا : بلى فقال الله : شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي لئلا تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فا قول ما أخذ الله الميثاق على الانبياء له بالريوبنة وهو قوله : وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم فذكر جملة الانبياء ثم ابرز عز وجل افضلهم بالاسمي فقال : ومنك يا محمد فقدم رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) لأنه افضلهم ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فهو لاء الخمسة افضل الانبياء رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) افضلهم ثم أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) على الایمان به وعلى ان ينصروا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) لتؤمنن به ولتنصرنـه يعني امير المؤمنين (عليه السلام) تخبروا أممكم بخبره وخبر ولـيه من الائمة (عليه السلام)

عرفنا الميثاق له منهم في نصرة له وایمان به هما لزام نبوحكم ، وإيتاء الكتاب والحكمة لهم ، فما هو الميثاق الذي يعمه معهم ﴿وَأَخْذُنَا مِنْهُمْ مِيثاقي غَلِيظاً﴾؟.

قد يعنيهما «منهم» دون «منكم» وقد كان يتطلبه «ومنك» خطاب الحاضر ، ﴿أَخْذُنَا مِنْهُمْ﴾ لك كما في آية آل عمران ، وأخذنا منهم وأنت فيهم كما هنا ، فغلوظ الميثاق علّه لغلوظ الموثوق له ، فميثاقهم ككل «ميثاقهم» و ﴿مِيثاقي النَّبِيِّينَ﴾ لك ﴿مِيثاقي غَلِيظاً﴾ اما ذا؟

قد نتعرف الى ميثاقهم كلهم من ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ ومن سؤالهم أنفسهم ألا يتحرجو في الإنذار كما أمروا : ﴿كِتَابٌ أُنزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكْرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أُنزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ... فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلَنَا إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كَانَ غَائِبِينَ﴾ (٧ : ٧) ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِنَا﴾ (٣٣ : ٢٣٨)

وأول الإنذار الجماعي هو عن الإشراك بالله ﴿وَسْأَلَنَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَهْلَهُ يُعْبُدُونَ﴾ (٤٣ : ٤٥) وألا يسألوا أجرا على بلاغهم ويستقيموا اليه .

كذلك والسنة الجماهيرية الرسالية ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢١ : ٩٢) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُّو فِيهِ﴾ (٤٢ : ١٣). ثم و ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ لها واجهتان كما للميثاق ، فـ «الصادقين» المسؤولين عن ميثاقهم له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هم

النبيون ، إذ يسألون عن صدقهم في إقرارهم وأخذهم الإصر في ميثاقهم ليؤمنن به ولينصرنه ﴿وَأَعَدَ لِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الرسالة الأخيرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾

وفي واجهة عامة يسأل الصادقون . النبيون . عن صدقهم في ميثاقهم ، والصادقون سواهم كذلك ، والمسئول والمسئول عنه شاهدا صدق على صدقهم (عليهم السلام) فيما كان عليهم .

وكما يسأل الصادقون الآخرون عن صدقهم في تصديقهم لهم (صلوات الله عليهم) وتطبيقهم شرعاً ﴿وَأَعَدَ لِلْكَافِرِينَ﴾ تصدقوا او تطبقوا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

ثم وفي وجهة عامة ﴿لِيَسْتَأْنَ الصَّادِقِينَ﴾ من نبيين وسواهم «عن صدقهم» فيما حملوا ، هل عملوا بما تحملوا من تبليغ ومن تطبيق ، وقد تعنيها الآية كلها ، فالكل مسئولون عما أرسلوا وعما حملوا وتحملوا بما اعتقدوا و .. ﴿بِيَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجْبَتُمْ ..﴾ (٥ : ١٠٩) .

ذلك ميثاق غليظ على النبيين أجمعين ليسئلهم «الصادقين» عن صدقهم <sup>(١)</sup> وليسأل الصادقين المرسل إليهم عن صدقهم أولاء وعن صدقهم أنفسهم

(١) الدر المنشور ٥ : ١٨٣ . اخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل عن أبي مرير الغساني ان أعرابيا قال يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما اول نبوتكم؟ قال : أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ ...﴾ ودعاة أبي ابراهيم قال : وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة المسيح بن مرير ورأت ام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في منامها انه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام .

في تصديقهم ، مما قد يلمح بأخذ الميثاق من المرسل إليهم مع المسلمين ، وعلّه من فطّرهم أما ذا ما هو حجة عليهم ، إذ لم يكونوا قبل كونهم في كون أو كيان به يعقلون<sup>(١)</sup> وقد يعنيه الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيما يرويه «خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعريشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيديه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلنا يدي الرحمن يمين فاما اصحاب اليمين فاستجابوا اليه ... قال قائل فما العمل فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يعمل كل قوم لمنزلتهم»<sup>(٢)</sup> فأهل اليمين هو من استجاب لفطّرته خلاف أهل الشمال ، دون ان يسبقهم عالم قبل خلقهم إذ لا يذكره احد فكيف يكون حجة عليه اللهم إلّا أحكام الفطرة التي فطر الناس عليها!

(١) المصدر اخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليس من عالم الا وقد أخذ الله ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين يدفع عنه مساويا عمله لمحاسن عمله الا انه لا يوحى اليه.

(٢) المصدر اخرج الطيالسي والطبراني وابن مردويه عن أبي العالية قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ... فاستجابوا اليه فقالوا ليك ربنا وسعديك قال المست بربكم قالوا بلى فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم يا رب لم خلطت بيننا فان لهم اعملا من دون ذلك هم لها عاملون؟ قال : ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم (عليه السلام) فأهل الجنة أهلها واهل النار أهلها فقال قائل فما العمل فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ... فقال ابن الخطاب اذن نجتهد يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتُكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِبَاحاً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَتَاجَرَ وَتَطَئُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْنُلَكَ الْمُؤْمِنُونَ وَرَأَلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ يِقْرَبُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوهُ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ التَّيِّنَ يَقُولُونَ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُتِّلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَّوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا إِلَّا

يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُوْلُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقُتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْمٌ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبُلْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشَحَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحُوقُ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْرُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحُوقُ سَلَقُوكُمْ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ أَشَحَّهُ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَدْهُوا

وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِي كُمْ مَا  
قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِعْنَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ  
فِيهِمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِي اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ  
وَبَعْدَبِ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعَيْنِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقُتْبَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)

وَأَنْزَلَ اللَّهُدِينَ ظَاهِرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُؤْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

### غزوة الأحزاب . الخندق؟!

لقد جند الكفر أحزابه وتجمع خيله ورجله في خندق واحد ضد الإيمان كله حول المدينة المنورة ، وهنا مقطع من سورة الأحزاب في تسعه عشر آية ، يتحدث عن غزوة الأحزاب كحدث ضخم من الأحداث التي ابتدأ بها المسلمون في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْلُوا زِلْزاً شَدِيدًا﴾ يتحدث هنا عن موقف المؤمنين ووقفة المنافقين بينهم وبين الأحزاب مزععين ، وموقف النعمة الخاصة الربانية التي خصتهم في تلکم الزلزال والزعزعة ، مما يتوجب عليه أن يدخلوه زادا لهم في عراقيل السبيل إلى تحكيم الدولة الإسلامية على مرّ الزمن حتى تقوم الدولة الإسلامية العالمية زمن المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

غزوة الأحزاب . في السنة الرابعة او الخامسة من الهجرة . كانت

امتحاناً للمؤمنين ، وامتهاناً للمنافقين ، ومدحراً للأحزاب الكافرة التي استهدفت بتحريها الجماعي الجماهيري استئصال ناشئة الإسلام ، فاندحرت هي رغم عدتها وعدتها الهائلة ﴿وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِظِّتِهِمْ لَمْ يَسْأَلُوا حَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ . وأنزلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَدَّافٍ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فِرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَورْثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْوُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ .

لقد تحزب المشركون واليهود بأسرهم ، ومعهم اضراهم من منافقين وسواهم تدخلوا في حرب او تخلفوا عن حربهم ، فحلّقوا على المدينة من فوق ومن أسفل حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنّ ظانون بالله الظنو ، وابتلي المؤمنين وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وقال المنافقون قولتهم وفعلوا فعلتهم ، وهنالك أدرك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين نصر من الله فـ ﴿كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ ! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جَنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحَماً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩).

في هذا العرض الوجيز تبدأ المعركة وتختتم بعناصرها الغبية الحاسمة لها لصالح المؤمنين ، و﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ دون «نعمه من الله» توحّي أنها كانت لذئبة خاصة ، لأن نعمة النصرة اليمانية منحصرة فيها منحصرة عن سواها ، فهنالك هجمة الأحزاب ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جَنُودٌ﴾ ففاجأوها ما لم يخلد بخلدها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحَماً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ . وقد قال الرسول

(صلى الله عليه وآلـه وسلم) يوم الأحزاب : «الآن نغزوهم ولا يغزونا» <sup>(١)</sup>.  
وكيف تخذلوا ضد المؤمنين بكل طاقاتهم وامكانياتهم ، وكيف قتلوا وأسرموا وحسروا  
وانحسروا دون حرب طاحنة؟ <sup>(٢)</sup> فهذه الآيات يقص

---

(١) الدر المنشور ٥ : ١٩٢ . اخرج احمد والبخاري وابن مardonie عن سليمان بن صرر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يوم الأحزاب : ..

(٢) علي بن ابراهيم القمي يذكر قصة الأحزاب بتفصيل يقول فيه .. فانها نزلت في قصة الأحزاب من قريش والعرب الذين تخذلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وذلك ان قريشا تجمعت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب وجلدو واستغفزوا لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فوافوا في عشرة آلاف ومعهم كنانة وسليم وفرازة وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) حين اجلىبني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حي ابن اخطب وهم يهود منبني هارون فنجا أحدهم من المدينة صاروا الى خير وخرج حي بن اخطب الى قريش بمكة وقال لهم ان محمدًا (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قد وتركم ووتربنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا وأجلا بين عمنا بني قينقاع فسيراوا في الأرض واجعوا حلفاءكم وغيرهم وسيروا إليهم فإنه قد بقي من قومي يشرب سبعمائة مقاتل وهو بنو قريظة وبينهم وبين محمد عهد وميثاق وانا احملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ويكونوا معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل وكان موضع بيبي قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمى بئر بني المطلب فلم يزل يسير معهم حي بن اخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والأقمع بن حابس في قومه والعباس بن مردارس فيبني سليم بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فاستشار .

القصة كما يتضمن رعوس أقلامها وكما يضمن بقاءها على مدّ الزمن غوذجا بارعا من نماذج النصر ، كاشفة لهم من جوانبها ما لم يدركوها ، ويلقي

. أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان يا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ان القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة ولا يمكنهم ان يأتونا من كل وجه فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهنـا من عدونا خفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة فنزل جرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقال : أشار بصواب فامر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بخفرة من ناحية أحد الى راتج وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوما من المهاجرين والأنصار يخفرونـه فامر فحملت المساحي والمعاول وببدأ رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأخذ معلاـه فحفر في موضع المهاجرين بنفسه وامير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الخفرة حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وعيـي وقال : لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم للأنصار والمهاجرة فلما نظر الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يخفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب فلما كان في اليوم الثاني بكروا الى الحفر وقعد رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في مسجد الفتح فبينـا المهاجرون والأنصار يخفرونـه إذ عرض لهم جبل لم يعمل المعاول فيه فبعثوا جابر بن عبد الله الانصاري الى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يعلمه بذلك قال جابر فجئت الى المسجد ورسول الله مستلقـي على قفاه ورداءه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجرا فقلـت يا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه فقام مسرعا حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجلـيه ثم شرب ومجـ في ذلك الماء ثم صبه على ذلك الحجر ثم أخذ معلاـه فضرب ضربـة فبرقت برقة فنظرنا فيها الى قصور اليمـن فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) اما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق ثم انـهـاـلـ علينا الجبل كما ينهـاـلـ علينا الرمل فقال جابر : فعلمـت ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) مـقوـاـيـ جـائـعـ لما رأـيـتـ علىـ بطـنهـ الحـجـرـ فـقـلـتـ ياـ رسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ هـلـ لـكـ فـيـ الغـنـاءـ؟ـ قـالـ :ـ مـاـ عـنـدـكـ ياـ جـابـرـ؟ـ فـقـلـتـ :ـ عـنـاقـ .ـ

اضواء منها على سراديب النفوس ومنحنيات القلوب ومحبتات الضمائر ولكي يتدرّبوا ويتأدّبوا  
بعادات الحرب الدفاعية الوقائية كيما كانت عدّة المهاجمين وعدّهم وتلك نعمة منقطعة  
النظير في هكذا الخطر الخطير ﴿إِذْ جَاءَتُكُمْ جُنُودٌ﴾ من فوقكم ومن أسفل منكم ..  
 ﴿وَتَلَقَّبُتِ الْقُلُوبُ الْخَاجِرِ﴾ وابتليتم وزلتكم زلا لا شديدا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحَابًا﴾ راحت بها  
راحتهم وانزاحت عدّهم وعدّهم ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرُوهَا﴾ وعلّهم رأوها وهابوها فاخربموا دون  
حرب طاحنة

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

قد تكون هذه الريح ريح الصبا كما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup>  
والجنود عليهم من الملائكة المردفين كما في آية أخرى.

﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَتَلَاقَتِ الْقُلُوبُ الْخَاجِرِ  
وَتَظَاهَرُوا بِاللَّهِ الظَّاهِرًا﴾ (١٠).

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ هما جانبان من جوانب المدينة ، والمهاجمون على  
آخرهم حربان : اليهود والمشركون ، إذا فأخذهما ﴿جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ والآخر ﴿مِنْ أَسْفَلَ  
مِنْكُمْ﴾ وطبعا المشركون من جانب مكة فهو جانبها الغربي : ﴿مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فأحزاب  
اليهود من

. الأثنى من أولاد المعز) وصاع من شعير فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدم وأصلاح ما عندك قال جابر  
فجئت الى أهلي فأمرتني فطحنت الشعير وذبحت العنزة وسلختها وأمرتني ان تجز وتطبخ وتشوي فلما فرغت من  
ذلك جئت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) الدر المنشور ٥ : ١٨٥ . اخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله  
(صلى الله عليه وآله وسلم): نصرت بالصبا وأهلقت عاد بالدبور.

الجانب المقابل الشرقي : من فوقكم ، وما ألطافه تعبيرا للشرقي بالفوق حيث اليهود كانوا قريين منهم كأنهم فوق رءوسهم وان المشرق فوق إذ تتفوق فيه الشمس فهو يتفوق المغرب ، وما ألطافه للغربي ﴿أَسْفَلَ مِنْكُم﴾ «لأسفلكم» فإنهم كانوا بعيدين عنهم وفي الجانب الغربي وهو سفل الشمس.

ثم جاءون من فوق كانوا أخطر لقربهم مكانا وبعدهم عن التهجم لمكان العهود التي وثبتت بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمفاجئتهم أخطر ، وخطورهم أكثر ، ولكنما المشركون كانوا أسفل بعد المكان والتهيئ لهم أكثر مما لليهود بفارق عدم الميثاق . هنا تمثل صورة المهوو الفظيع الفجيع التي سلبت من جموع المؤمنين أبصارهم : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ وقلبت قلوبهم : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِ﴾ فخلفت ظنونا لا تليق بساحة اليمان : «وتظنون بالله الظنوـنا إنـهم إـذ يـرون الـحق كـله معـهم والـباطـل كـله معـ الأـحزـاب ، ثم يـفاجـعون بـجـهـةـ الـنـكـرـاءـ الـدـهـيـاءـ الـدـهـيـاءـ ، فـكـيفـ تـظـلـ أـبـصـارـهـمـ كـعـادـحـاـ لـاتـرـيـغـ ، وـقـلـوـبـهـمـ فيـ مـكـانـاهـاـ لـاـ تـبـلـغـ الـخـنـاجـ ، وـلـكـنـ لـمـاـذاـ ﴿تـظـنـونـ بـالـلـهـ الـظـنـوـناـ﴾ دونـ انـ تـرـوـنـهاـ اـمـتـحـانـاـ وـبـلـاءـ دـوـنـ اـمـتـهـانـةـ لـعـاءـ .

زيغ الأبصار هو انحرافها عن حق الإبصار إذ أبصروا الأحزاب هاجمة ، وبلغ القلوب الخنجر يصور مدى الخوف حيث كادت تزهق به النفوس .. وهذه حالة المجموعة من ضعفاء اليمان والمنافقين ، وأما المؤمنون الحقيقيون ﴿وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٣٣).

قصة الأحزاب هنا ترسم مربعا من وسطها للمهاجمين ، وللمؤمنين ، وضعفاء اليمان ، وللمنافقين ، فتوضّح لكل دوره

﴿هُنَالِكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُزْلُوا زَلْزاً شَدِيداً﴾ (١١).

في هذه البلية الزلزال نجح أقوياء اليمان : ﴿وَلَمَّا رأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ﴾ وزلزلة  
الإخفاء وبسطاء اليمان : ﴿إِذْ رَأَيْتَ الْأَبْصَارُ...﴾ ويز كامن النفاق من المنافقين المدعين  
اليمان ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ...﴾ وقد تشمل الكل ﴿هُنَالِكَ ابْنُ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ ام  
وقبلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ فإنهم آمنوا بآمنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وبسطاء : ﴿وَلَمَّا  
يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ولكنما الأقوياء آمنوا بقلوبهم كما آمنوا بآمنتهم ففيما بلغت  
قلوبهم الحناجر قالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! هل من شيء نقول فقد بلغت  
القلوب الحناجر؟ قال : نعم قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن رواعتنا فضرب الله وجوه أعدائه  
بالريح فهزهم الله بالريح»<sup>(١)</sup>

(١) الدر المثير ٥ : ١٨٥ . اخرج احمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يوم الحندق يا رسول الله (ص)! ... وفيه اخرج الحكم وصححه وابن مرودية وابن عساكر وابو نعيم والبيهقي كلامها في الدلائل من طرق عن حذيفة قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وابو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقعنا وقريضة اليهود أسفل خافهم على ذارينا وما أنت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى احد متى إصبعه فجعل المنافقون يستأنذنون النبي ...  
وفيه اخرج الفريابي وابن عساكر عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال رجل لو أدركك رسول الله (ص)  
لحملته وفقلت فقال حذيفة لقد رأيتني ليلة الأحزاب ونحن مع رسول الله (ص) فكان رسول الله (ص) يصلي من الليل في ليلة باردة ما قبله ولا بعده برد كان أشد منه فحان وقت التفاة فقال (ص) : ألا رجل يذهب الى هؤلاء فيأتيها بخبرهم جعله الله مع يوم القيمة؟ قال : فما قام متى انسان قال : فسكتوا ثم عاد فسكتوا ثم قال يا أبي بكر  
ثم قال استغفر الله رسوله ثم قال : ان شئت ذهبت فقال يا عمر فقال استغفر الله ورسوله ثم قال (ص) : يا حذيفة؟ فقلت : ليك فقمت حتى أتيت وان جنبي .

وليس ذلك الابتلاء الرزوال للمؤمنين ليختص بما مضى وهم حضور لدى الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، فان له أشباهها ونظائر قد تكون ابلی لما مضى وكما يبتلون زمن الغيبة ولا سيما في أواخرها ، وليس الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) فيهم ولا أحد من عترته إلّا الغائب وكما يروى عن امير المؤمنين (عليه وآلها وسلم): «أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستورا والباطل ظاهرا مشهورا وذلك إذا كان أولى الناس به أعداءهم له واقترب الوعد الحق وعظم الإلحاد وظهر الفساد هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزا شديدا وخلهم الآخيار اسماء الأشرار فيكون جهد المؤمن ان يحفظ مهجته من اقرب الناس اليه ثم يفتح الله الفرج لأوليائه ويظهر صاحب الأمر على أعدائه»<sup>(١)</sup>.

ان دور المنافقين في هذا الوسط كان أنسخ دور وأتعسه ، تندد بهم عديد من آيات

القصة شديد في أبوابهم الجهنمية السبع :

**١ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾** (١٢).

كلمة تكلم القلوب وتجرح الأكباد ، يقولونها في هذه البلاء الرزوال

. ليضربان من البرد فمسح رأسي ووجهي ثم قال : أئت هؤلاء القوم حتى تأثينا بخبرهم ولا تحدث حدثا حتى ترجع ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه قال فلان يكون أرسلها كان أحب إلي من الدنيا ، وما فيها قال فانطلقت فأخذت امشي في حمام قال فوجدهم قد أرسل عليهم رجلا فقطعت اطناجم وأبنائهم وذهبت بخيولهم ولم تدع شيئا الا أهلكته قال : وابو سفيان قاعد يصطلي عند نار له ، قال فنظرت فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي قال وكان حذيفة راميا فذكرت رسول الله (ص) لا تحدثن حدثا حتى ترجع قال : فرددت سهمي في كناني ...

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٤٢ ح ٣٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين حديث طويل يقول فيه : ..

لتأخذ مجالاتها من قلوب الناشئة ولما يدخل الایمان في قلوبهم ، ومن قلوب ضعفاء الایمان ، لا سيما وهم كانوا من يتشفرون في مظاهر الایمان ويتسابقون ، فهم قد يعتبرون وعد النصر والإنتصار من الله ورسوله غرورا ، يقوله المنافقون ويتبعهم الذين في قلوبهم مرض الشك وشائبه النفاق ، فيصبحان حربا واحدا في هذه الدعاية النكراء.

**﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** حينما تفرد تعني في الأكثـر . المنافقين وحينما تقرن بالمنافقين تعني من يحن إليهم وبهواهم **﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هُوَلَاءُ دِينُهُمْ﴾** (٤٩ : ٨) **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾** (٣٢ : ٦٠) وقد يعني المرض دونهما كما الشهوة : **﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** (٣٣ : ٣٢) وكل انحراف في القلب مرض عقديا او علميا او أخلاقيا أما ذا؟.

فقد وجد هؤلاء الأوغاد الأنكاد في هذا البلاء المزلزل والشدة الآخنة بالختاق فرصة للكشف عن امراض قلوبهم وهم آمنون ألا لومة عليهم ، والمجالة آهلة ، والريبة آخذة مجaha من قلوب بلغت الخاجر ، فالواقع المزلزل بظاهره يصدقهم في غرورهم كأنهم منطبقيون في قولتهم في هذا المسرح الهائل ، حيث أزيح عن قلوب البسطاء والأخفاء ذلك ستار الرقيق من تحمل الإيمان ، وهذه هي سيرة النفاق ، تفتش عن المجالات الأسرع تأثرا والأوقع تحسرا ، زرعا للشكوك فيها ، وحصدا للناشئة لتنضم إلى حزبهم وهنالك الطامة الكبرى.

لكنما الله يكشف دوما عن نواياهم وجنایاهم ، تعريفا بهم ومختلف الشبابيك من نفاقهم ، ومؤتلف الشبكات من مكائدhem :

**﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَنَّ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجُعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾** (١٣).

ذلك بعد ما جنّد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المؤمنين أمام الخندق حول المدينة ، في صفوف متراصة متربصة وفيهم منافقون ، هنا يخاطبون اهل يشرب المدينة خطاب الترهيب من العدو الرهيب ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ وهو مفعل من الإقامة ، مصدرًا باسم زمان ومكان ، لا إقامة لكم ها هنا دفاعًا او هجوما إلا انهزاما ، ولا زمانها ولا مكانها ، إذ لا قبل لكم في أصل المقاومة ولا زمانها ولا مكانها ، والانهزام كائن في مثلثه لا محالة «فارجعوا» الى منازلكم وقد تكون بيوتكم عورة ، او تهاجم من قبل العدو وأنتم هنا في معركة خاسرة؟! يحرضون هكذا أهل المدينة على ترك الصفوف بدعاوة خبيثة تأتي النفوس من ثغرتها الضعيفة ، من مهد الخطر وجامح الهول والغيرة على البيوت العودة كما : ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣).

اخهم في ثالوث الخيانة بزعزعة الجيش ، دعاية لرجوعهم واستئذانا لأنفسهم ، أو رجوعا دون إذن ، ومعهم متشاقلون لم يحضرروا الصفوف ، وأخطر زواياه ﴿وَيَسْتَأْذِنُ .. إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ..﴾ ذليلة الحيطان وهي في أقصى المدينة (١). لكي يوجهوا زحفهم بوجهة الاستئذان لحفظ العورة ،

(١) الدر المنشور ٥ : ١٨٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن السري في الآية .. فارجعوا قال : الى المدينة عن قتال ابن سفيان ويستأذن فريق منهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : جاءه رجلان من الأنصار من بنى حارثة أحدهما يدعى أبا عراة بن أوس والآخر يدعى أوس بن قيطى فقالا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ان بيوتنا عورة يعنيون انها ذليلة الحيطان ونحن في أقصى المدينة ونحن نخاف السرق فائذن لنا فقال الله : ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ .

ويحرضوا غيرهم بظاهر الغيرة على العورة فاستأصالا لصفوف الجيش.

ويشرب : المدينة . الطيبة : مدينة تأكل القرى تنفي الناس كما ينفي الكبير حيث الحديد <sup>(١)</sup> فلان الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) سكناها وأسس دولة الإسلام فيها ، ثم توفي ودفن فيها ، فهي إذا مدينة إذ مدحنا الرسول ، وطيبة إذ طيبها.

٤ . ﴿وَلُوْ دُخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتُوهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (١٤).

«لو دخلت» المدينة «عليهم» : المنافقين والذين في قلوبهم مرض «من أقطارها» : وكل جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ : ان يفتنتوا مع الداخلين ضد المؤمنين «لآتواها» : الفتنة ، تاركين بيوقتهم العورة لينضموا الى الداخلين ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ بقاء في بيوقتهم العورة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ما تيسر لهم في لبئهم! ام «لو دخلت» بيوقتهم العورة من أقطار المدينة «ثُمَّ سُئلوا فتنة الحرب مع المؤمنين لآتوا الفتنة خارج بيوقتهم وما تلبثوا بيوقتهم الا يسيرا!

ام «لو دخلت» اي مدخل منهم ، ثم سُئلوا فتنة الردة الى الكفر لآتواها وما تلبثوا بيوقتهم العورة إلا قليلا ولماذا «لو» إحالة للدخول عليهم؟ حيث الكافرون لا يدخلون عليهم محاربين! بل لسؤال الفتنة

(١) المصدر وخرج مالك واحد وعبد الرزاق والبخاري ومسلم وابن مروي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم): أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يشرب وهي المدينة تنفي .. وخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مروي عن البراء بن عازب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) من سمي المدينة يشرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة وخرج ابن مروي عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : لا تدعونها يشرب فانها طيبة يعني المدينة ومن قال يشرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة.

الردة والمشاركة في الهجمة على المؤمنين! فهناك ينسون البيوت العورة إذ يجدون آماهم من اضراهم ، ولا يخافون على بيوتهم من المؤمنين أقىن ذا؟!

ذلك شأنهم الشائن والأعداء بعد خارج المدينة ، يعتذرون في الخطر المتوقع للفرار ، أن بيتنا عورة ، ولكنهم في واقع الخطر **﴿لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا﴾** يعكسون الأمر إذ يأتون الفتنة والردة من بيوتهم العورة إذ لا تهمهم ، وإنما تهمهم الفتنة أن يأتوها حبوا سرعا دون تلبث إلا يسيروا يأخذون عذتهم لما سئلوا!

هكذا يكشفهم القرآن في تنافض الشخصية المنافقة ، وانهم يولون الأدبار رغم ما عاهدوا الله :

٥ . **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسُؤُلًا﴾**(١٥).

أترى انه عهد اليمان لما آمنوا بآسئلتهم؟ ولا يخص **﴿لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ﴾**! ام عهده بهذا الحصوص؟ ولم يذكر في القرآن! ولكن «من قبل» ليس لزامه ذكره في القرآن ، فقد ذكر في الأثر أنهم همّوا أن يفشّلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يومها ، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا مثلها ابدا ، فهنا يندد بهم إن نقضوا عهدهم **﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسُؤُلًا﴾**!

ولماذا الفرار من الزحف ولا ينفعهم ، فليس إلا ضررا عليهم وفي الآخرة عذاب اليم :

٢ - **﴿فَلَنْ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُتَعْنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**(١٦).

«لن» تحيل نفع الفرار إن كان من الموت او القتل في المعركة ، أما معنويا فظاهر حيث الفرار عن الزحف خسار ، وأما بقاء في حياة الملوت او

القتل قدر لا مفر منه ولا منجي عنه : ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَبَّدَةٍ ..﴾ (٤ : ٧٨) ولعن آخرتم بفرار ﴿وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وكل متع الدنيا قليل ، فحتى إن كان كثيرا في فرار عن حكم الله ففي الآخرة عذاب النار وبئس الصير ، فمما الفرار إذا ولا يخلف إلا الخسار ، ولو نتفعكم ، وليس فرار العاقل إلا إلى نفع أو عن ضرر و «لن» !.

﴿فُلْ مَنْ ذَا أَذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧).

هنا لك يوحد إرادة السوء والرحمة في الله عدلا وفضلا ف . ﴿وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضَرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦ : ١٧).

آمنتكم إن فررتم من الزحف أن يريد الله بكم سوء فلا عاصم منه إلا هو ، او ان فررتم من الزحف ان يريد بكم رحمة فلا راد لفضلة إلا هو ، إذا فلما ذا الفرار عن رحمة الله الى نقمته ، ومن خيره الى ضره ، فهو لاء البعيدون البعيدون ﴿لَا يَجِدُونَ لَهُمْ﴾ هنا وهناك ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمرهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم في بأسهم !

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هُلُمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أشحاحه عليكم فإذا جاء الخوف رأيتمهم يتظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحاجه على الخير أولئك لم يؤمّنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً﴾ (١٩).

«قد» تحقق ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ إذ هو حقا يعلم المعوقين منكم : طن منافقين والذين في قلوبهم مرض ، تبيطا عن الحرب وصرفها في وهن القول

﴿مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا .. لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..﴾ وفي وهن الفعل ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ..﴾ تعويقاً لإخوانهم بقوله وفعلة مريضة ﴿وَالْفَائِلُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ : أضر ابراهيم في ضعف الإيمان ﴿هَلْمَ إِلَيْنَا﴾ تثبيطاً وفراراً ، وهم أنفسهم لا يأتون البأس إلا قليلاً منه وقليلاً منهم ، وهؤلاء القلة في القلة لا يثبتون في البأس بل يتبطرون ويتبطرون.

وقد يعني ﴿هَلْمَ إِلَيْنَا﴾ فيما يعني قوله فلان لرجل بجنبه من إخوانه أما ترى هذا الشيطان عمروا ما يفلت من يديه أحد فهموا ندفع إليه محمداً ليقتله وللحق بقومنا فأنزل الله آية المعوقين<sup>(١)</sup> وهنالك وقعت الطامة

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٠ فيما أورده القمي من القصة .. وأقبلت قريش فلما نظروا إلى الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقيل لهم : هذا من تدبیر الفارسي الذي معه فوافى عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب وضرار ابن الخطاب إلى الخندق وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قد صفت أصحابه بين يديه فصالحوا بخيالهم حتى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فصاروا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كلهم خلف رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وقدمو رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بين أيديهم وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه ... وركز عمرو بن عبد ود رمحه في الأرض واقبل يجول جولة ويرتجز ويقول : ولقد بحثت من النساء لجمعكم هل من مبارز ووقفت إذ جبن السجاع موقف القرن المناجز

أني كذلك لم أزل متسرعاً نحو المهازء ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : أنا له يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فقال يا علي! هذا عمرو بن عبدود فارس يليل فقال : أنا علي بن أبي طالب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ادن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار وقال له : اذهب وقاتل بهذا وقال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماليه ومن فوقه ومن تحته فمرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يهرب في مشيه وهو يقول : لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتوك غير عاجز ذو نية وبصيرة ولصدق منجي كل فائز

• اني لأرجو ان أقييم عليك فاتحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد المزاهز  
 فقال له عمرو من أنت؟ قال : انا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وختنه فقال :  
 والله ان أباك كان لي صديقا ونديما واني اكره قتلك ، ما امن ابن عمك حين بعثك الي ان اختطفك برمحي هذا  
 فأتركتك شائلا بين السماء والأرض لا حي ولا ميت؟ فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) قد علم ابن عمي انه  
 ان قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار وان قتلتك فأنت في النار وانا في الجنة! فقال عمرو : كلتها لك يا علي  
 تلك إذا قسمة ضيزي فقال علي (عليه السلام) دع هنا يا عمرو إني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة  
 تقول : لا يعرضن علي احد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته الى واحدة منها وانا اعرض إليك ثلاث خصال  
 فأجبي الى واحدة قال هات يا علي! قال : أحدها تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (صلى الله عليه  
 وآلہ وسلم) قال : نوح عنى هذا فاسأل الثانية ، فقال : ان ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله (صلى الله عليه  
 وآلہ وسلم) فان يك صادقا فأنتم أعلى به عينا وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره ، قال : إذا تحدث نساء  
 قريش وتنشد الشعرا في اشعارها اني جبنت ورجعت على عقي من الحرب وخذلت قوما رأسوني عليهم! فقال له  
 امير المؤمنين (عليه السلام) فالثالثة ان تنزل الى قتالي فانك فارس وانا راجل حتى أنا يذنك (اكاشفك وأقاتل) فوثب  
 عن فرسه وعرقه : (قطع عرقه) : عصب غليظ فوق العقب وقال : هذه خصلة ما ظننت ان أحدا من العرب  
 يسمعني عليها : (بكلفني إياها) ثم بدأ فضرب امير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف على رأسه فاقتاه امير المؤمنين  
 بالدربة الترس فقطعاها وثبت السييف على رأسه فقال له علي (عليه السلام) يا عمر وما كفاك اني بارزتك وأنت  
 فارس العرب حتى استعنت علي بظهير؟ فالتفت عمرو الى خلفه فضربه امير المؤمنين (عليه السلام) مسرعا الى  
 ساقيه فقطعاها جميعا وارتفاعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قتل علي بن أبي طالب ثم انكشف العجاجة ونظروا  
 فإذا امير المؤمنين (عليه السلام) على صدره قد أخذ بلحيته يريد ان يذبحه ثم أخذ رأسه واقبل الى رسول الله  
 (صلى الله عليه وآلہ وسلم) والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمر وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول : انا ابن  
 عبد المطلب الموت خير للفتى من المهر  
 فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يا علي (عليه السلام) ما كرتنه؟ قال : نعم يا رسول الله (صلى  
 الله عليه وآلہ وسلم) الحرب خديعة وبعث رسول الله (صلى .

الكبير إذ قتل الامام امير المؤمنين (عليه السلام) فارس يليل عمرو بن عبدود فتم اخزام الأحزاب ونزل جبريل بقوله «لا فتى إلا علي لا سيف الا ذو الفقار»! وعندها جرت الرياح وانهزم الكفار وو لولوا الأدبار فهم بين قتيل وجريح وأسير وفار! كما وقد يعني ﴿هَلْمَ إِنَّا﴾ موارد أخرى <sup>(١)</sup>.

٦ - ﴿شَحَّةً عَلَيْكُم﴾ : بخلاء في النفس والنفس والنفسيات ، وليسوا . فقط . لا يساعدون على بأس ، بل ويزيدون بأسا على باس وبؤسا في بأس بدعائهم السوء ، فكلهم كهزات وهزازات ضد المؤمنين ، وإن شأتم الشائن في نفاقهم العارم يبرز في خوف البأس وذهابه ،

---

. الله عليه وآله وسلم) الزبير الى هبيرة بن وهب فضرره على رأسه ضربة فلق هامته وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب ان يizar ضرار بن الخطاب فلما برق اليه ضرار انتزع له عمر سهما فقال له ضرار ويلك يا ابن صهاك أترمي في مبارزه والله لن رمي لا تركت عدوا بمكة الا قتله فانهزم عمر عند ذلك ومر نحوه ضرار وضرره ضرار على رأسه بالقناة ثم قال : احفظها يا عمر فاني آليت ألا اقتل قرشيا ما قدرت عليه فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولى ولاه.

(١) وفي الدر المنشور ٥ : ١٨٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في ﴿قَدْ يَعْلَمَ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ ..﴾ قال : هذا يوم الأحزاب انصرف رجل من عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف فقال له : أنت هنا في الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الرماح والسيوف قال : هل الي لقد بلغ بك وباصحابك والذي يخلف به لا يستقي لها محمد ابدا قال : كذبت والذي يخلف به وكان أخاه من أبيه وامه والله لأخرين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمرك وذهب الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره فوجده قد نزل جبريل (عليه السلام) بخبره «قد يعلم الله المعوقين وفيه اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : هؤلاء أناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوائهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لاتهم ابو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فإنه هالك والقائلين لإخوائهم إلى المؤمنين هلم إلينا اي دعوا محظوظ وأصحابه فإنه هالك ومقتول ولا يأتون بأس إلا قليلا قال : لا يحضرنون القتال إلا كارهين وان حضروه كانت أيديهم مع المسلمين وقلوبهم مع المشركين.

﴿فِإِذَا جَاءَ الْخُوفُ﴾ وهم بعد في المعركة قبل فرارهم ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ﴾ «خوفاً كما المختضر ، او نظرة الإذن للفرار ﴿كَالَّذِي يُغْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ صورة شاخصة واضحة الملامة تنبئ عن سيرة باخسة ، مضحكة مبكية تثير السخرية من هؤلاء الجنباء اللعناء ، حيث أخذتهم غشوة الموت فغابت حواسهم ، وأخذت أعينهم نظرة لزهاق أنفسهم !

﴿فِإِذَا ذَهَبَ الْخُوفُ﴾ وامنوا البأس «سلقوكم» ضربوكم طعنا ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ كأنها نيازك نارية ﴿شَحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يخلون عليكم أن زال الخوف عنكم بانتصاركم ، وهم يربون غالب العدو ، ويبخلون على ما غنمتم كأنه لهم كله أو يشاركون ، وهم لا نصيب لهم في الإنتصار !

﴿فِإِذَا ذَهَبَ الْخُوفُ﴾ أصبحت أسلتهم الخرس حداداً طوالاً لأنفسهم على المؤمنين ، وارتقت أصواتهم بعد الرعشة ، وانفتحت أوداجهم بكل رعنونة وعظمة ، وادعوا ادعاءاتهم الجوفاء دونما احتفال ولا حياء ، كأن لهم الفضل دون سواهم ، ولم يكن الفضل إلا لسوائهم ، ويا له من وقاحة حمقاء ونفاقه لعناء ! .

وهذا الجيل من النسناس دائبون في أسلتهم الحداد بين الناس ، صم بكم جنباء اعمياء أشداء لا حراك لهم حين البأس إلا ضد ا لصالح الناس ، فصحاء بلغاء حركون ثوريون في كل صرخة صيحاء. في الأمان والرخاء كأنهم هم الذين جاهدوا وغيرهم قاعدون.

«أولئك» المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ لما ادعوا اليمان ﴿فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُم﴾ باللإيمان ، حيث العمل غير النابع عن الإيمان حابط أيا كان ، كما الإيمان دون عمل خابط مهما كان أفضل من اللإيمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ مهما خيل إلى البسطاء ان لكثير العمل اثره وان لم يكن عن ايمان !

٧ . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَهْمُ بَاذُونَ فِي الْأَعْرَابِ  
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيْكُمْ مَا قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠).

«يحسبون» المنافقون «الأحزاب» المهاجمة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ حتى الآن حيث فروا عن رحفهم والخوف ما كن في قلوبهم لا يدعهم يحسبوهم ذهبوا ، وحتى إذا حسبوهم ذهبوا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ راجعين بعد ذهابهم «يودوا» الحاسبون ﴿لَوْ أَهْمُ بَاذُونَ﴾ خارجون في البادية خارج المدينة «في الاعراب» اهل البادية ، لا هم أمام الأحزاب في المعركة ولا هم في بيوتهم العورة ، وإنما ﴿بَاذُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ كسراء للأحزاب فكسالي ، او انكسارا منهم ففرجين ، فهذه حالتهم وليسوا فيكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيْكُمْ مَا قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم في قليل من الحرب مسايرة النفاق.

اهم لا يزالون في نعاش وارتعاش وتخاذل واستيحاش ف . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وملامح ذهابهم ظاهرة وهم البعيدون بعيدون عن المعركة ، يظلون خائفين لو ان الأحزاب ما ذهبت ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا﴾ هؤلاء الجنباء لو انهم لم يكونوا من قاطني المدينة ، بل هم بادون في الاعراب ، فليس لهم موقف مما يمضي في المدينة إلّا و ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ..﴾ !

وهذه سبعة من أبواب جحيم المنافقين المتخاللين بين الجماعة الناشئة المؤمنة : ١ .

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ..﴾ ٢ . ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُو ..﴾ ٣ . ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ الَّتِي  
..﴾ ٤ . ﴿وَلَوْ دُخِلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ..﴾ ٥ . ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ ..﴾ ٦ .  
﴿أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٧ . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ..﴾ !

ثم المؤمنون الصادقون الراجون الله والذاكرون له كثيرا ، لهم أسوة حسنة في رسول الله في هذه المعارك الصعبة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١).

«أسوة» من «اسو» : اسوت الجرح : داويته ، بخلاف الآسى : الحزن ، فاللواوي منه بمعنى المداواة والإصلاح ، واللائى هو الحزن والأسى الجراح ، فالطبيب الآسى : هو المداوى ، والمصلح بين القوم : الآسى ، فالأسوة الحسنة هي حالة خاصة في الاتباع تضمن كلا النفي والإثبات بصورة مطلقة ازالة الأمراض وإصلاح الحال ، ولأن الفعلة هي ما يفعل به ، فالأسوة هي ما يؤتى به ، فهي الحالة التي يداوى بها ويصلح ، فقد تكون للإنسان نفسه كالنبي بما يوحى إليه ، أم باتباع غيره كالمرسل إليهم باتباعه في رسالته ككل . في قول و فعل وتقرير في عقيدة وأية طوية من نية وعلم ، أم ظاهرة في فعل أم تقرير.

و «أسوة حسنة في رسول الله» تعني الأسوة المطلقة بما يحمل من رسالة الله ، فيقتدي به شفاء لأدواء وإصلاحا بعد زوال الداء! والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي وأذان صنم وألسنة بكم متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة ، لم يستطعها بأضواء الحكمه ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية ، قد انجبت السرائر لأهل البصائر ووضحت محجة الحق لخاططها وأسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة متوسمها ، مالي أراكم أشباحا بلا أرواح وأرواحا بلا أشباح ونسا كما بلا صلاح وتحارا بلا أرباح وایقاظا

نوما وشهودا غيبا ونازرة عميا وسامعة صماء وناطقة بكماء»<sup>(١)</sup>.

والأسوة الحسنة قد تكون مطلقة دون حدود كما «في رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)» ام مرفقة بحدود كما في ابراهيم (عليه السلام) : ﴿قَدْ كَاتَ لَكُمْ أَسْوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُوا مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَيَدَا بَيْنَنَا وَيَنْكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَعْفِرُنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٦٠) .<sup>(٤)</sup>

لقد كان ابراهيم في وعد الاستغفار لأبيه وواقعه معذورا ، فلا نه ما أصاب الحق هنا على عذر ، فلا أسوة في عمله المعذور ، وهذا يدلنا الى العصمة المطلقة للرسول محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) حيث الاسوة فيه مطلقة لا يخطأ ولو معذورا ، ففي كل أقواله واعماله هو أسوة دونما استثناء.

وإذا لا يؤتى ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بعض القول وهو معصوم ، فباحتـى ألا يؤتى غير المعصوم أسوة مطلقة ، وأحيانا هو مأثر وآخر خاطئ غير مأثر. إن أسوة الرسول المطلقة هي الحسنة المطلقة ، وتركها المطلق ، سيئة مطلقة ، والعوان بين ذلك : قد تأسي به وقد لا تأسي ، هي أسوة غير حسنة ، فقييد اسوته بـ . «حسنة» اطلاق لها تخلق على كافة جنبات الحياة الفردية والجماعية ، صعبة ملتوية ، كما في خندق الأحزاب ، ام

(١) نجح البلاغة الخطبة ١٠٨ في ذكر النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

سهله لا تلتوى كالعبادات التي لا تكلف نفسها ولا مالا ، وإنما حالا وأعمالا!.

فالمقتدي به (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في محراب الصلاة ، والتارك له القاعد عنه في محراب الحرب اسوته غير حسنة ، وهو من يعبد الله على حرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ حَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ (٢٢ : ١١)! او الأسوة به في علم دون عمل ، ام عمل دون علم ، ام في علم وعمل دون عقيدة ونية ، أنها أسوة سيئة.

ان خندق الحرب مع الأحزاب حيث ابتلي به المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، كان فتنه يفتتن بها من يدعون اليمان ، فامتاز به صادق اليمان عن كاذبه ، ومازج اليمان وساذجة عن ناضجه ، وهنالك الاسوة معيار له عياره المطلق ، المؤتسي به في هذه المعركة المزلزلة المزجرة له أسوة حسنة في كافة الحالات ، وهو من ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

انها لم تكن صدفة ان تحتفى آية الاسوة بآيات خندق الأحزاب ، قبلها زلزال المؤمنين ونفاق المنافقين ، وبعدها تصدق المؤمنين وزيادة اليمان والتسليم ، والكل بين انهزام الكافرين ﴿إِذْ جاءَتُكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ..﴾ (٩) ورد لهم بغيطهم ﴿وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْنِهِمْ لَمْ يَنَالُوا حَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥) خمسة عشرة آية بينهما وآخرها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾!

آية الاسوة تفرض بكل تأكيد وتأيد الاسوة الحسنة المطلقة برسول الله ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

ف . «لقد» تأكيد ان اثنان ، و «كان» تضرب بهذه الاسوة الى اعمق الماضي ، ان ليس تكليفا حاضرا ، بل هو ماض ويقى ، في مثلث الزمن منذ بداية الامان لحد الارتحال الى رحمة الله .

وليست هذه الاسوة له (صلى الله عليه وآلها وسلم) إذ ليس إلا رسولا لا يهدف شخصه وشخصيته ، ولا عليكم ، إذ ليس إلا لصالحك كمؤمنين صادقين ، بل هو «لهم»: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ ...﴾

﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ بما يحمل رسالة الله ، فهي إذا أسوة في الله و ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾! لا في «محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) كائنا من كان ، فإنه دون رسالة لا أسوة فيه مطلقة فليست حسنة مطلقة!

﴿إِنَّمَا كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ فرجاء الله في حياته كلها متعرق في أعماقه وارجائه كلها ، فإن «كان» هنا كما الاول تضرب الى عمق الماضي ، فليست إذا حالة جديدة بسيطة بادئة ، بل هي ماضية متعمقة متعرقة ، عاشهها الراجي الله طائلا عميقا من حياته وكان ﴿ذَكَرُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ لا فقط بلسانه ، فكثير هؤلاء الذين يأتون بالاستئتمان الغافلون بقلوبهم واعمالهم ، وإنما كثيرا بقلوبهم ، الظاهر في أقوالهم واعمالهم ، فالذaker الله دائب له أسوة في رسول الله دائيا ! لا تقل انه رسول أخلصه الله بعصمه منه ورحمة لدنيه ، فكيف لنا . ونحن نحن . فيه أسوة ، فاما الاسوة فيه فيما سوى العصمة ، ما يتوجب عليك كمستسلم لله مخلصا له الدين ، فمهما العصمة لم تكن كسبية ، فما دونها من درجات العارفين ومقامات المخلصين كسبية بتلك الاسوة الحسنة .

يخرج الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) بنفسه يعمل في خندق الأحزاب مع المؤمنين ، يضرب بالفأس كما يضربون ، ويحرف التراب بالمسحة كما يحرفون ، ويضم صوته الى أصوات المرتجزين ، وهو يقودهم في

كل ذلك وهم فيه يتأسون ، وهو يتقدمهم حين يعيون ، يقول سلمان غلظت عليّ صخرة في ناحية من الخندق فلما رأي نزل فأخذ المعلول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعلول برقة ، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ثالثة فلمعت أخرى قلت بالي وامي يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)! ما هذا الذي رأيت لمع المعلول وأنت تضرب؟ .. قال : اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن ، واما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، واما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق ..»

هذا والخطر الخطير من الأحزاب محقق ، والقر شديد مطبق مرهق ، وحذيفة يرتعش ببردا والرسول يصلي فإذا به يحن اليه ويلقي اليه طرفا من ثوبه ليدفعه في حنو وهو ينادي ربه ، وبعد ما ينتهي من صلاته يبشره حذيفة بالتي رآها في بريقات كالملوول وعرفها قلبها.

**﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** كهذه التي كانت للذين معه في مثل هذه المعركة الصادحة ، لا فقط في اغتنام الغنيمة وصلوة الجماعة «تقول في المجالس كيت وكيت فإذا جاء الجهاد فحيدي حياد»! <sup>(١)</sup> فمن الواجب على كل مؤمن ان تخلق الأسوة في رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) على كل أقواله وعقائده وأحواله واعماله ، دونما تختلف عنه ولا قيد شعرة ، في فعله وتركه لزاما ورجاحة أما ذا ، وقد «هم عمر بن الخطاب ان ينهى عن الجرة من صباح البول فقال له رجل : أليس قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يلبسها؟ قال عمر : بلى

(١) قبسة من مشكاة الامام علي (عليه السلام) في خطبة جهادية.

قال الرجل : الم يقل الله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟ فتركها عمر <sup>(١)</sup>.  
 كما و «أكب عمر على الركن فقال : اني لا علم انك حجر ولو لا أن رسول الله  
 (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي  
 رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم نرى فلتات من الخليفة عمر تتعارض وهذه الأسوة المجيدة كقوله «إياكم والأحرارين  
 : اللحم والنبيذ فإنهما مفسدة للدين متلفة للمال» والرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم)  
 يقول «سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم ..»<sup>(٣)</sup>.

وقد هم الخليفة ان يأخذ حلي الكعبة فيجهز بها جيوش المسلمين فقال له علي (عليه  
 السلام) كان حلي الكعبة فيها زمن الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فتركه الله على حاله  
 ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فأقره حيث أقره الله ورسوله فقال عمر : لولاك  
 لافضحنا» وترك الحلي بحاله»<sup>(٤)</sup>.

وقد اشتهر عنه في حكم المتعين ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه  
 وآلہ وسلم) متعنان كانتا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) حلالا وانا أحربهما  
 وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء»<sup>(٥)</sup>.

(١) الدر المنشور ٥ : ١٩٠ . اخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال : هم عمر بن الخطاب ...

(٢) المصدر . اخرج احمد عن ابن عباس ان عمر ...

(٣ ، ٤ ، ٥) وأشار إليها راجع «علي والحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.

وهكذا نراه يتفلت عن هذه الأسوة المباركة أحياناً ويتلفت أخرى ولماذا؟ أنا لا ادري!.  
وإليكم نبأ من المؤمنين معه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في تلك المعركة المزجـرة الخرجـة  
التي بـرـزـتـ فـيـهاـ مـعـالـمـ النـفـاقـ مـنـ طـائـفـةـ ،ـ وـضـائـلـةـ الـإـيمـانـ مـنـ اخـرىـ ،ـ وـلـكـنـماـ الثـالـثـةـ :ـ  
**﴿وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هـذـاـ مـاـ وـعـدـنـاـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـصـدـقـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـمـاـ  
رـادـهـمـ إـلـاـ إـيمـانـاـ وـتـسـلـيـمـاـ﴾ (٢٢).**

واين هذه الآمنة المؤمنة من تلك المنافقة الفاتكة «... ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا .. يا أهل يشرب لا مقام لكم فارجعوا .. سلقوكم بـالـسـنـةـ حـدـادـ اـشـحـةـ عـلـىـ الـخـيـرـ ..!»!  
واين كان ومتى ، وعد الله ورسوله هجمـةـ الأـحـزـابـ وـتـحـلـيقـهـمـ هـكـذـاـ بـأـقـطـارـ الـمـدـيـنـةـ منـ  
فـوقـهـمـ وـمـنـ أـسـفـلـهـمـ؟ـ قدـ يـكـوـنـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ **﴿أَمْ حَسِيبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ  
مَثَلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَاسِاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
مَعَهُ مَقِيْ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢ : ٢١٤) و : **﴿هُنَالِكَ ابْتُلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرَزَلُوا  
رِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١)** (١) بلاء وزلزالـاـ منـ هـجـمـةـ لـاـ قـبـلـهـ مـنـ الـأـحـزـابـ ،ـ وـزـلـزـالـاـ عـلـلـهـ أـشـدـ هـيـ  
مـنـ هـجـمـةـ الدـعـاـيـةـ الـمـنـافـقـةـ :ـ **﴿مـاـ وـعـدـنـاـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ إـلـاـ غـرـورـاـ﴾** وـآيـةـ الـبـقـرـةـ نـصـرـيـحةـ بـوـعـدـ  
الـبـلـاءـ وـالـزـلـزـالـ الشـدـيدـ فـهـمـ يـتـرـقـبـونـهـ ،ـ وـتـلـمـيـحـةـ بـقـرـيـبـ النـصـرـ عـلـهـ مـعـ الزـلـزالـ اـمـاـ هـيـهـ؟ـ  
وـكـمـاـ كـانـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ).ـ عـلـىـ ضـوءـ وـعـدـ اللـهـ .ـ وـعـدـهـ بـتـظـاهـرـ  
الـأـحـزـابـ عـلـيـهـمـ وـاـنـ اللـهـ يـنـصـرـهـمـ (١)ـ وـلـكـنـ مـتـىـ نـصـرـ اللـهـ؟ـ**

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٣ ، القمي في حديث غزوة المخندق «وقد كان رسول الله .

هل هو في هذه الحرب؟ ام بعده؟ ام ودون حرب حارقة؟ ليس في وعدهم إلا ﴿أَلَا إِنْ نَصْرًا  
الله قَرِيبٌ﴾ !

ورغم ان هذه الزلزال بطبيعة الحال تزلزل من الایمان ام تزيله ، ولكنهم ﴿مَا زَادُهُمْ إِلَّا  
إِيمانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ايمانا بالله حيث يرون وعده واقعا ، وتسلیما لأمر الله حتى وان كان فيه  
بتسلیم أنفسهم ، فإنهم من صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم دوما في انتظار الانتصار وسواء  
عليهم أيقنون او يقتلون ! :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو تَبْدِيلًا﴾ (٢٣).

﴿مِنَ الشَّوْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ : بعضها قليلا لا كلهم حيث الایمان درجات ، وفي هذا  
العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم الى قبيل المافقين توسعوا فيهم وتضيقوا في  
قبيل المؤمنين ثم لا يبقى إلا الكافرون!

وهذه صورة وضيئه من الایمان الصادق تقابل صورة وضيئه من ضعف الایمان تلحق  
النفاق فتنضم اليه وكما مضت ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ﴾ وليتتسابق  
المؤمنون في الحصول على صورته الوضيئه الصادقة. ومواصفة هؤلاء المؤمنين في اول المطاف  
بـ : « رجال » تأتي لهم بصورة صارمة من رجولات وبطولات في ايمانهم ، فليست تعني  
رجلة الجنس فتخرج بها نساء هنّ ارجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله  
عليها ،

. (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أخبر أصحابه ان العرب تتحزب علي ويحيطون من فوق وتعذر اليهود ونخافهم من  
أسفل وانه يصيّبهم جهد شديد ولكن يكون العاقبة لي عليهم ...».

ف . ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ... رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا يَبْغِ  
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..﴾ (٢٤ : ٣٧) و «لبيت علي وفاطمة من أفالصلها» على حد قول الرسول  
(صلى الله عليه وآله وسلم) فهي إذا من هؤلاء الرجال ، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها :  
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُجْبِئُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ (٩ : ١٠٨)

وهكذا رجال الأعراف : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٦)  
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُوهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٨) كما رجال الجنة إذ ليس كل  
اصحاب الجنة رجال الجنس : ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ، أَتَخَذْنَاهُمْ  
سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ (٣٨ : ٦٣) اللهم إلا رجال الوحي : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (١٦ : ٤٣) فان رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة امن  
يقابلون النساء : ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٍ ..﴾ (٤٨ : ٢٥) ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ  
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (٢٧ : ٥٥)

﴿.. رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ : عاهدوه صدقوا وأتوا بما عاهدوه صدقوا بكل  
ما لديهم من طاقات وامكانيات : قالا وحالا وفعلا ، نفسها ومالا وعلى أية حال ما وجدوا  
له مجالا ، فما هو ما عاهدوا الله عليه؟ المعايدة . وهي عهد بين اثنين ، فالبادئ معاهد  
والثاني معاهد عليه . هي قد تكون من الله أن يعاهدك الله على شيء وأنت تقبل : ﴿أَمْ  
أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ..﴾ (٣٦ : ٦٠) واخرى أنت تعاهد الله على  
ما عهد إليك ، ومعاهدة الآية هي الاخرى ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ واول العهود الإلهية الى  
المؤمنين ان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ المؤمنون كلهم يعاهدون الله على ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فمنهم  
الصادقون ، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالا وحالا واعمالا ، دون اي نفاق بين حال وقال  
، ولا بينهما وبين الأعمال ، وقد صدقوا في عهد التوحيد تسليما لله على أية حال.

ومن خلفيات هذه المعاهدة ، مبايعة الرسول ﷺ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فِيمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** (٤٨ : ١٠) فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم ، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين ، حيث النفاق دركات كما اليمان درجات ، وأية الأحزاب تقابل بين الذين ﴿صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وبين المنافقين ، فليكونوا أعم من هو في الدرك الأسفل من النار ومن ضعفاء اليمان.

وقد اشتري الله المبايعين الصادقين بأنفسهم ونفائهم : **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَجْحَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِمَا يَعِيشُكُمُ الَّذِي بِأَيْمَانِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (٩ : ١١١) وهنا الإيفاء بعهد الله وهو بصيغة أخرى قضاء للنحب ، لا يختص بمن يقتل المؤمن في سبيل الله ، بل وإن يقتل ، قتل بعد ام لم يقتل.

وكما ليس هؤلاء المؤمنون الصادقون هم الأولون . فقط . كذلك المبايعون الله الذين اشتري أنفسهم وأموالهم ، فطول الزمان وعرض المكان يحوي من هؤلاء من قد يفوق الأولين ام يساميهم : (١).

(١) يروى نزول الآية بشأن نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنس بن نصر وأصحابه ففي الدر المنشور ٥ : ١٩٠ . أخرج ابن سعد وأحمد ومسلم والتمذبي والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردوخ وابو نعيم في الحليلة والبيهقي في الدلائل عن انس (رضي الله عنه) قال : غاب عمى انس بن نصر عن بدر فشق عليه وقال : أول مشهد شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى لَحْيَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ . . .﴾ وليس قضاء النحب . فقط . الموت ،

فصيغته الخاصة منهم من قتل او مات ، وهم من مصاديق قضاء النحب في سبيل الله فقضاء النحب فيما عاهدوا الله عليه ليس إلا أن يعيشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقوق ، ومن أفضلها الجهاد في سبيل الله بأنفسهم ثم بأموالهم ، **﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** ما وجدوا للجهاد ظروفا صالحة ، ثم **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** قضاء نحبه ليس . فقط . انتظارا للشهادة حيث الانتظار لها . فقط . ليس انتصارا لقضية الامان ، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه ان **«يقتل أو يقتل»** في سبيل الله : إحدى الحسنيين !

فقد يعني «نحبه» : عهده ومراهنته إذا وجد له مكانه ومكانته ،

وسلم) غبت عنه لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بعد ليرين الله ما اصنع  
فشهد يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال : يا أبو عمر ! والى اين ؟ قال : واهما لريح الجنة  
أجدها دون احد فقال قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم  
ونزلت هذه الآية «**رِجَالٌ صَدَّقُوا** ... » وكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه ،  
ومنهم مصعب بن عمير كما اخرج الحكم وصححه وتعقبه الذهبي في الدلائل عن أبي هريرة ان رسول الله  
(صلى الله عليه وآلـه وسلم) حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم  
قرأ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةً** ... ثم قال (صلى الله عليه وآلـه وسلم) اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيمة  
فاتوهم وزوروهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا وردوا عليه وفي ملحقات الاحقاق ٣ :  
٣٦٣ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من أعلام القوم منهم ابن الصباغ في فصول المهمة ١١٣ قيل  
سئل علي (عليه السلام) وهو على المنبر عن الآية قال : في وفي عمر ومحزنة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن  
عبد المطلب ، واما عممي حمزة فانه قضى نحبه يوم احد واماانا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار الى  
لحيته ورأسه عهد عهده الى حبيبي ابو القاسم (صلى الله عليه وآلـه وسلم).

قتالا : ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ إِمَّا ذَا من جهاد في سبيل الله بنفس ونفيس إذ يقدم رخصا

دون بخس ونقص ما وجد له مجالا!

ومن ثم يوقفون كل معانى النحب ، المراقبة للعهد : نذراً وهمة وبرهاناً وحاجة وشدة وأجلاً ومدة وعملاً ونفساً وسيراً سريعاً وجهاً (١) تكريساً لهمهم وبراهينهم في كل شدة وعمل من سير سريع وجهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم رحمة ما دامت مدتهم وقام أجلهم ، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص!

فهم بين من قضى نحبه تماماً ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إن بالموت أو القتل ام في حياة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت او قتل ام في حياة ، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها ، فكل تضحيه في سبيل الله كما تجحب قضاء لنحب أيا كانت ! وكما يروى (٢) فلا يعني قضاء النحب إلا توفية العهد وهي

(١) لسان العرب لابن منظور الإفريقي .

(٢) نور الثقلين ٤ : ٤٨ ح ٢٥٨ عن روضة الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال لأبي بصير يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ...﴾ انكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا وفي اصول الكافي (٥٨) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عز وجل ووفي بشرطه وذلك قول الله عز وجل ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا ...﴾ وذلك الذي لا يصييه احوال الدنيا ولا احوال الآخرة وذلك من يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الرزق . يعوج أحياناً ويقوم أحياناً بذلك من يصييه احوال الدنيا واحوال الآخرة وذلك من يشفع له ولا يشفع . أقول : ولأن أفضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل او الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد فقد وردت روایات اخرى في ان قضاء النحب هو الموت او القتل كما رواه في روضته الكافي (٤٩) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يا علي من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه .

للمعصومين ومن معهم حاصلة قبل الموت او القتل او بحثا ، يعيشون قضاء نحبهم على اية حال !

**﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾** ما عاهدوا الله عليه «تبديلا» لا من قضى نحبه حين قضى ولا من ينتظر ، وانما كملوا تكميلا ، ومن الحكمة الحكيمه لذلك الابلاء المثلث :

**﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾** وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٢ .  
**﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**.

«ويعدب ..» معلوم وهو قضية النفاق ، بل **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** فكيف **﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ؟﴾**؟

. ومن أحبك ولم يمت فهو ينتظر ..» وفي كتاب الخصال (٥٠) عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة على امر وفينا به الله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فتقدمني اصحابي وتختلفت بعدهم لما أراد الله تعالى فانتزل الله فيما **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ ..﴾** حمزة وجعفر وعبيدة وانا والله المنتظر يا أخا اليهود وما بدللت تبديلا وفي ارشاد المفید (٥٠) في مقتل الحسين (عليه السلام) ان الحسين (عليه السلام) مشى الى مسلم بن عوجة لما صرخ فإذا به رمق فقال : رحمك الله يا مسلم **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾** وفي كتاب مقتل الحسين لابي مخنف ان الحسين لما اخبر بقتل رسوله عبد الله بن يقطر تغرت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال : **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ..﴾** وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) ان اصحاب الحسين بكريل كانوا كل من أراد الخروج ودع الحسين (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فيحييه : وعليك السلام ونحن خلفك ويقرء **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ..﴾**

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو تابوا وصحت توبتهم ونصحـت ، ولا سيما قرائهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ حيث قرروا بـ . ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ فإنـهم ذيـو لهم وليسـوا منـهم مرـدة النـفاق ومرـجـفة المـديـنة ، بل المـسـتجـبـيون لـهم في دـعـاـيـاتـهم لـضعـفـ اـيمـانـهم ، فـعلـمـهم هـمـ المـعـنيـون بـ . ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ .

فـآـيـة ﴿صَدَقُوا مـا عـاهـدـوا اللـهـ عـلـيـهـ ..﴾ جـعلـتـ غيرـ الصـادـقـينـ فيـ اـيمـانـهـمـ منـافقـينـ أـصـولاـ وـاتـبـاعـاـ ، ثمـ فـرـقـتـ آـيـةـ الـجـزـاءـ بـيـنـهـمـ ﴿وَيَعْذِبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شـاءـ أـوـ يـتـوـبـ عـلـيـهـمـ إـنـ اللـهـ كـانـ غـفـورـاـ رـحـيمـاـ﴾ .

٣ . ﴿وَرَدَ اللـهـ الـدـيـنـ كـفـرـوـهـ بـعـيـظـهـمـ لـمـ يـتـالـوـ خـيـرـاـ﴾ : قـتـلـهـ وـلاـ غـلـبةـ وـلاـ غـنـمةـ بـلـ ﴿وَكـفـىـ اللـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـقـتـالـ﴾ فـلـمـ يـقـاتـلـوـ إـلـاـ شـذـراـ بـماـ قـتـلـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عمـروـ بـنـ عـبـدـ وـدـ وـنـفـرـاـ آـخـرـينـ ﴿فـأـرـسـلـنـا عـلـيـهـمـ رـبـحـاـ وـجـنـودـاـ لـمـ تـرـوـهـاـ وـكـانـ اللـهـ إـمـاـ تـعـمـلـوـنـ بـصـيرـاـ﴾ (٩) وـكـانـ اللـهـ قـوـيـاـ عـرـبـيـاـ﴾ وـهـذـاـ نـصـيبـ الـكـفـارـ ثـمـ : ﴿وَأَنـزـلـ الـدـيـنـ ظـاهـرـهـمـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ مـنـ صـيـاصـيـهـمـ وـقـذـفـ فـيـ قـلـوـهـمـ الرـعـبـ فـرـيقـاـ تـقـتـلـوـنـ وـتـأـسـرـوـنـ فـرـيقـاـ﴾ (٢٦) ﴿وَأَوـرـثـكـمـ أـرـضـهـمـ وـدـيـارـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ وـأـرـضاـ لـمـ تـطـؤـهـاـ وـكـانـ اللـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـاـ﴾ (٢٧) .

(١) في ملحقات الاحقاق ٣ : ٣٧٦ روـيـ نـزـولـ الآـيـةـ فيـ عـلـيـ (عليـهـ السـلامـ) عـدـةـ مـنـ أـعـلـامـ الـقـومـ مـنـهـمـ الـعـلـامـ الـكـجـيـ فيـ كـفـاـيـةـ الطـالـبـ (١١٠) وـابـوـ حـيـانـ الـأـنـدـلـسـ الـمـغـرـيـ فيـ الـبـحـرـ الـحـيـطـ ٧ : ٢٤ وـمـلـاـ معـنـ الـكـاشـفـيـ فيـ مـعـارـجـ الـنـبـوـةـ ١ : ١٦٣ وـالـسـيـوطـيـ فيـ الدـرـ الـمـشـورـ ٣ : ١٩٢ وـالـمـلـيـرـ مـحـمـدـ صـالـحـ الـكـشـفـيـ التـرـمـذـيـ فيـ مـنـاقـبـ مـرـتضـيـ ٥٥ وـالـحـافـظـ اـبـوـ بـكـرـ بـنـ مـرـدوـيـهـ فيـ الـمـنـاقـبـ كـمـاـ فيـ كـشـفـ الـعـمـةـ (٩٣) وـالـلـوـسـيـ فيـ رـوـحـ الـعـلـانـيـ ٢١ : ١٥٦ وـالـقـنـدـوزـيـ فيـ يـنـابـيعـ الـمـودـةـ ٩٤ وـابـوـ نـعـيمـ الـحـافـظـ كـلـهـمـ عنـ اـبـنـ مـسـعـودـ كـانـ يـقـرـءـ : وـكـفـىـ اللـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـقـتـالـ بـعـلـيـ (عليـهـ السـلامـ) وـسـاقـ قـصـةـ عـمـرـوـ بـنـ عـبـدـ وـكـماـ فـضـلـنـاهـ .

المظاهرة هي المعاونة ، والصيادي جمع صيادي وهي الحصن الخصين ، وقد «انزل»  
الله ﷺ **الَّذِينَ ظَاهَرُوْهُمْ** المشركين **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** وهم بنو قريظة ، أنزلهم من صياديهم  
وحصونهم ، وقدف في قلوبهم الرعب ، فلا صيادي لهم آفاقية ، ولا صيادي انسانية حيث  
أنزلهم الله من كل الصيادي.

فانتج عن ذلك الإنزال انكم **فِرِيقًا تَقْتَلُونَ** من المنزلين **وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**.

ثم **وَأَوْرَثْتُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** وطنتموها ، بل **وَأَرْضًا لَمْ تَطُوْهَا** وهي  
ارض خير ، او التي أفاء الله على رسوله منهم ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركب.

وقد يعني **وَأَوْرَثْتُكُمْ أَرْضَهُمْ** كل ارض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار  
، في جهادهم المتواصل الصارم ! **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**.

**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَرْوَاحِكَ إِنْ كُنْتَ ثُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَّتِعْنَ**  
**وَأَسْرِحُكُنَّ سَرَا حَاجِيَلَا** (٢٨) **وَإِنْ كُنْتَ ثُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ**  
**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** (٢٩) يا نساء النبي من يأت منك

بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعَفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ  
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرُهَا مَرَّيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَبِيرًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ  
كَاحِدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقْيَنَ فَلَا تَخْصُصْنِ بِالْقُولِ فَيَطْمَعُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا  
(٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرِّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِنْ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الرِّكَاهَةَ وَأَطْعَنْ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَطُلَّئِرُكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَإِذْكُرُنَّ مَا يُتَلَقِّي  
فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِعِينَ وَالْقَانِعَاتِ وَالصَّادِقِينَ

**وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ  
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ  
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٣٥﴾

هذه الآيات الشمان تستعرض بعدين وجانبين من بيت النبي الظاهر ، بيت الرسول : أزواجه ، وبيت الرسالة : الحمد़يين الموصومين في جو الرسالة القدسية الختمية ، اختصارا باختصار في عرض بيت الرسالة والتعريف به : ﴿إِنَّمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في جمعين مذكرين يعنيان الذكران من اهل بيت الرسالة بن فيهم فاطمة الصديقة (عليها السلام) ، وذلك بعد عشرين خطابا في جموع مؤنثة قبله واثنين بعده كلها تعني . فقط . نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في أوامر ونواهي أكيدة شديدة متهددة ومرغبة ، ولكي تجمع الى طهارة اهل بيت الرسالة . وهي القمة بين بيوتات الرسالات . تجمع طهارة اهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، ثم الآية الثامنة تعليم لأجر المؤمنات حسب الدرجات سواء أكن من ازواج النبي ام سواهن ولكي تبين ألا ميزة لزوجية النبي بمفردها ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

مضت آية الأمهات مصرحة انهن أمهات المؤمنين ، ولأن هذه الكراهة لها تكاليفها ، ولزوجية النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) تكاليفها

الواقية ، لذلك يخاطبن في اثنين وعشرين خطابا صارما تختص بهن ليصنعن من انفسهن أهلية زوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمومة المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَ ثَرِدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَىٰ إِنْ أَمْتَغَكَ وَأَسْرِحْكُنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨).

هنا نساء النبي يخاطبن بوسبيط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علّه لبعدهن عن ساحة الربوبية وإلا فلما ذا ارادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية ، ثم المأمور بأمرهن هو وليهن في بعدي الرسالة والزوجية.

ثم ولقربيهن شيئاً ما إذ يتربكن الحياة الدنيا وزينتها ، ولتقريبهن الى ساحة الطاعة لكي يهبن الله إذ يخاطبها الله ، يخاطبن دون وسيط إلا نacula لهن بالوحى ، فيسائر الخطابات الاثنين والعشرين : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ... وَادْكُنْ ... فِي بُيُوتِكُنَ ...﴾.

يرجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة خيبر مصرياً كنز آل أبي الحقيق فيقلن أزواجه له : أعطنا ما أصبت ، فيقول لهن : قسمة بين المسلمين على ما أمر الله ، فيغضبن من ذلك ويقلن له : لعلك ترى أنك ان طلقتنا إلا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا ، فأنف الله عز وجل لرسوله فأمره أن يعتزلهن فاعتزلهن في مشعرة أم ابراهيم تسعه وعشرين يوما حتى حضن وظهرن ثم أنزل الله آية التخيير هذه فقامت ام سلمة امن هي؟ فقالت : قد اخترت الله ورسوله ، فقمن كلهن فعائقنه وقلن مثل ذلك فانزل الله عز وجل : ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ...﴾<sup>(١)</sup>

(١) روى أصحابنا ائمـا اـم سـلمـةـ كما أخرجه القمي في تفسـيرـهـ علىـ ماـ فيـ المـتنـ .

وهكذا نتلمس من **﴿فُلٌ لِّأَزْوَاجٍ﴾** دون «بعض أزواجك» اخن كلهم تشاركن في إزعاجه فائز عاجه (صلى الله عليه وآلها وسلم) حتى نزل ما نزل وحصل ما حصل.

مجموعة حلائل النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) كن سبعة عشر ، دخل بهن اجمع إلا عمرة والسيفا وفيهن سريتان : مارية القبطية وريحانة الخندقية ، كان يقسم لهم مع أزواجها. ولم يجمع قط إلا بين تسعة منهن فاعتزل (صلى الله عليه وآلها وسلم) حين اعتزل عنهن ومات كذلك عنهن وأفضلهم خديجة ثم أم سلمة ثم ميمونة <sup>(١)</sup> وارذلن من حاربت وصييه يوم الجمل !.

. وروى إخواننا ائماً عائشة كما في الدر المنشور بعدة طرق ففي نور الثقلين ٤ : ٢٦٦ عن المجمع روى الواحدي بالإسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) جالساً مع حفصة فتشاجراً بينهما فقال لها : هل لك أن أجعل بيتي وبينك رجلاً؟ قالت : نعم فأرسل (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلى عمر فلما ان دخل بينهما قال لها تكلمي قالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال له النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) : كف فقال عمر : يا عدو الله النبي لا يقول إلا حقاً والذي بعنه بالحق لو لا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموي فقام النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فانزل الله هذه الآيات .

وفيه ص ٣٦٥ ح ٦٦ باسناده عن أبي الصباح الكتبي قال ذكر أبو عبد الله (عليه السلام) إن زينب قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لا تعدل وأنت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وقالت حفصة : إن طلقتنا وجدنا أكفاءنا من قومنا ...

أقول مهما اختصت البعض من نسائه بالبعض من هذه الأقوایل فالقولبة المشتركة علّها الأخيرة «ان طلقتنا ..».

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٦٧ ح ٧٤ في كتاب المصال عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : ترورج رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بخمس .

لقد خيرهن بعد نزول آية التخيير بين المقام معه إن يردن الله ورسوله ، أو الانسراح عنه إن يردن الحياة الدنيا وزينتها ، حيث اختار لنفسه وأهله معيشة الكفاف وعيشة العفاف دون زهو ولهو بتبذير أو إسراف ، لا عجزا عن حياة المتع والزينة ، وإنما زهدا عادلا كقدوة للأمة.

إلا أن نسائه (صلى الله عليه وآلها وسلم) يتطلّبن منه زهوة وزهرة كما هي شيمة النساء ، وليس الرسول يميل إلى ميولهن فيزدهي بزهونهن ويشهي ما يشهي ، ولا سيما في الأموال التي هي لعامة المسلمين ، وكذلك في أمواله الشخصية ، ولذلك يعرض عنهن بعد عرضهن طلب الحياة الدنيا وزينتها واعتراضهن عليه ، يعرض نظرة الوحي فتنزل آية التخيير فيخيرهن بين هذه وتلك.

. عشرة امرأة ودخل بثلاث عشر امراة منهن وبعض عن تسع فاما الباقي لم يدخل بما فعمرة والسيفا واما الثلاث عشرة الباقي دخل بمن ١ فأولهن خديجة بنت خويلد ٢ ثم سودة بنت زمعة ثم ٣ ام سلمة واسمها هند بنت امية ٤ ثم ام عبد الله عائشة بنت أبي بكر ثم حفصة بنت عمر ثم ٦ زينب بنت خزيمة بنت الحارث ام المساكين (٧) ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيب رملة بنت أبي سفيان ثم (٩) ميمونة بنت الحارث ثم (١٠) زينب بنت عميس ثم (١١) جريريه بنت الحارث ثم (١٢) صفية بنت حي بن اخطب (١٣) والتي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) خولة بنت حكيم السلمي وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجها مارية القبطية وريحانة الخندقية والتسع الباقي قبض عنهن عائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وام حبيب وجريريه وسودة وأفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة أقول وفيه عن الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال في طائف هؤلاء النسوة . ٤ . من تيم و . ٥ . من عدي و . ٣ . من بني مخزوم و . ٢ . من بني اسد و . ٨ . من بني امية و . ٩ . من بني هلال و . ١٢ . من بني إسرائيل ولم يذكر البقية وطبعا خديجة من أفضل قريش ، وتفرق هذه الطوائف من الدليل على ان زواجهاته كانت سياسته أكثر مما هي جنسية.

أترى كان عرض التخيير ، امامهن كلهن فاخترن الله ورسوله؟ ام امام ام سلمة فتبعنها كلهن؟ ام امام عائشة؟ وقد يروى انها تطلب منه (صلى الله عليه وآلها وسلم) اختصاصها فقال : «ان الله لم يبعشي متعنتا ولكن بعثني معلما مبشر لا تسألني امراة منهن عما اخترت إلا أخبرتها»؟ (١).

انه (صلى الله عليه وآلها وسلم) على أية حال لم يكن ليخرج عن العدل بين نساءه حتى في ذلك العرض دون فرق بين عائشتهن وأم سلمتهن ، اللهم إلا بفارق التقوى ، دون تقديم لتلك بشبابها وجمالها على هذه امن هي لتقدمها عمرا او تأخرها جمالا!.

ويا له من عرض عريض بين عليا الحياة معه (صلى الله عليه وآلها وسلم) ودنيا الحياة لا معه ﴿إِنْ كُنْتَ تُرِدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا﴾ في بيت الرسالة القدسية ، تغافلا عن اصل الحياة الظاهرة الباهرة في جو الوحي ، والتنزيل ، او تذرعا بها الى الحياة الدنيا وزينتها ، فلا جمع بين الحياتين مع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ولا اختصاصا بالحياة الدنيا ، إلا اراده الله ورسوله ، ف . ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا ثُوَفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ..﴾ (١١ : ١٥).

(١) الدر المنشور ٥ : ١٩٤ . اخرج بعده طرق عن جابر وساق القصة الطويلة الى قوله وانزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال : اني ذاكر لك امرا ما أحب ان تعجلني فيه حتى تستامرني أبيوك قال ما هو؟ فتلا عليها الآية قالت عائشة : أفيك استأمر ابوي بل اختار الله ورسوله فأسألتك ان لا تذكر الى امراة من نسائك ما اخترت فقال : ان الله ..

وفي نقل آخر فاكتم علي ولا حجز بذلك نساءك قال (صلى الله عليه وآلها وسلم) بل اخبرهن به فأخبرهن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) جميعا فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكان خياره بين الدنيا والآخرة اختزن الآخرة او الدنيا ...

وَكِيفَ لَهُلَاءُ مَوْقِعٍ فِي بَيْتِ الرِّسَالَةِ الْقَدِيسَةِ؟ ﴿فَتَعَالَىٰ أَمْتَعْكِنَ﴾ بِمَا يُحِبُّ مُحْبُوراً ﴿وَأَسَرِّخُكَنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ فَكَا عَنْ أَسْرَكَنْ إِذَا لَا تَجْدُنَ مَا تَرْدُنَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَلِنِسَ الطَّلاقُ اسْلَامِيَا إِلَّا فَكَا عَنْ أَسْرِ ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْ مِنْ جَانِبِ وَاحِدٍ ، فَيُسَرِّحُ الْمُفْكُوكُ زَوْجًا امْ رَوْجَةً وَيُرْتَعِحُ حِيثُ يَشَاءُ وَ ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ كَلْمَةُ صَرَاحٍ فِي سَمَاحٍ انْطَلَاقَهُنَّ بِطَلاقَهُنَّ إِلَى اخْتِيَارِ الْأَزْوَاجِ ، فَفِي تَسْرِيْحِهِنَّ . إِذَا . تَطْلِيقَهُنَّ عَنْ كَوْنَهُنَّ أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِيْنَ ، كَمَا عَنْ كَوْنَهُنَّ أَزْوَاجَهُ ، فَقَضِيَّةُ السَّرَاحِ هِيَ الْإِنْسَرَاحُ عَنْ قَيْوَدِ زَوْجِيَّتِهِ إِلَى الْأُخْرَى ، وَقَضِيَّةُ أَنَّهُ جَمِيلٌ اسْتِئْصَالُ كَافِيَّةُ الْعَقَبَاتِ عَنْ زَوْجِهِنَّ الْأُخْرَى كَسَائِرِ الْمُطْلَقَاتِ ، فَلَوْ بَقِيَ بَعْدَ طَلاقَهُنَّ كَوْنَهُنَّ أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَلَا سَرَاحٌ لَهُنَّ فَضْلًا عَنْ جَمِيلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿فَتَذَرُّوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ تَنْدِيدًا بِمَنْ يَظْلِمُهُنَّ هَكُذا ، لَا ذَاتٌ بَعْلٌ وَلَا خَلِيلٌ تَبْغِيْلٌ ، وَسَاحَةُ النَّبِيِّ أَقْدَسَهُ وَأَحْرَى إِلَّا يَذْرُهُنَّ بِتَسْرِيْحِهِنَّ كَالْمُعَلَّقَاتِ .

وَمَا مَوْتَهُ عَنْهُنَّ دُونَ طَلاقٍ فَلِنِسَ سَرَاحًا فَضْلًا عَنْ جَمِيلٍ ، وَهُنَّ بَعْدَهُ أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِيْنَ ، إِلَّا إِذَا تَخَلَّفُنَّ عَنْ شَرُوطَاهُنَّ كَمَا تَخَلَّفُ الْبَعْضُ مِنْهُنَّ وَهَدَّدَتْ بِالْطَّلاقِ ، إِطْلَاقًا فِي الْأَزْوَاجِ .

فَكَمَا النِّكَاحُ فِي مِيزَانِ اللَّهِ مَتَاعٌ ، كَذَلِكَ الطَّلاقُ مَتَاعٌ وَسَرَاحٌ جَمِيلٌ وَفَكَ جَمِيلٌ دُونَمَا عَرَاكَ وَاحْتِكَاكَ فِي ذَلِكَ الْفَكَاكِ .

لَيْسَ النَّبِيُّ لِيَقْبِلَ ضَغْطًا عَلَيْهِ وَتَحْمِيلًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، وَلَيْسَ لِيَضْغُطَ أَزْوَاجَهُ عَلَى بِسَاطَةِ الْعِيشَةِ فِي الْحَيَاةِ كَأَبْسَطِ مَا تَكُونُ ، أَسْرَا لَهُنَّ خَلَافٌ مَا يَرْدَنُ وَيَرْغَبُنَ ، لَذَلِكَ فَلِيَخِيرُهُنَّ وَيَقْبِلُ مِنْهُنَّ مَا يَخْتَرُنَ .

وَلَيْسَ لِيَقْبِلَ النَّبِيُّ الْأَقْدَسُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَنْ يَضْرِبَا عَائِشَةَ وَحْفَصَةَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْاجِعَةِ النِّكَدَةِ فِي النَّفَقَةِ ، حِيثُ الْمَسَأَلَةُ مَسَأَلَةُ مَشَاعِرٍ وَمِيَوْلٍ بِشَرِّيَّةٍ وَطَلْبَاتِ طَبَيعَيَّةٍ نِسَائِيَّةٍ ، دُونَ تَسْيِيرٍ لَهُنَّ عَلَى خَلَافِ مَيْوَلِهِنَ ، وَإِنَّمَا

مسايرتهن ما لا يمس من كرامة بيت النبوة ، ثم تخييرهن كما خير ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة :

﴿وَإِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا﴾

عظيمًا .(٢٩)

وإنه ليس الأجر العظيم إلا للمحسنات منهن بعد ما أردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فهناك إرادة الإحسان وهنالك تحقيق الإحسان ، وليس الإرادة لتكتفي ما لم يتحقق المراد بالحسنى ، ثم العاقبة الحسنى بمواصلة الإحسان في ارادة الله ورسوله ، وأما الباقي يردن الله ورسوله والدار الآخرة بغية البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ثم لا يحسن كما يناسب ذلك البيت ، ومن ثم يحاربن في حرب الجمل أما ذا؟ وصيه الظاهر . فهن بعيدات من الأجر فضلا عن عظيمه ، وأبعد من العامرة التي اختارت قومها!

ثم الإحسان في جو الوحي والتنتزيل أفضل أجرا من سواه كما الإساءة أرذل وأنكل ، حيث بعد الثاني لكلا الإحسان والإساءة راجع إلى إحسان هذا البيت وإساءته بين الناس ، فعلى مستوى عظم ذلك البيت يعظم أجر الإحسان وعذاب الإساءة ، وهذه قاعدة عادلة سارية في أبعاد الأفعال خيرا أو شرا ، وكما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في من سن سنة حسنة او سيئة.

وهل التسريح هنا هو التطليق رجعيًا أم بائنا ، فمن تختار الحياة الدنيا يطلقها بصيغة؟ أم ان اختيارهن لها طلاق؟ التسريح صريح أنه فعل من النبي إن اخترن الحياة الدنيا ، فليس اختيارهن إذا بنفسه طلاقا ، وليس التسريح . فقط . صيغة لفظية للطلاق ، إلا أن تسريح كل شخص بحسبه ولا نعرف تسريحا اسلاميا للأزواج إلا بالتطليق ، إلا ان يختص النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) بتطليق دون لفظ كما في نكاح ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلَّنَّيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٣ : ٥٠) إِلَّا أَنَّهَا لَا تثبتان طلاقا او نكاحا دونما صيغة ، بل «لو اخترن انفسهن لطلقهن»<sup>(١)</sup>.

وهل المسألة هكذا تنسحب بحيث تخل لها الزواج بغيره؟ وهن أمهات المؤمنين! : ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِ أَبَدٍ﴾! ولكنما الحياة الدنيا وزينتها والسراح الجميل قد تتنافى وحرمان الزواج وهو من أمتע متع الحياة وزينتها ومن أجمل السراح! فقد يكون تسريحهن هكذا تطليقا عن كونهن أمهات المؤمنين وكما خول علي (عليه السلام) بتطليقهن ان خرجن عن طور الطاعة له (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يحق وقد مضى حديثه عن القائم المهدى (عليه السلام) ومن هنا نتبين على أية حال أن «لو اخترن انفسهن لبن»<sup>(٢)</sup> دونما رجعة حيث الأمر قاطع لا مرد له من الله : ﴿فَلَان.. فَتَعَالَان.. أَسْرَحْكُنَ﴾ فليس برجعة من اختارت الدنيا دونها رجعة ، اللهم إلا رجوعا الى الله ورسوله فرجعة بعقد جديد ولا دليل عليه!

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٥ عن الكافي حميد عن ابن سماعة عن ابن رياط عن عيسى بن القاسم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سأله عن رجل خير امرأته فاختارت نفسها بانت؟ قال : لا . إنما هذا شيء كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة أمر بذلك فعل ولو اخترن انفسهن لطلقهن.

(٢) نور الثقلين (٦٥) حميد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد وابن رياط عن أبي أيوب الخراز قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أني سمعت أباك يقول : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير نسائه فاختزن الله ورسوله فلم يمسكهن على طلاق ولو اخترن انفسهن لبَن؟ فقال : إن هذا حديث كان يرويه أبي عن عائشة وما للناس والخيار إنما هذا شيء خص الله به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعَفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١)

ولماذا في قصة التخيير ﴿فُلْ لِأَرْوَاجِكَ﴾ ثم هنا والتي بعدها ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾؟ عله حيث الاولى يخص أزواجه والآخريان تشملان معهن بناته وكل امراة تعيش في جو الوحي مرتبطة به نسبا او سببا فهما باحرى يشملان الصديقة الزهراء (عليها السلام) ان يؤتهاها أجراها مرتين ويعتد لها رزقا كريما!

وهذه ضابطة عامة في الأعمال خيرا وشرا ، أن ينظر إليها من بعدين : نفس العمل ، ومن يرتبط به أيا كان ، في خير او شر من غير العامل ، وأعظم رباط للعاملين هو الواقع في جو الوحي ، ثم وما دونه من أجواء ، يذكر هنا أفضلها لنجعله نبراسا ينير الدرب على ما دونه ، كل بحسبه.

وإذا كان هذا موقف نساءه (صلى الله عليه وآلها وسلم) فباحتى بنته الزهراء (عليها السلام) وعلى (عليها السلام) والأئمة من ولدهما عليهم السلام من عترته وكما يروى عن زين العابدين (عليه السلام): «نحن أحري ان يجري فينا ما أجر الله في أزواج النبي من أن تكون كما تقول ، انا نرى لحستنا ضعفين من الأجر ولمسينا ضعفين من العذاب»<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٨ ح ٧٧ في مجمع البيان وروى محمد بن أبي عمر عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال رجل : انكم اهل بيت مغفور لكم قال غضب وقال : نحن ... وفي الدر المنشور ٥ : ١٩٦ . اخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد (عليه السلام) يجري أزواجه مجرانا في الثواب والعقاب

وقد عد الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) أزواجه في هذه الميزة من «اربعة يؤتون أجراهم مرتين»<sup>(١)</sup> دون اختصاص بمن ، فاما الميزة للأقرب فالأقرب صلة ومكانة ، وهم في عترة النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) اقرب قرابة ومحبها !

فمضاعفة العذاب هنا هي تبعه المكانة الكريمة من النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) كما مضاعفة الأجر فانها تابعة لنفس المكانة ، تقدر ان بقدرها في المنسوب والمنسوب إليه ، ولا أكرم من الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ولا أقرب من اهله الذين يعيشون جوّ الولي !

والفاحشة هي المعصية الفاحشة ، متتجاوزة حدتها ام الى غير العاصي ام تجمعهما ، ثم الفاحشة قد تكون مبينة متجاهرة ولا تبين إلا نفسها ، وقد تكون مبيّنة تبين معها موقف صاحبها ومن يتصل بهم بطبيعة الحال ، وهنا **﴿فِحْشَةٌ مُّبَيِّنَةٌ﴾** كالأخيرة لا فقط «مبينة» إذا فهي التي تبين موقف صاحبها أنها منه كما تراوشن من كوز ، لا فلتة غير قاصدة ، كما وتبين ما يستحقه من العقاب عليها.

ثم وليس الفاحشة لتختص بالشذوذات الجنسية وهي من الخبيثات

(١) المصدر اخرج الطبراني عن أبي امامه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) اربعة يؤتون أجراهم مرتين منهم ازواج رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وفيه اخرج ابن أبي حاتم عن الريبع بن انس في الآية قال : ان الحجة على الأنبياء أشد منها على الاتباع في الخطيئة وان الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم فان الحجة على نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) أشد منها على غيرهن ...

النسائية بعيدة عنها ساحة الرسالة القدسية حيث ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ مهما كانت للبعض من نساء الأنبياء فاحشة الكفر كما قبل الإسلام بسائر فسقه إلا الزنا.

فمن «الفاحشة الخروج بالسيف»<sup>(١)</sup> على وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه خروج على نفس النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وما أفحشها من فاحشة ، وكما خرجت عائشة يوم الجمل على وصي الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وخرجت زوجة موسى على وصيه حذو النعل بالنعل والقدمة بالقدمة<sup>(٢)</sup>.

ان حرب عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وحرب صفراط زوجة موسى (عليه السلام) مع وصيهما هي من الفاحشة المبينة ، خروجا عن بيت النبوة ، وخروجا على بيت النبوة ، ولا أفحش من هذه الفاحشة مبينة مدى التخلف العارم على صاحب الرسالة الإلهية ، والله يقول ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ ...﴾!

(١) نور الثقلين ٢٦٨ في تفسير علي بن ابراهيم بإسناد عن حriz قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَ ...﴾ قال (عليه السلام) : الفاحشة الخروج بالسيف ، وأقول وهو من التفسير بأفحش مصاديق الفاحشة.

(٢) نور الثقلين ٤ : ح ٢٦٨ في كتاب كمال الدين النعمة باسناده الى عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ان يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) عاش بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراط بنت شعيب زوجة موسى (عليه السلام) فقالت : أنا أحق منك بالأمر فقاتلتها فقتل مقاتليها واحسن أسرها وان ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفا من اميتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها وفيها أنزل الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ وَلَا تَرْجِعْنَ تَبْرُجَ الْخَالِدَةِ الْأُولَ﴾ يعني صفراط بنت شعيب.

وترى ان مضاعفة العذاب ضعفين هي ضعفين على أصل العذاب فهـي إذا ثلاثة أضعاف؟ والأجر الذي هو قضية الفضل أخرى بذلك من العذاب العدل وهو «مرتين»! إذا «ضعفـين» هـما «مرتين» حالـا من العذاب ، عذابا وثوابـا على سـواء ، والمضـاعفة هي الـزيادة قـلت او كـثـرت ، من مرـتين الى ما شـاء الله ، وهـي هنا ضـعـفين ، فالـضـعـفـ هو الـزيـادة دونـا تحـديدـ و ﴿مِنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْصِّعْدَفِ إِمَّا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٣٤ : ٣٧) واقلـ الضـعـفـ لهمـ عشرـةـ ﴿مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ﴿وَلَدِينَا مَزِيدًا﴾ وكـما لـمـ جـاءـ بالـسيـئةـ ضـعـفـ فيـ مضـاعـفـهاـ : ﴿رَبَّنَا هُؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَآتَهـمـ عـذـابـاـ ضـعـفـاـ مـِنـ التـارـ قالـ لـكـلـ ضـعـفـ وـلـكـنـ لاـ تـعـلـمـونـ﴾ (٧ : ٣٨) ومـعـلـومـ انـ ضـعـفـ المـضـلـلـ أـضـعـفـ منـ ضـعـفـ المـضـلـلـ وكلـ ضـعـفـ! ..

ومن ثمـ الأـضـعـافـ تعـنيـ المرـاتـ منـ ثـلـاثـةـ فـمـاـ فـوـقـهـاـ ﴿يـاـ أـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـأـكـلـواـ الـبـيـوـاـ أـضـعـافـاـ مـضـاعـفـةـ﴾ (٣ : ١٣٠) ايـ : مـرـاتـ مـزـيـدةـ عـلـىـ الأـصـلـ ﴿مـنـ ذـاـ الـذـيـ يـقـرـضـ اللـهـ قـرـضاـ حـسـنـاـ فـيـضـاعـفـهـ لـهـ أـضـعـافـاـ كـثـيرـةـ ...﴾ (٢ : ٢٤٥).

إـذـاـ فـمـضـاعـفـةـ الـضـعـفـينـ مـنـ الـعـذـابـ هيـ الـزـيـادـةـ الـمـثـلـينـ لـاـ زـيـادـةـ مـثـلـينـ عـلـىـ أـصـلـ الـعـذـابـ ، وـكـماـ الأـجـرـ مـرـتينـ : عـذـابـ اوـاجـرـ ، لـلـفـاحـشـةـ اوـ الـقـنـوتـ ، نـفـسـهـ فيـ حـسـابـ الـفـاعـلـ ، وـآـخـرـ تـخـجـيلاـ اوـ تـبـجيـلاـ لـجـوـ الـوـحـيـ وـالتـنـزـيلـ جـزـاءـ وـفـاقـاـ اوـ عـطـاءـ حـسـابـاـ.

هـنـالـكـ فـاحـشـةـ مـبـيـنةـ فـعـذـابـ ضـعـفـينـ ﴿وـكـانـ ذـلـكـ عـلـىـ اللـهـ يـسـيراـ﴾ وـلـيـسـ عـلـيـهـ عـذـابـهنـ عـسـيراـ تـمـعـهـ عـنـهـ مـكـانـتـهـنـ مـنـ الرـسـولـ حـيـثـ الرـسـولـ نـفـسـهـ اـيـضاـ مـهـدـدـ : ﴿لـوـ تـقـوـلـ عـلـيـنـاـ بـعـضـ الـأـقـوـيـلـ لـأـخـذـنـاـ مـنـهـ بـالـيـمـينـ.ـ ثـمـ

**لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَيْنَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٦﴾ (٤٦ : ٦٩)**

وهناك قنوت الله ورسوله ﷺ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا** خضوعا لله عبودية ولرسوله طاعة وعملا يصلح لذلك الخضوع ، صالحًا لجو الوحي والتنزيل **أَنْوَهُكَا أَجْرُهَا مَرْتَبَتِنَ** وزيادة هنا لأنه قضية الفضل : **وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَيْمَانًا** دونما هناك حيث العذاب قضية العدل فهو عدل للفاحشة دونها ربوة. أترى ان كن عوانا بين ذلك ، لا فاحشة مبينة ولا قنوت الله ورسوله ، فهلا يكون هنالك اجر ولا عذاب؟

اجل ! ولكنه لا ضعف في عذابهن ولا أجرهن ، حيث بعد الثاني من العصيان والطاعة عادم فثاني الأجر والعداب كذلك عادم ومثلهن إذاكسائر النساء على سواء ، فلا كرامة الا بالتصوّي ولا مهانة إلا بالطغوي ، أيا كانت الطغى وان زوجة النبي ، وأيا كانت التقوى وان زوجة فرعون الشقي **صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتْ نُوحٍ وَامْرَأَتْ لُوطٍ** كانتا تحنت عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَاحِبِيْنَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخَالَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ ، وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتْ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْنًا فِي الْجُنَاحِ وَنَجَّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ . وَمَرْمِيْمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَ ﴿٦٦﴾ (٦٦ : ٦٦).

ثم وليس مضاعفة الثواب والعقاب لنساء النبي إلا للبعد الثاني من الطاعة والعصيان ، دون رعاية للصلة بالنبي ، وإنما فلا عقاب ام تخفيضا من العذاب كضعف الثواب.

وترى ان مضاعفة العذاب في الفاحشة المبينة تخص الآخرة؟ ام تعم الاولى والآخرة؟

العموم قضية اطلاق العذاب ، فالفاحشة التي فيها الحد

يضعف لهن حدّها في الاولى كما في الأخرى إلّا انه يخص الفاحشة المبيّنة ، لا كل فاحشة ولا المبيّنة دون تبيين وقوفها عند النص فيما يشد عن القاعدة تأمل.

**﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَاحِدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِّي أَتَقِيَّنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢).**

انه ليس ارتفاع المساوات بين نساء النبي وسائر النساء لأنهن نساء النبي ، بل «ان اتقيتن» كما وليس النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) كأحد من الرجال لنبوته .. أنتن في مكانة لا يشاركـن فيه احد من النساء ، ولا تشاركن فيها أحدا من النساء ولكن «إن اتقيتن» فليست المسألة مجرد قرابة من النبي بسبب او نسب اللـهم إلـا حسب التقوى وسببها ونسبها ، فاللتقوى تقوى ان كانت في مكانة عليـا ومحتدـأقـوى كما الطـغوـى تقوى على سـوء ، فلا بد من القيام بـحق هذه القرابة العـليـا ، وهو القائل «يا فاطمة ابـنةـ محمدـ! يا صـفـيةـ ابـنةـ عبدـ المـطـلبـ! يا بـنـيـ عبدـ المـطـلبـ! لاـ أـمـلـكـ لـكـمـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ سـلوـنـيـ مـنـ مـاـ شـئـتـمـ»<sup>(١)</sup>.

وهل الأوامر والنواهي التالية تخصـنـ لـاختـصـاصـ خطـابـاتـهاـ لهـنـ؟ و «ان اتقيـنـ» تـعمـ كلـ تـقـوىـ وـاجـحةـ منـ كـلـ مـتـقـيةـ مـنـهـنـ وـسوـاهـنـ! وـموـارـدـ الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ هـنـاـ لـاـ تـخـصـنـ! فـانـماـ التـقـوىـ لـهـنـ تـخـرـجـهـنـ عـنـ مـسـاـواـتـهـنـ لـسوـاهـنـ دـونـ وـاجـبـاتـ اوـ مـحـرـمـاتـ تـخـصـنـ، وـليـسـ المـذـكـورـةـ إـلـاـ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ويروى المسلم والترمذـي ايضا قوله (صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ): «يا مـعـشـرـ قـريـشـ أـنـقـذـنـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ! يا مـعـشـرـ بـنـيـ كـعـبـ أـنـقـذـنـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ! يا مـعـشـرـ بـنـيـ هـاشـمـ أـنـقـذـنـاـ أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ! يا فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ انـقـذـيـ نـفـسـكـ مـنـ النـارـ! فـانـيـ وـالـلـهـ لـاـ اـمـلـكـ لـكـمـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ إـلـاـ انـ لـكـمـ رـحـمـاـ سـأـبـلـهـاـ بـيـلـاءـهـاـ.

عامة لكافة المسلمين دون اختصاص بهن ، فالآلية تشجيعهن على اصل التقوى وإذا  
 ﴿لَسْقَنَ كَأَحِدٍ مِّنَ النَّسَاءِ﴾ !

تقوى في القول سلبيا ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقُوْلِ﴾ وابجاييا ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ !

ينهاهن حين يخاطبن غير ذوي الأرحام عن ان يكونن في أقوالهن خضوع له نبرة مثيرة ،  
 ولينة مغيرة ، خضوعا في موسيقا التعبير ، ام ما يحمله من معنى مثير ، فوا ويلاه إذ اجمعوا في  
 عبرة القول ونبرته وضحكته! ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ : الشهوة الكامنة حيث  
 تظهرها القولة الخاضعة ، فلتكن قوله مخضوعة ام لأقل تقدير لا خاضعة ولا مخضوعة ، لا في  
 موسيقاها ولا في معناها.

للمرأة قولات ثلاث : ١ - خضوع . مثير باي من ابعاده . فمحظور ٢ - لا خضوع ولا  
 كبرباء وغير محظور ، ٣ - وإخضاع بكبرباء في قول تطوي نسائية الصوت ولطافته طيا  
 فمحبور مشكور ، فتقوى واجبة في قولهن عدم الخضوع ، ومن ثم راجحة هي إخضاع  
 والقول المعروف هو المعروف عن مسلم حلا في جنباته ، ثم المعروف عن مؤمنة حلا منها مع  
 غير المحارم ، ثم المعروف عن اهل النبي فهو إذا مثلث المعروف واقله ألا يكون فيه ما يحرم من  
 مؤمنة لغير حرم !

صحيح انهن كازواج النبي وأمهات المؤمنين ليس ليطمع فيهن طامع ، ولكن المرض في  
 قلوب مقلوبة يستشار ، قلوب مريضة بالشهوات دونما عفاف ، ام ومربيضة بنفاق ام نقصان  
 في ايمان ، مهما سلمت القلوب السليمة بایمان وعفاف على ما فيها من شهوة ، فانها  
 ليست ككل مرض افان الله خلقها في كل مؤمن ومؤمنة ، وفي النبيين ، وانما يخاف من لا  
 يعف شهوته .

وإذاً كن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما هن عليه من المكانة ، في ذلك الزمن البدائي البسيط هن ينهين عن الخضوع في القول ، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيشه اليوم ، المتقدمة فيه الشهوات ، المرفوفة على جوه الأطماء ، المسعرة فيه السعارات الحميمية الجنسية ، فأحرى بالمؤمنات إذاً لا يخضعن بالقول او يبرزن في آية صورة مثيرة ، فانها مثار الفتنة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنْ وَلَا تَبَرَّجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِيَنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ﴾

الله ورسوله ... ﴿٣٣﴾

«وقرن» هل إنها امر بالوقار؟ وامر «قرن»! والوقار واجبهن على آية حال ، وباحري خارج بيونكن وهنا «بيوتكن»! قضية الموقف في سرد أو امر ونواهي ، هي العطف كما في سائرها!

فهي إذا «قرن» عطفا ، فهل بعد من قار يقار إذا اجتمع؟ ولا موضوعية في جمعهن في بيونكن إلا قرارهن جماعات او فرادى! وأمرها «اقرن»! اللهم إلا بحذف الحرفين تخفيفا كما في اضراها فعمما ، ولكنها معنويا غير مناسبة فكلا!

أم إنها من قر يقر؟ وأمرها «اقرن» فكذلك الأمر إلا في المعنى ، فانه امر بقرارهن في بيونكن ، ومن دناءة المرأة كونها لفوتا تكثر الخروج من بيتها دون ضرورة تلجهها ، وهذا يناسبها في أدب اللفظ وجمال المعنى ، الاول بخلافهما ، والأوسط يخالف المعنى ، القرآن حمال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه وهو ثالثها.

يقرر هذا الأمر لهن أصل قرارهن في بيونكن ، فان اشغالهن في الأكثريه الساحقة أشغال بيته ، كفين عما سواها بمعونة الرجال مؤونات أما هي؟.

فلا يعني تحريم خروجهن عن بيونكن اللهم إلا تبرجا كالجاهلية

الاولى ، فلو كان عطفاً لكان «ولا تخرجن» في تبرج وسواء ، فاما نهين عن تبرج الجاهلية الاولى :

**﴿وَلَا تَرْجِنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾** احتشاماً في خروجهن إذا لزم الأمر او رجح ،  
بتحجّب يناسب حرمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتبرج هو تكلف في الظهور كالبرج  
المظاهر لكل ناظر ، تكلاً في اظهار زينتهن السسترة تحت ملابسهن ، وتتكللاً في تزيين زائد  
على الذاتية النسائية فيهن ، في عطرة تجلب ، او مشية تجذب ، او صوتة تطمع ، او غنجة  
تشير ، اماذا من تظاهر نسائي يعطف إليهن انظار الرجال الأجانب **﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** !

البيت ستر اول للنساء ، ثم إخفاء الزينة وكل جاذبية نسائية **﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ﴾** وتحدر  
بطبيعة الحال دونها تبرج ،

«كانت عائشة إذا قرأت : **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ﴾** بكثرة حتى تبل حمارها» <sup>(١)</sup> وهل  
كانت تبكيها وطأة الأمر الشاق؟ وليس قرار البيت إلا راحة للمرأة واحتشاماً! ام كانت  
تبكيها لأنها أضمرت خروجها يوم الجمل؟ نقلوها فانا لا ندري إلا خروجها يوم الجمل تخلفاً  
عن أمر ربهما على إمامها! <sup>(٢)</sup>.

(١) الدر المنشور ٥ : ١٩٦ . اخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق قال : كانت عائشة ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٦٩ ح ٨٢ في بصائر الدرجات احمد بن محمد والحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن علي بن النعمان عن محمد بن سنان يرفعه قال : ان عائشة قالت : التمسوا لي رجالاً شديداً العداوة لهذا الرجل (تعني علياً (عليه السلام)) أبعشه اليه قال : فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت اليه رأسها فقالت له : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقال لها : كثيراً ما اتني على ربي انه وأصحابه في وسطي فضررت ضربة بالسيف فسبق السييف الدم ، قالت : فأنت له اذهب بكتابي هذا فادفعه .

﴿وَقَرْنَ .. وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾؟!؟ كما وقرن ولم يتبرجن <sup>(١)</sup>.

الى ظاعنا رأيته او مقیما ، اما انك ان رأيته راكبا على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) متکبا قوسه معلقا کنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه کأنهم طير صوف قال : فاستقبله راكبا كما قالت فناوله الكتاب فقص خاتمه ثم قرأه فقال : تبلغ الى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك؟ فقال : هذا والله ما لا يكون ، قال : فسار خلفه فاحدق به أصحابه ثم قال له : اسألك قال : نعم قال : وتحببني؟ قال : نعم قال : نشدتك بالله هل قالت : التمسوا لي رجالا شديدا العداوة لهذا الرجل فأتى بك فقالت لك : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت : كثيرا ما اتني على رب اه وأصحابه في وسطي واني ضربت ضربة سبق السيف الدم؟ قال : اللهم نعم! قال : فنشدتك الله هل قالت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه اليه ظاعنا کان او مقیما اما انك ان رأيته راكبا على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) متکبا قوسه معلقا کنانته بقربوس سرجه أصحابه خلفه کأنهم طير صوف فتعطيه كتابي هذا؟ قال : اللهم نعم قال : فنشدتك الله هل قالت لك : ان عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئا فان فيه السحر؟ قال : اللهم نعم قال : فتبليغ عنی؟ قال : اللهم نعم فاني قد أتيتك وما في الأرض خلق ابغض الي منك وانا الساعة ما في الأرض خلق أحب الي منك فمرني بما شئت قال : ارجع إليها بكتابي هذا وقل لها : ما أطع الله ولا رسوله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت ترددin في العساكر وقل لهم : ما أنصفتم الله ولا رسوله حيث خلقتكم في بيوتكم وأخرجتم حليله رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قال فجاء بكتابه فطرح إليها وأبلغها مقالته ثم رجع اليه فأصيب بصفين فقالوا : ما بعث اليه بأحد الا أفسده علينا.

(١) الدر المثور ٥ : ١٩٦ . اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال نبئت انه قيل لسودة زوج النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ما لك لا تتجرين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت : قد حججت واعتمرت وامري الله ان أفر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي حتى الموت قال : فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها وفيه اخرج احمد عن أبي هريرة ان النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قال : فكان كلهن يحجن الا زينب .

ولماذا تخرج المرأة من بيتها؟ ألمًا تعنيها من تحصيل النفقة إذ تعانيها؟ وهي من واجبات الرجال! ألمًا ذا من واجبات خارج البيتية؟ وهي كلها موضوعة عنها موضوعة على الرجال ، تحفيقاً عنهن واحتشاماً لهن وحفظاً على حرماهن! .

للرجال رحولة الأشغال وهي في فسحة خارج البيتية ، وللننساء انوثة الأشغال وهي داخل البيتية ، فعلى كلّ تقديم واجبه ، وفي معاكسة الأشغال أم خروج المرأة لتعمل مع الرجل ، كارثة على البيت لا تجبر ، اللهم إلا في الضرورات التي تبيح المحظورات ، وبيت المال يضمن مجالاتها الاقتصادية للرجال فضلاً عن النساء اللاتي ليس لهن من ينفق عليهن ، او عمل في البيت او مثله في الحفاظ عليها!

واجب النفقة أما إذا من اشغال خارج البيتية يتبع للزوجة والأم من الجهد ومن الوقت وهدوء البال ما تشرف على الفراخ النائمة ، فالام الكادحة المكدودة بالعمل لتحصيل النفقة ، المقيدة بمواعيد العمل ، ليست لتعطى للبيت واجبه التربوي ، فيبيوت العاملات والموظفات هي كالفنادق والحانات وأتعس منها وأركس ، حيث النائمة المحتاجة الى تربية الأم تتهدر فيها ، ولا ينوب عنها غيرها من مربين او مربيات!

فأما ان تخرج المرأة لغير العمل ، بل للاختلاط بالرجال والإشتغال بالملاهي أما إذا من هوا وشهوات فهو الارتكاس الى حماة الحيونات ودرك الجاهليات التي ترد الإنسان الى مراتع الحيوان!

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ان المرأة عورة فإذا

. بنت جحش وسودة بنت زمعة وكانتا تقولان : والله لا تحركتنا دابة بعد ان سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

خرجت استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من رحمة رها وهي في بيتها»<sup>(١)</sup> كما و «جهن الى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقلن يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فما لنا عمل ندرك فضل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال (صلى الله عليه وآلها وسلم) : من قعدت منك في بيتها فإنما تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>. وقال (صلى الله عليه وآلها وسلم) : «شر النساء المتبرجات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منها إلا مثل الغراب الأعصم»<sup>(٣)</sup>.

التأكيد في قعودهن في بيتهن امر ارشادي للحفاظ على العفاف وعدم التبذل امام الرجال ، وأما إذا خرجن غير متبرجات بزينة ، متعففات ، فما عليهن من سبيل ولا سيمما في حماويهن المادية والمعنوية فراجع او واجب ، ولقد كن يخرجن زمن الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) للصلوة وتمريض جرحى الجهاد إماذا من متطلبات راجحة وواجبة ولكن في غير تبرج وظاهرة بمحفاتها ، بل متعففات متبرجات ، وقد «كان نساء المؤمنين

(١) المصدر اخرج الترمذى والبزار عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ...

(٢) المصدر اخرج البزار عن انس قال : جهن النساء ...

(٣) المصدر اخرج البيهقي في سنته عن أبي أذينة الصدفي ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ... وفيه اخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما بايع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) النساء قال : لا تبرجن تبرج الجاهلية الاول قالت امرأة يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أراك تشترط علينا الا تتبرج وان فلانة قد اسعدتني وقد مات أخوها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) اذهبي فاسعديها ثم تعالى فبايعني.

يشهدن الفجر مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ يرجعون متلفعات بمحوظهن ما يعرفن من الغلس»<sup>(١)</sup>.

ولو كان خروجهن متنوعاً لما امرن بالحجاب ، فإنه ستة عن الرجال الأجانب ، والآية تنهى عن التبرج بعد الأمر بقرارهن في بيتهن ، فليس خروجهن غير متبرجات تحت النهي ولا تحت الأمر ، فهو إذا مسموح كفرع يستثنى عن اصل قرارهن في بيتهن لراوح او واجب ام مباح !.

هنا لك المنع عن تبرج الجاهلية الأولى ، مما تلمح بتبرجها أخرى<sup>(٢)</sup> ام تبرجات ثانية وثالثة اماهيه؟ وكما نعيش اليوم أبغض التبرجات النسائية في بلاد متخلفة عن شرعة الله ، لا يسترن إلا عوراتهن ولو كانت جميلة ما سترنها ، وقد يتبرجن فيها جلية أكثر لمتاع الجنس وعند ذلك الطامة الكبرى! وجاهلية القرن العشرين من أبغض الجاهليات التي تمر فيها البشرية وعاشتها حتى الآن!

أنت يا ريحانة ماذا تعنين من التبرج ، تظهرين مفاتنك ، وتحملين بدنك وتتعنجين في صوتك وحركاتك ، وتلبسين ما يجعل انتشار الجنس وبغاته ، فهل أنت متاع تعرضين نفسك للشراء ، ام حيوانة شهوة تتبعين البغاء وتفتشين عن زبائن ، تعملين من نفسك برجا يقصد وعند ذلك الطامة الكبرى.

لتبرج النسائي دركات ، من مشية بين الرجال تخلب انظارهم وضرب بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، بمشية تكسّر وتغنج ، ومن تكشف ما

(١) نور الثقلين ٤ : ٧٩ ح ٢٦٩ تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية قال : اي ستكون جاهلية اخرى

(٢) كما في الصحيحه عن عائشة.

يجب إخفاؤه من زينة ، وكل ما يعطف أنظار طلاب الجنس إليهن بصرًا وسعاً وشأ ، كل هذه تبرجات مهما اختلفت دركاتها وخطاتها ، والآية تمنع عن تبرج الجاهلية الأولى ولم يكن إلا تبرجاً بزينة كيما كانت ، اللهم إلا ما ظهر منها مهما جلبت انتظاراً لم تجلب.

هنا لك تستر مطلق في قرارهن في بيونهن وهو الأصل لحياتهن ، ثم خروج باحتشام في غير تبرج بزينة ، برجاً ظاهراً دونما ظاهر ، ثم خروج في تبرج بأية زينة تجعلهن كبرج يقصد ، والممنوع هو الأخير بكل صوره ولا سيما التعري بين الرجال كما كان أحياناً يطفن البيت عاريات قائلات : اليوم يبدو كله أو بعضه .. فما بدأ منه فلا أحله !

ولأن الجاهلية الأولى ما تجاوزت عن تلكم التبرجات <sup>(١)</sup> فنحن نعيش الآن جاهلية أعمى وأنحسر من الأولى ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين وضلال مبين ! حيث بلغ التبرج إلى ابشع من التعري.

**﴿وَأَقِمْ الصَّلَاة﴾** كما يحق ، لا قياماً للصلوة ولا إتيانها كيما كانت ، وإنما إقامتها بظاهرها وباطنها كما تصلح لحضر رب سبحانه وتعالى .. **﴿وَآتِيَنَ الزُّكَّةَ﴾** : الضريبة المالية التي تنمي المال وتظهر صاحب المال

(١) في الدر المنشور ٥ : ١٩٩ عن مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية وعن قنادة : وكانت لهن مشية تكسر وتفنج فنهن الله عن ذلك عن ابن حيان : والتبرج إنما تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيرى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج وقال ابن كثير في التفسير : كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت شعرها واقرطه آذانها فامر الله المؤمنات ان يسترن في حياتهن وأحوالهن

وال المجتمع من دنس الفقر وسوء الحال ﴿وَأَطْعِنُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فأنتن أحرى بذلك حيث ينزل الوحي في بيتكن ... إنما ...؟

﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣)

هذه آية التطهير ، منقطعة النصير ، في التعريف بمدى العصمة والطهارة للبشر النذير ، واهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم بذلك التطهير .

فانها على اتصالها بما قبلها من جملات في آيتها وآيات قبلها ثم «واذكرن» التي بعدها ، هي منفصلة عما احتفت بها في مغزاها ومعناها ، حيث الخطابات في سواها الـ (٢٢) كلهما جموع مؤنثة تعني نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وهنا جمعان مذكران يعنيان الذكران من اهل البيت (عليهم السلام).

وانها تصلح لفظياً ومعنىاً أن تكون آية مستقلة عما تصدرتها نازلة لوقت آخر ، وكما توافت بذلك روایات الفريقين عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) واهل بيته الكرام (عليهم السلام) (١) .

واستقرارها تأليفاً في آية القرار : «وَقَرْنَ...» أمر قاصد قاسط إذ يعني التأليف بين بيتي النبي الأقدس (صلى الله عليه وآلها وسلم) في الظاهر النسائي والباطن المعرفي في قمة العصمة والطهارة ، وليس لها موضع أنساب منها هاهنا ، رغم ما يهرف بها لا يعرف فيحرف أنها تحولت

(١) أحاديث التطهير المتواترة مطبقة على أن آية التطهير مستقلة نزلت دون ألفاظها الأخرى التي معها في التأليف.

إلى هنا تحريفاً عن موضعها بغية تحريف عن موضوعها أنها تعني نساء النبي كما عنتهن سائر خطاباتهن؟ وذكورة الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه من ذكران أهل البيت! .  
أو ان الله جعلها فيها كيلاً لحرف عما تعنيه زعم أنها تعني ما تعنيه خطابات النساء ، كحيلة إلهية تحول دون التحريف ! ولا تحريف في القرآن ولن .. أيًا كان وأيام بادلة الحفظ عقلياً وكتابياً وفي السنة القطعية ، فهل يخاف الله المحرفين لكي يحتال حتى لا يغتال؟!  
ان ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير ، كما و «إنما» و «أهل البيت» إما ذا من عساكر البراهين من نفس الآية ومن السنة المتواترة تدلنا على تحول الخطاب عنهن إلى رجال أهل البيت ، إذا فالبيت غير البيت واهله غير اهله!  
ليست آية التطهير تعني نساء النبي لا في ادب اللفظ لمكان «كم .. كم» ولا في حدب المعنى لمكان «إنما» أما ذا؟ من قرائن قطعية تحافظ على مكانة مخاطبها ، رغم مكانها بين مخاطبات!.

فكمَا ﴿يُوسُفُ أَعْرَضْ عَنْ هَذَا﴾ لا تحول ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ إلى مخاطبها ، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما يعنيه المضمور والضامر ذكرانا وإناثاً! كذلك «كم» هنا لا تحول إلى غير مخاطبها! وقرينة السياق . على نقد في أصلها . ليست لتسوق مقارنها إلى غير الصريح من معناها!  
أتري نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) كن هنا رجالاً لكي

يخاطبن بخطابهم «كم» كما يهربه من لا يعرف ادب اللفظ والمعنى؟<sup>(١)</sup> ام نسي الله او تناسي وسهي فخاطبهن بعد خطابات النساء خطاب الرجال؟ ام عنى بهم رجال أهل البيت وفي ضمنهم النساء تغليبا لقبيل الرجال كما في سائر الأحوال؟ وشمول ضمير الرجال للنساء بحاجة الى دليل قاطع! والقرائن القطعية في الآية تنحّيهن وكل من هو دون العصمة القمة عنها! والسنة القطعية لا تضم إليها إلا الصديقة الكبرى سلام الله عليها! ولعن سألنا نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) هل أنتن ام واحدة منكن داخلة في هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبيا وسواه؟ لا نسمع الجواب إلا كلا ، ولا سيما وان القرآن ناطق بالاخفاء الجارفة في بعضهن ﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾!

هنا «إنما» في ارادة الطهارة وإذهاب الرجس عن اهل البيت (عليهم السلام) تحصرها في أهل البيت وتحسرها عن سواهم ، أيًا كانوا وأيًّا من أهل البيوتات الرسالية وملاة العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين! .

فلا يدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ولا جبريل وميكائيل والروح (عليهم السلام) امّن ذا؟ فضلا عن نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ام ورجال فوقهن في درجات الإيمان كمقداد وأبي ذر وسلمان! اهل البيت في إطلاقها تشمل كل أهل من كل بيت ، بيت السكن

(١) كعكرمة في قوله «من شاء باهله انها نزلت في ازواج النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) كما ويشير في قوله الآخرى الى وحدته في وحدته «ليس بالذى تذهبون اليه انما هو نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) (الدر المنشور ٥ : ١٩٨).

للبدن حيث الإنسان يستريح فيه بيده من الأعباء ، فأهلها هم الآهلون لتهيئة الراحة البدنية من ازواج وخدم واضرائهم.

ام بيت يبيت فيه الروح ، جو روحاني يتغيه الروح لراحة الاستضاءة من أضواء المعرفة واهله الآهلون لتلك الاستضاءة.

هذا جو روحاني وبيت يحلى على أهله ، وذاك جو جسدي وبيت يحلى على أهله ،  
واين بيت من بيت وأهل من أهل؟

وهما قد يجتمعان كبيت علي وفاطمة هما وللرسول الأقدس (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وقد يفترقان كحجرات الرسول بنسائه ، وكمـن يعيشـون عـيشـة الحـيـوان لـيس هـم جـوـ رـوحـانـي يـعـيشـهم عـيشـة الإـنـسانـ!

ولـكـان «إـنـما» هـنـا لـيـسـ منـ اـهـلـ الـبـيـتـ نـسـاءـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) إـذـ لاـ يـشـمـلـهـنـ لـأـنـهـنـ اـهـلـ بـيـتـ سـكـنـ مـنـ حـجـرـ وـمـدـرـ وـهـوـ بـيـتـ مـحـمـدـ كـبـشـرـ ،ـ وـالـمـسـنـدـ إـلـيـهـ هـنـاـ هوـ مـحـمـدـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)!

ترى بعد انـهمـ اـهـلـ بـيـتـ الرـسـوـلـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)؟ـ وـهـوـ لـاـ يـشـمـلـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـهـوـاسـهـ وـأـسـاسـهـ؟ـ وـ«إـنـما»ـ الـحـاـصـرـةـ تـجـعـلـهـ الـمـصـادـقـ الـاجـلـيـ فيـ هـذـهـ الـاـهـلـيـةـ الـمـبـارـكـةـ ،ـ وـمـاـ سـائـرـ اـهـلـ بـيـتـ الـاـكـمـصـادـيقـ ثـانـوـيـةـ!ـ مـهـمـاـ تـوـاتـرـتـ الـرـوـاـيـةـ انـهـمـ «ـعـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـانـ»ـ فيـ التـنـزـيلـ وـكـمـاـ يـرـوـيـ عـنـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ هـؤـلـاءـ اـهـلـ بـيـتـ وـهـمـ أـحـقـ بـخـلـافـيـ»ـ (١ـ).

(١ـ) غـاـيـةـ المـرـامـ فيـ كـفـاـيـةـ الـخـصـامـ صـ ٣٧٦ـ عنـ مـسـنـدـ اـحـمـدـ بنـ حـنـبـلـ عـنـ اـحـمـدـ بنـ حـنـبـلـ عـنـ أـبـيـهـ اـحـمـدـ عـنـ شـدـادـ بنـ عـمـارـةـ ذـهـبـتـ إـلـىـ وـاثـلـةـ بنـ اـسـفـعـ وـعـنـهـ جـمـاعـةـ يـسـبـونـ عـلـيـاـ فـشـارـكـتـهـمـ فـقـالـ وـاثـلـةـ أـتـرـيدـ اـنـ أـخـبـرـكـ بـماـ سـمعـتـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)؟ـ قـلـتـ :ـ بـلـىـ قـالـ :ـ ...ـ سـاقـ حـدـيـثـهـ فيـ آيـةـ التـطـهـيرـ ثـمـ قـالـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ :ـ وـهـمـ أـحـقـ بـخـلـافـيـ أـقـوـلـ وـالـأـرـبـعـةـ فيـ التـنـزـيلـ مـنـ بـابـ .

او انهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، أعلى جو روحاني يشمله وإياهم ، وبيت رسالي يعمهم ، لا الرسولي الذي يخص أهل الرسول المعصومين؟ وهذا يناسب حصر الطهارة ، واطلاق البيت <sup>(١)</sup> وتواتر الأحاديث الاخرى عن الرسول واهل البيت وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «نحن اهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» <sup>(٢)</sup> (عليهم السلام).

التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتافق عليه وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في  
الخمسة محمد بن جرير الطبرى في التفسير عن خمسة عشر طرقاً عن أم سلمة والسيوطى في التفسير عن عشرين  
طريقاً والتعليق في التفسير عن تسعه طرق عن أم سلمة وفي طرق عده عن عائشة ، وقد نقله جماعة من المخاطب  
والمحاذين مثل ابو نصر الحميدي وموفق بن احمد وابو رزين في جامع الصحاح والامام احمد والطبراني عن أم سلمة  
، والطبرى والتعليق في تفسيريهما وعبد الله الشافعى في مناقبه والطبرانى في المعجم الكبير وابن أبي بكر في مجمع  
الزوايد والترندي فينظم درر السمعتين والمheimi في الصواعق وابن حسنيه في درر بحر المناقب والجرى في المناقب  
والبدخشى في مفتاح النجا والقارى في أربعين حديثاً والنهاي فى الأنوار الحمدية والواحدى فى اسباب النزول  
والقتنذوزي فى ينابيع المودة والأمر تسرى فى أرجح المطالب والقطسطلاني فى المواهب اللدنية والخمراءوى فى مشارق  
الأنوار والنهاي فى الشرف المؤيد والذهبى فى تاريخ الإسلام . كلهم عن أبي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله  
 وسلم).)

(١) حيث التقييد باهل بيت الرسول روحياً كما هو بدنياً لا يناسب اطلاق «أهل البيت»، ويبيت الرسالة الحمدية هنا قضية الإطلاق وسائر البراهين القاطعة.

(٢) الدر المثور ١٩١ عن ضحى بن مزاحم ان نبى الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كان يقول : ... أقول «كان يقول» دليل استمراره في قوله هذا وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) نزولها في الحمسة محمد بن حرير الطبرى في خمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سلمة والسيوطى في التفسير في عشرين رواية والشعانibi عن أبي سعيد الخدري عنها وعن أبي هريرة وعبد الله بن وهب بن زمعة وعمر بن أبي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج والبخارى وسائر الصحاح عنها والشعانibi في .

ولقد اجمع اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) والتابعون ، واتباعهم ، وأئمة الحديث ، والمفسرون في تواتر صارم لا قبل له ولا مثيل بين متواتر الحديث ، أجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيته ، وقد يربو روات حديث التطهير ألفاً مما يجعله كآيته في التواتر الصارم !

ومن المروي عنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) <sup>(١)</sup> بنت الرسول

. تفسيره بتسعه طرق وابو نصر الحميدي وموفق ابن احمد صدر الائمه وابو زين في جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) والامام احمد والطبراني عنها وكذلك عن عائشة بعده طرق ، وعشرات عشرات اخرى من الحفاظ ورجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة اقوى من نزولها في الاربعة !

(١) وقد روي عنها حديث الكسae المشهور ، أخرجه عن جابر بن عبد الله الانصاري جماعة كالشيخ البحريني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحريني عن السيد ماجد البحريني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن القدس الارديلي عن علي بن عبد العالى الكركى عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ احمد بن فهد الحلبي عن الشيخ علي بن الحازن الحائزى عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الاول عن أبيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلبي عن المحقق الحلبي عن ابن ثما الحلبي عن محمد بن إدريس الحلبي عن أبي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطرسى صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن أبيه شيخ الطائف الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم القمي عن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن نصر البزنطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن أبي بصير عن ابان بن تغلب عن جابر بن زيد الجعفى عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : سمعت فاطمة الزهراء (عليها السلام) انها قالت : دخل على أبي رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) في بعض الأيام فقال : السلام عليك يا فاطمة ! فقلت : وعليك السلام يا أبناه فقال : اي لأجد في بدئي ضعفا فقلت له : أعيذك بالله يا أبناه من الضعف فقال : يا فاطمة ايتيني بالكسae اليماني وغضبني به وصرت انظر اليه فإذا يتلاً أكانه البدر في ليلة ثامنه وكماله فما كانت الا ساعة وإذا بولدي الحسن (عليها السلام) قد اقبل فقال السلام عليك يا أماه فقلت وعليك السلام يا فرة عيني ومرة فؤادي فقال لي : يا أماه ! ابني أشم عندك رائحة طيبة .

كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم يا ولدي ان جدك تحت الكسae فا قبل  
الحسن (عليه السلام) نحو الكسae وقال : السلام عليك يا جدah يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! أتأذن  
لي ان ادخل معك؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك فدخل معه تحت الكسae  
فما كانت الا ساعة فإذا بولدي الحسين (عليه السلام) قد اقبل وقال : السلام عليك يا أماء! فقلت وعليك  
السلام يا فرة عيني وثرة فؤادي فقال لي : يا أماء! اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى  
الله عليه وآله وسلم) فقلت : نعم يا بني ان جدك وأخاك تحت الكسae فدى الحسين (عليه السلام) نحو الكسae  
وقال : السلام عليك يا جدah السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي ان أكون معكم تحت هذا الكسae؟ فقال  
وعليك السلام يا ولدي ويأ شافع امتي قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكسae فا قبل عند ذلك ابو الحسن  
علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
فقلت وعليك السلام يا أبو الحسن ويأ امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا فاطمة اني أشم عندك رائحة طيبة  
كأنها رائحة اخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكسae  
فا قبل علي نحو الكسae وقال : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتأذن لي ان أكون معكم  
تحت الكسae قال له وعليك السلام يا اخي وخليفتي وصاحب لوائي في الحشر نعم قد أذنت لك فدخل علي  
تحت الكسae ثم أتيت نحو الكسae وقلت السلام عليك يا بنتاه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتأذن لي  
ان أكون معكم تحت الكسae قال لي وعليك السلام يا بنتي ويأ بضعي قد أذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا  
واجتمعنا جميعا تحت الكسae فأخذني أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطريق الكسae وأومى بيده اليمنى  
إلى السماء وقال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي وهامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويخزنني ما  
يخزنهم انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمتهم وعدو لمن عادهم ومحب لمن أحبهم وآهمن منهن فاجعل  
صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا فقال عز .

. وجل : يا ملائكتي ويا سكان سماءتي اني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور ولا فلكا تسرى ولا بحرا يجري الى لحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرئيل يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فقال جبرئيل يا رب أتأذن لي ان اهبط الى الأرض لأكون معهم سادسا فقال الله عز وجل : قد أذنت لك فهو بط الأمين جبرئيل وقال لابي : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك : وعزتي وجلالتي اني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور ولا بحرا يجري ولا فلكا تسرى إلا لأجلكم ومحبكم وقد اذن لي ان ادخل معكم فهل تأذن لي أنت يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فقال أبي وعليك السلام يا أمين وحي الله نعم قد أذنت لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل لابي ان الله قد اوحى إليكم يقول : اما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وبطهركم تطهيرًا فقال علي (عليه السلام) يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) اخرين ما جلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله فقال (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : والذى بعثنى بالحق نبيا واصطفانى بالرسالة نجينا ما ذكر خربنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي (عليه السلام) : إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال أبي يا علي ! والذى بعثنى بالحق نبيا واصطفانى بالرسالة نجينا ما ذكر خربنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفرج الله عنه ولا مغموم الا وكشف الله عنه ولا طالب حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي (عليه السلام) : إذا والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة برب الكعبة».

أقول : ورواه مثله الا في بعض المكررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المت Cobb الكبير والديلمي في الغر والدر والحسين العلوي والدمشقي الحنفي والشيخ محمد جواد الرازى الكتبي في نور الافق ص ٤ وقد نظمه جماعة من نواعي الأدب من أصحابنا وإخواننا منهم ابو المعز السيد محمد بن السيد مهدي القزويني والسيد هاشم بن المحسن اللعيبي الموسوي والسيد محسن الأمين الحسين العاملي الدمشقى صاحب اعيان الشيعة والشيخ احمد الشافعى على ما في المشارق للعلوى والشيخ يوسف النبهانى البيروى والسيد محمد بن عبد المحسن المخيوي الخلوقى الدمشقى في ديوانه وتويد حديث الكسae الروايات التي تقول جاء رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) الى فاطمة كما أخرجه .

(صلى الله عليه وآلـه وسلم) وعائشة وام سلمة وزينب من أزواجه ، وكافة أئمة اهل البيت (عليهم السلام).<sup>(١)</sup>

. ابن أبي شيبة وابن حجر وابن المنذر والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسعق قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل .. وآخر سبط ابن الجوزي عن واثلة قال : أتيت فاطمة (عليها السلام) اسألها عن علي فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فجلست انتظره فإذا برسول الله قد اقبل ومعه علي والحسن والحسين قد أخذ ييد كل واحد منهم وقليل هذه الروايات التي تقول ان القصة كانت في بيت غير فاطمة ، فانما بين مطلقة وما تدل انما كانت في بيتها . ولفظة «خرج» (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في رواية عائشة في الأكثر دليل ان القصة ما كانت في بيت عائشة كما رواه عنها ابن مسعود الشافعي مصابيح السنة والزمخشري في الكشاف وابن حجر في تفسيره وابن حجر في الكافي الشاف في تخریج أحاديث الكشاف والدشتکي الشیرازی في روضة الأحباب ومسلم في صحيحه وآخر ابن أبي شيبة واحمد وابن حجر وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسعق قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل ... شو اليسابوري في المستدرک ٤٦ : ٢ عن واثلة قال : جئت أريد علي ... والقتنوزي في بنايع المودة ٢٩ عن واثلة قال : دخل النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) على بيت فاطمة ... أقول والرواية عن واثلة في كلمة واحدة ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) جاء الى بيتها!

(١) ومن أصح ما أنسد الى عائشة ما يروى عن مجتمع انه دخل مع امه عليها بعد مقتل الامام علي (عليه السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت : تسأليني عن أحب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لقد رأيت عليا وفاطمة وحسينا وجمع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بثوب عليهم ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرها» قلت : وانا من اهل بيتك؟ قال (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : تنحي أنت على مكانك انما أراد الله بهذه الآية انا وعليا وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) رواه الشعابي في تفسيره بإسناد متصل الى مجمع الحارثي والبخاري ومسلم من مستند عائشة وابن أبي شيبة واحمد .

. واحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عنها ، وبتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح السنة عن موطن ما للك بن الانس وصحيحي مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين بن معاوية العبد يري عن صحيح أبي داود عنها الا في «انا» ومقدمة القصة وأخرجه مثله ابو زكريا ابن أبي إسحاق بسند له عن جميع اليماني وابو عبد الله الدينوري عن مجعوع عبد الله بن فراش الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاخلاق ١٤ : ٧٥ . ٧٥). وفي ٩ : ١٠ البيهقي في الحasan والمساوي ٢٩٧ قال قيل وسئل عائشة عن امير المؤمنين (عليه السلام) فقالت وما عسيت ان أقول فيه وهو أحب الناس الى رسول الله فساقت حديث التطهير الى وقيل لها كيف سرت اليه؟ قالت : انا نادمة وكان ذلك قدرا مقدورا ومن اخرج ما في معناه عن عائشة العالمة باكثير الحضري في وسيلة المآل ص ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة الشيخ عبد العزيز بن بخي في الدر المنشور في تفسير الأسماء الحسنى بالتأثر (ص ١٢٦ ص ط الميمنية بمصر) والعلامة محمد رضا المصري والعلامة علي بن سلطان محمد القاري والتعليق والبخاري ومسلم من مستند عائشة وابن أبي شيبة واحمد وابن أبي حاتم والحاكم والجمع بين الصحاح السنة عن موطنها مالك وصحيحي مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين معاوية عن صحيح أبي داود والعلامة جمال الدين الزرندي الحنفي في (نظم درر السمحطين ١٢٣) والعلامة الشيخ ابراهيم الحموي في فرائد السمحطين المخطوط والعلامة السيد علوى بن طاهر الحداد الحضري في القول الفصل ج ٢ ص ٢١٥ ط جواوا والحافظ البيهقي في السنن الكبير ج ٢ ص ١٤٩ والطبرى في جامع البيان ٢٢ : ٦ وابو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدى في الجمع بين الصحيحين المخطوط والعلامة البغوى في تفسيره معلم التنزيل ٥ : ٢١٣ والعلامة محب الدين الطبرى في ذخائر العقى ص ٢٤ والعلامة ابن كثير الدمشقى في البداية والنهاية ٨ : ٣٤ والشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقى في تحذيب تاريخ ابن عساكر والعلامة الشيخ علاء الدين البغدادى الشهير بالخازن في تفسيره (٥ : ٢١٣) والعلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلي في منهاج السنة ٣ : ٤ و ٤ : ٢٠ والعلامة الشيخ خضر بن عبد الرحمن في التبيان ص ١٢٥ مخطوط والعلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعى في المتنفى في سيرة المصطفى ص ١٨٨ المخطوط والخطيب التبريزى العمرى فى مشكوة المصايح ص ٥٦٨ ط الدھلی والعلامة الذھبی فى المتنفى من منهاج الاعتدال ص .

١٦٨ . ٣٠٤ والعلامة القاضي المير حسين الميدى اليزدي في شرح ديوان امير المؤمنين ص ١٨٥ مخطوط والعلامة احمد بن حجر الهيثمي في الصواعق الحرقه ص ٢٢٧ والعلامة الشيخ عبد النبي بن أحمد القدوس الحنفي في سنن المدى ٥٦٣ مخطوط والعلامة علي بن عبد العال الكركي في نفحات الالاهوت ص ٥٣ والعلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في ذخائر المواريث ج ٤ ص ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشافعى في المناقب ١٥ مخطوط والعلامة البدخشى في مقناح النجا ١٤ مخطوط والعلامة الشيخ سليمان البلخي الحنفى في ينابيع المودة ١٠٧ والعلامة السيد محمد صديق حسنخان ملك بهوالى في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشيباني في تيسير الوصول ١٦٠ والعلامة الشيخ يوسف النهايى في الشرف المؤيد والعلامة الحضرمى فى القول الفصل ٢ : ٢١٠ والعلامة السيد ابو بكر العلوى الحضرمى الشافعى فى رشفة الصادى ١٥ والعلامة السيد محمد بن يوسف التونسي فى السيف اليماني والعلامة الشيخ عبيد الله الحنفى الأمر تسرى فى أرجح المطالب ٥٢ والعلامة السيد احمد بن سودة الحسنى الادرسي فى رفع اللبس والشبهات ٦٥ والعلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصرى فى التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٠٨ والعلامة الملا علي بن سلطان المروي الحنفى فى جمع الوسائل فى شرح الشمائى ١ : ١٤٧

(٣) وما روى عن ام سلمة ما أخرجه محمد بن جرير الطبرى عن حكيم بن سعد قال ذكرنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه عند ام سلمة فقالت : في بيتي نزلت **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ..﴾** جاء رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) الى بيتي فقال : لا تاذن لأحد فجاءت فاطمة فلم تستطع أن احتجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم تستطع ان احتجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم تستطع ان احتجبها عن جده ثم جاء الحسين فلم تستطع ان احتجبها عن جده ثم جاء علي فلم تستطع ان احتجبها فاجتمعوا فجللهم رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بكساء ، كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهير فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقتلت يا رسول الله وانا فوالله ما أئمـع وقال : انك الى خير واخرج ابن المغازى وكثير مثله عنها اخا قالت نزلت هذه الآية في رسول الله علي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام)

ومن اخرج حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولى في كتاب الكنى ٢ : ٤٢١ والحافظ الحسين بن الحكم المجري في تنزيل الآيات ٢٠ نسخة فوتografie جامعة طهران والعلامة الحضرمى في وسيلة المآل ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة ابن المغازى الشافعى في -

. المناقب ١١٠ نسخة مكتبة صنعا يمن والعلامة الشيخ محمد رضي المصري المالكي في الحسن والحسين ٧ والحافظ ابو عيسى الترمذى في صحيحه ١٣ : ٢٤١ واحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٢٩٨ والطبرى في تفسيره ٢٣ : ٧ . والبخارى في التاريخ الكبير ١ : ٧٠ واحمد بن علي بن ثابت الشافعى في تاريخ بغداد ٩ : ١٢٦ وعبد الله بن محمد بن حيان الاصبهانى في أخلاق النبي ١١٦ ابو إسحاق الشعى فى الكشف والبيان المخطوط والعلامة النبهانى فى الأنوار الحمدية ٤٣٤ والواحدى النيسابورى فى اسباب النزول ٢٦٧ وابو نعيم فى اخبار اصبهان ١ : ١٠٨ والبغوى فى معلم التنزيل ٢١٣ وعلى بن ثابت الشافعى فى موضع أوهام الجمجم والتغريق ٣ : ٢٨١ وابن الأثير فى اسد الغابة ٤ : ٢٩ ومحب الدين الطبرى فى الرياض النضرة ٢ : ١٨٨ والذهبي فى تاريخ الإسلام ٦ وعلى بن الحسين بن عساكر فى تاريخ دمشق والنابلسى فى ذخائر المواريث ٤ : ٢٩٣ والزندي فى نظم درر السمسطين ٢٣٨ والبيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ١٥٠ والقاضى يوسف بن موسى فى المعتصر من المختصر ٢ : ٢٦٦ وجلال الدين السيوطي فى مفہمات الإفران فى مبھمات القرآن ٣٢ والشيخ ابو الحسن الكازرونى فى شرف النبي على ما فى مناقب الكاشى المخطوط ٢٢٤ والقسطلاني فى المawahب اللدنية ٧ : ٤ والعسقلانى فى الاصابة ٤ : ٣٣٦ والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ وابن حمزة الحسینی فى البيان والتعریف ١٤٩ والشيخ حسن الحمزاوي فى مشارق الأنوار ١١٣ والقرمانی فى اخبار الدول ١٢٠ وعلى بن عبد العال الكركی فى نفحات اللاحوت ٥٣ والازدي فى التبیان ١٢٥ والسيد احمد زینی دحلان فى السیرة النبویة ٣ : ٣٢٩ والملا علي القاری فى الأربعين حديثا ٦١ وابن الدیع فى تیسیر الوصول ١٦٠ وابن حمزة الحسینی فى البيان والتعریف ١ : ١٥٠ والبدخشی فى مفتاح النجا ١٤ والحضرمی فى رشقة الصادی ١٤ والکافشی فى المawahب العلیة والذهبی فى المتنقی من منهج الاعتدال ١٦٨ وابن محمد کرام القنائی المالکی فى الجواہر الحسان ٢٩٤ والقندوزی فى بیانیع المودة ١٠٦ والشيخ عبد الحادی الایتاری المصری فى جالیة الکدر ١٩٦ والحضرمی فى القول الفصل ٢ : ١٦٥ والشيخ عبید الله الحنفی الامر تسری فى ارجح المطالب ٥٢ وابن الالوسي فى جلاء العینین ٣٩ والشيخ حسن النجار فى الاشراف ١٠ وابن کثیر الدمشقی فى البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨ )٤( وما روی عن زینب بسند عن عبد الله بن جعفر الطیار عن أبيه قال : لما نظر .

## وعلي امير المؤمنين عليه السلام<sup>(١)</sup> وابن عباس<sup>(١)</sup> وأبي سعيد

---

. النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) الى جبرئيل هابطا من السماء قال : من يدعو لي؟ فقلت زينب : انا يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم)! فقال : ادعني لي عليا وفاطمة وحسينا فجعل حسنا عن يمينه وحسينا عن يساره وعليها وفاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء ، خيري وقال (صلى الله عليه وآلہ وسلم) اللهم ان لكل نبی أهلا وان هؤلاء اهلي فائزون الله الآية فقالت زينب : الا ادخل معكم؟ قال (صلى الله عليه وآلہ وسلم) مکانك فإنك على خير إنشاء الله اقول : أخرجه عنها جماعة ما يجلب النظر تسابق نساء النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في اختصاص هذه الفضيلة ببيتها حتى عائشة المعادية لعلي (عليه السلام) مما يدل على مدى القاطعية الصارمة في واقع هذه القضية!

(١) يروى عند حديثان أحدهما «كان النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ياتي كل يوم بباب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا اهل بيته **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ..﴾**» تسعه أشهر بعد ما نزلت **﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَرِرْ عَلَيْهَا﴾** .. رواه عنه ثلثمائة من الصحابة ومن أخرجه عنه العلامة القندي في بيان المودة ١٧٤ والعلامة السيد احمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الاخبار ٧٨ والعلامة السهمودي في خلاصة الوفاء ٢١٣ والكافسي في المواهب العالية والمراغي في تحقيق النصرة ٧٥ والسهمودي في وفاة الوفاء تاريخ المدينة المنورة ١ ٣٣١ وثانيها مختلف احتجاجاته (عليه السلام) يوم الشورى على أبي بكر ومنها : فانشدك بالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولأهل بيتك؟ قال : بل ولك ولأهل بيتك (عن الخصال) ومنها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح ٩٠ واحتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين والأنصار : ايها الناس أتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ..﴾** فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا والقى علينا كسائه وقال : اللهم هؤلاء اهلي بيتي ولحمني يولى ما يولى لهم ويحرجني ما يحرجهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم)! فقال : أنت . او . انك على خير اما أنزلت في وفي اخي وابني وفي تسعه من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد فقالوا كلهم : نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك فسألنا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة (كمال الدين و تمام النعمة

. باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنه (عليه السلام) وفي العلل باسناده الى ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما منع ابو بكر فاطمة فدكا واتخرج وكيلها جاء امير المؤمنين (عليه السلام) الى المسجد وابو بكر جالس وحوله المهاجرون والأنصار فقال يا أبا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله (صلي الله عليه وآلله وسلم) لها ووكيلها فيه منذ سنين . الى قوله . فقال (عليه السلام) لابي بكر تقراء؟ القرآن؟ قال : بلى قال : فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُبَدِّلُ اللَّهُ ..﴾ فينا او في غيرنا نزلت؟ قال : فيكم قال : فاخبرني لو ان شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا؟ قال : كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المؤمنين ، قال (عليه السلام) : كنت إذا عند الله من الكافرين ! قال : ولم؟ قال : لأنك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لأن الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة فإذا ردت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال : فبكى الناس وتفرقوا ودمدوا» (نور الثقلين ٤ : ٢٧١ ح ٩٣).

(١) وقد روى عنه حديث التطهير جماعة من أعلام القوم ومنهم الحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ ان الآية نزلت الى رسول الله (صلي الله عليه وآلله وسلم) وعلى وفاطمة والحسين ، وفي ملحقات الاحقاق ١٤ : ٦٨ بسند عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلي الله عليه وآلله وسلم) ان الله تبارك وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما فذالك قوله ﴿وَاصْحَابُ الْيُمِينِ مَا اَصْحَابُ الْيُمِينِ﴾ فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذالك قوله ﴿فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَاصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّائِقُونَ السَّائِقُونَ اُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ﴾ فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذالك قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرَفُوا﴾ فانا اتفى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذالك قوله ﴿إِنَّمَا يُبَدِّلُ اللَّهُ لِيَذْهِبَ عَنْكُمُ الْجُنُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وأخرجه ابو عبد الرحمن السلمي بسند عن عطية وابو حفص عمر بن احمد العابد عن أبي سعيد . والعلامة إسماعيل بن عبد الله التقيشيني في مناقب العشرة ١٩٤ والعلامة الأمر تسرى في أرجح المطالب ٤ والسيوطى في الدر المنثور وابن مردويه

الخدي (١) وانس (٢) وعطاء (٣) وأبي الحمراء (٤) أو وائلة بن الأسعق (٥)

---

(١) ومن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والجري في تنزيل الآيات ٢٣ مخطوط والحضرمي في وسيلة المال ٧٦ والشيخ محمد رضا المصري المالكي في (الحسن والحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) وابن المغازلي الشافعى في المناقب مخطوط ومحمد بن جرير الطبى وعما رواه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ كما أخرجه أبو إسحاق الثعلبى في الكشف والبيان مخطوط وعبد الله الشافعى في مناقب ١٢ مخطوط والطبرانى في المعجم الكبير ١٣٤ ونور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والزرندى في نظم در السقطين ٢٣٨ وابن حجر لميши فى الصواعق ٢٢٧ وابن عساكر فى تاريخه ٤ : ٢٠٤ وابن حستونى الحنفى فى در بحر المناقب ٥ مخطوط البدخشى فى مفتاح النبي ١٣ والواحدى فى اسباب التزول ٢٦٦ والقندوزى فى بنايع المودة ١٠٨

(٢) ومن أخرجه عنه الترمذى في جامعه ٤ : ١٤٤ والهندى في كنز العمال ج ١٦ والقارى في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والمصرى المالكى ، واحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٢٥٩ والطبرانى في المعجم الكبير ١٣٤ وابن جرير الطبرى في التفسير ٢٢ : ٦ وابن الأثير فى اسد الغابة (٥) والذهى فى تاريخ الإسلام ٩ : ٩٧ وابن شاهين فى فضائل سيدة النساء والصفوري فى المحسن المجتمعه ١٨٩ والهندى فى المنتخب ٥ : ٩٦ وابن كثير فى التفسير والسمعاني فى الرسالة القوامية والسيد محمد صديق فى فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والنابسى فى ذخائر الموارث ١ : ٣٨ والمالكى فى مشارق الأنوار ١١٣ والنجار فى الاشراف ٩ وابن البديع فى تيسير الوصول ١٦٠ والبدخشى فى مفتاح النجا والبلخى فى البنايع ١٩٣ والعظيم آبادى الهندى فى تجهيز الجيش مخطوط والنبهانى فى الشرق المؤيد ٧٠٦ والأمر تسرى فى أرجح المطالب وما روى عنه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول : الصلاة اهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾.

(٣) ومن رواه عنه ابن المغازلى في المناقب والحسكاني في شواهد التزيل وابن الأثير في اسد الغابة ٣ : ٤١٣ والسعقلانى في الاصابة ٢ : ٤٧٩ .

(٤) ومن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المال.

وسعد <sup>(١)</sup> وجعفر بن أبي طالب (عليه السلام) <sup>(٢)</sup> وأبي برزة <sup>(٣)</sup> وصبيح <sup>(٤)</sup> وأبي سلمة <sup>(٥)</sup>  
وجماعة آخرون من الصحابة <sup>(٦)</sup> كلهم رووا أنها نزلت في

. (٥) ومن أخرجه عنه الحضرمي وابن المغازلي ومحمد القاري وابن موسى في المختصر والتعليق في الكشف والبيان مخطوط والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٢ والطبراني في ذخائر العقبي ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطلاني في المواهب ٧ : ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٢ والقندوزي في الينابيع ٢٢٩ والحمزاوي في مشارق الأنوار ١١٣ والساعاتي في بدایع الملن ٢ : ٤٩٥ والهاشمي في أئمة المهدى ١٤٥ ، ومن حديثه بإخراج المغازلي ١١١ مخطوط والمناقب عن أبي عمار قال دخلت على وائلة بن الأسعف وعنه قوم يذكرون عليا فقال لي وائلة : الا أخبرك لما رأيت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت : بلـى . قال : أتيت فاطمة (عليها السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلت انتظره في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى (عليه السلام) معه فدخل معهم البيت فأدـنـى عـلـيـاـ وـفـاطـمـةـ فـاجـلـسـ وـاحـدـاـ عـنـ يـمـينـهـ وـالـآـخـرـ عـنـ يـسـارـهـ وـدـعـاـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ فـاجـلـسـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ عـلـىـ فـخـذـهـ ثـمـ قـالـ : ﴿إِنَّمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ . . .﴾ اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي أحـقـ .

(١) ومن أخرجه عنه تسعة وسبعون من هؤلاء الحفاظ والمحدثين والمفسرين وسواهم

(٢) ومن أخرجه عند الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والتعليق في الكشف والبيان

(٣) ومن أخرجه عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد في حديثه : صلـتـ معـ رسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ) سـبـعـةـ عـشـرـ شـهـراـ إـذـاـ أـخـرـجـ مـنـ بـابـ يـتـهـ أـتـىـ بـابـ فـاطـمـةـ فـقـالـ : الصـلـاـةـ عـلـيـكـمـ ﴿إِنَّمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ . . .﴾ رواه الطبراني .

(٤) ومن أخرجه عنه العسقلاني في الاصابة ٢ : ١٦٩ والتعليق في الكشف والبيان مخطوط وابن الأثير في اسد الغابة ٣ : ١١ في ترجمة صبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا ام سلمة عن جده صبيح قال : كـتـ بـابـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ) وـسـاقـ حـدـيـثـ التـطـهـرـ

(٥) ومن أخرجه عنه الترمذـيـ فيـ جـامـعـهـ وـالـحـضـرـمـيـ فيـ وـسـيـلـتـهـ وـالـسـهـلـاـوـيـ فيـ وـسـيـلـةـ النـجـاـةـ ٢٠٤ .

(٦) وـمـنـهـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاـصـ وـسـهـلـ بـنـ سـعـدـ وـابـوـ هـرـيـةـ وـبـرـيـدـهـ الـاسـلـمـيـ وـابـوـ سـعـيدـ .

الخمسة او الاربعة ، وفي أكثرها انه (صلى الله عليه وآله وسلم) جمعهم وإياه تحت الكساء بعد نزولها . وفي بعضها قبل نزولها . ودعا لهم بما دعا .  
والرواية عنهم يبلغون المآت في كتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات <sup>(١)</sup> وقد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل

. الخدي وعبد الله بن عمر وعمران بن الحchin وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخرج عنهم ابن عبد البر في الاستيعاب ٤٦٠ والحضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨ وبمجحت افندى في تاريخ آل محمد ٤٢ والتمذى في صحيحه والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ والقندوزي في البنايع ١٥ والتعليق في الكشف والبيان مخطوط والجناذى الحنفى في معالم تنزيل النبوة مخطوط

(١) ومن مصنفات إخواننا السنة التي تحوى حديث الكساء والتطهير مائة كتاب كمسند أبي داود بسنده عن انس ٢ . ومسند ابن حنبل بأسانيد عن صحابيين وصحابيات ٣ . وصحيح الترمذى ٤ . وخصائص النسائي ٥ . وتفسير الطبرى عن خمسة عشر طريقا إلى أبي سعيد وعائشة وأبي الديلم وام سلمة وعمر وبين أبي سلمة وانس وأبي الحمراء ووائلة ويونس بن أبي إسحاق وأبي عمار ٦ . ومسند الرازى ٧ . ومعجم الطبرانى ٨ . واحكام القرآن للجصاص ٩ . ومستدرک الحاكم ١٠ . والاماوى للهارونى ١١ . وتاريخ جرجان السهمي ١٢ . والستن الكبير لليهقى ١٣ . وتاريخ بغداد ١٤ . والاستيعاب للأندلسى ١٥ . واسباب النزول للواحدى ١٦ . والفردوسى للدلجمى ١٧ . ومصابى السنة للبغوى ١٨ . والكشف للزمخشري ١٩ . واحكام القرآن للإشباعى ٢٠ . والشقا للقاضى عياض ٢١ . والمناقب لموفق بن احمد ٢٢ . وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣ . والتفسير الكبير للرازى ٢٤ . وجامع الأصول لابن الأثير ٢٥ . وكتب متعددة لابن بطريق ٢٦ . واسد الغابة لابن الأثير ٢٧ . والتذكرة لابن الجوزى ٢٨ . وكفاية الطالب للكجى ٢٩ . ومطالب السئول لابن طلحة ٣٠ . واحكام القرآن للقرطى ٣١ . وشرح المهدب للنبوى ٣٢ . وأنوار التنزيل للقاضى البيضاوى ٣٣ . وذخائر العقى لحب الدين الطبرى ٣٤ . والمدارك للنسفى ٣٥ . ومشكاة المصايح للخطيب التبريزى ٣٦ . وتفسير ابن كثير القرشى ٣٧ . وجمع الزوائد للهيمى ٣٨ . والقصول المهمة لابن صباغ ٣٩ . والاصابة لابن حجر العسقلانى ٤٠ . والكافى الشافى له ٤١ . وفتح البارى له ٤٢ . وتلخيص .

تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في : أي من بيوت : فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم)؟ او ام سلمة؟ او

- . المستدرک للذهبي . ٤٣ . والحدائق الوردية لليماني . ٤٤ . وتفسیر النیساپوری . ٤٥ . وروضۃ الأحباب للدشتکی الشیرازی . ٤٦ . والدر المثور للسيوطی . ٤٧ . والخصائص له . ٤٨ . والإتقان له . ٤٩ . والإکلیل له . ٥٠ . والابطال لابن روزکمان . ٥١ . وحیب السیر لخواند میر . ٥٢ . والصواعق المحرقة لابن حجر . ٥٣ . ومناقب مرتضوی للترمذی الكشfi . ٥٤ . ومنتخب کنز العمال لعلی المتّقی . ٥٥ . والسراج المنیر لسراج الدین الخطیب . ٥٦ .  
ومناقب لابن النّقیب . ٥٧ . والسعده للغیثی . ٥٨ . وبخر المناقب للبلخي . ٥٩ . وشرح الفقه الكبير لعلی القاری . ٦٠ . وشرح الجامع الصغیر للمناوی . ٦١ . وأرجح المطالب لشمس الدین . ٦٢ . والكافی لشرف الدین . ٦٣ .  
والسیرة الخلیبیة لبرهان الدین الخلیبی . ٦٤ . ومدارج النبوة للدهلوی . ٦٥ . ومناقب للزرقانی . ٦٦ . والالتحاف لحب الأشرف للشیراوی . ٦٧ . واسعاف الراغبین لحمد الصبان . ٦٨ . والروض النضیر للحیمی الیماني . ٦٩ .  
وفتح الغدیر للشوکانی . ٧٠ . وروح المعانی للالوسي . ٧١ . ونور الأبصار للشبلنچی . ٧٢ . وتشریف البشر للسید صدیق . ٧٢ . ومشارق الأنوار لحسن العدوی . ٧٤ . وكتاب الشرف المؤبد لآل محمد للنبهانی . ٧٥ . ورشفة الصادی للحضرمی العلوی . ٧٦ . وأئمۃ المهدی للسید عبد الغفار الأفغانی . ٧٧ . والسیف المسلط للتونسی الكافی . ٧٨ . والقول الفصل للحضرمی الحاوی وینذكر ثمانیة عشر رجلاً من أعلام ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجلاً من فطاحل المحدثین وعد خمسة عشر صحابیاً من ينتهي‌یه الحديث . ٧٩ .  
والوسیط للواحدی . ٨٠ . والجمع بين الصحیحین للحمدی . ٨١ . ابو نعیم الاصبهانی فی کتابه . ٨٢ . الجمع بین الصحاح الستة للعبدري . ٨٣ . وتلخیص المستدرک للذهبي . ٨٨ . ومصابیح السنة للغوثی . ٨٩ . وتحذیف الأسماء واللغات للنبوی . ٩٠ . والریاض النضرة لحب الدین الطبری . ٩١ . وتاریخ الإسلام لشمس الدین الذهبي . ٩٢ .  
وعقد الفرید للأندلسی . ٩٣ . والمقتل للخوارزمی . ٩٤ . والسیرة الحمدیة للكازرونی . ٩٥ . وشكل الآثار للطحاوی . ٩٦ . وشرف النبي . ٩٧ . وحسن الاسوة للصدیق حسن خان . ٩٨ . وكتاب المرزاوی . ٩٩ . والمستدرک للحاکم . ١٠٠ . وكفاية الطالب للكنجی وكتب اخری.

عائشة؟ او زينب؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) او ان ذلك تكرر في هذه البيوت! ولان لفظ عائشة «خرج غداة غد...» فعلّها تعني الى بيت فاطمة ، كذلك وأم سلمة ، اللهم إلّا في البعض من حديثهما!

وفي كتاب إدريس النبي (عليه السلام) تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة الحمدية كما تعنيه آية التطهير وحديث النساء والتطهير ، كما في الأصل السرياني «پارقليطا إيليا طيطه شير شبّير : محمد . علي . فاطمة . حسن . حسين . «هليلوه لت شوق مىّ محمد اّوي دأله» : هللوني فانه لا الله الا أنا و محمد رسولى «إني لهويوه انا لبرين وارخ الشّمای ولا الارعا ولا البرداس ولا الكيھن ولا الشّمش ولا السّعر» : لولاهم لما خلقتك «يا آدم» ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر<sup>(١)</sup> !

ومن بالغ اهتمام الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) بشأن أهل بيته المطهرين (عليهم السلام) انه كان يتلوا آية التطهير عند صلاة الفجر او عند كل صلاة على بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر<sup>(٢)</sup> الى أربعين يوما<sup>(٣)</sup> الى ستة أشهر<sup>(٤)</sup> الى سبعة

<sup>(١)</sup> او ثمانية<sup>(٢)</sup> او

(١) راجع كتابنا رسول الإسلام في الكتب السماوية ص ١٣١.

(٢) أخرجه ابو داود الطیالسي في المسند ٨ : ٢٧٤ قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) انه كان يمر على باب فاطمة شهرا قبل صلاة الصبح ويقول : الصلاة يا اهل البيت **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ** ... وأخرجه ابن حنبل عن عائشة.

(٣) أخرجه ابن مردویه وموفق بن احمد وجماة آخرون عن أبي سعيد الخدري وسلم بن أبي حفصة عن أبي الحمراء

(٤) أخرجه الطبراني وابو داود ومالك بن انس والتزمي عن أبي الحمراء ، ومعقل بن يسار وام سلمة ، الحمراء الحسکانی في انس ٢ : ١١ - ٩١ ورواه جماعة عن عفان .

تسعة <sup>(٢)</sup> او عشرة <sup>(٤)</sup> او سنة <sup>(٥)</sup> او سبعة عشر شهرا <sup>(٦)</sup> او منذ نزولها حتى ارتحاله الى جوار رحمة ربها <sup>(٧)</sup> تدلللا على اختصاصها باضرابهما من اهل بيت الرسالة ، ولکيلا ينساهم المسلمين او يتناسوهم ، استمرا في

. ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره وتابعه جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي ، ورواه ايضاً الأسود بن عامر . شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العبس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن إسماعيل التبودكي .

(١) أخرجه محمد رضي المالكي عن أبي الحمراء .

(٢) أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء وعن أبي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الأشعث وعن السبعي في تفسيره

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنشور ٥ : ١٩٩) والتعليق عن أبي الحمراء وموفق بن احمد عن أبي سعيد الخدري

(٤) أخرجه محمد بن عمران المرزياني بسنده الى أبي الحمراء فقال : قدمت رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) نحو من تسعة أشهر او عشرة فرأيته ... وفي ينایع المودة ٢٦٠ ويروى هذا الخبر بأسانيد عن الثلاثمائة من أصحابه منهم من قال : ثمانية أشهر ومنهم من قال عشرة أشهر أقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة (عليها السلام)

(٥) أخرجه جماعة .

(٦) في ملحقات احقاق الحق ١٤ : ٨٠ أخرجه الطبرى بسنده عن أبي الحمراء والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر عن أبي بزرة .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة واحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كان يمر بباب فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا اهل البيت ﴿إِنَّمَا يُبَدِّلُ اللَّهُ﴾ أقول : ظاهر (كان) استمرارية مقالته (صلى الله عليه وآلہ وسلم) تلكمنذ نزول الاية حتى ارتحاله وعن داود السبعي عن أبي الحمراء مثله ورواه جماعة عن أبي عاصم النبيل وأخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن أبي إسحاق السبعي .

احترامهم دون احترام ، ولكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويکأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى باضطهادهم وأكّد!

ولقد نرى الإحتجاج بأية التطهير للإمام علي (عليه السلام) وسائر اهل البيت عليهم السلام) في مختلف الحقول ، كضرورة لا مرد لها ففيتسلمهما المحبون كلهم بكل قبول دونما ريبة ونكتول!

ولولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها ل مكان «إنما» الحاصرة لتلك الطهارة باهل البيت (عليهم السلام) و **بِرِبِّ الْهُنَاءِ** تعني ارادة لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامية وبعدها ، واحتللت طوهمما حيث التكامل لا يستثنينهم!

أتري أنها ارادة تشريعية في النفي والإثبات «ليذهب ويظهر»؟ وهي تعم المكلفين أجمعين! أم تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعد لهم من الله! **وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى** أم تختص تكوين العصمة القمة في بعدي السلب والإيجاب؟ وليس محظوظ الارادة هذه يتمتاز على من سواه ، حيث الارادة من الله ، فالعصمة .. إذا . هي فقط من فعل الله!

إنه ارادة العصمة تكوينية بين الأمرين ، عصمة بشرية كأفضل ما يستطيع ، وليس بالتي تتصف صاحبها عصمة مطلقة ، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة ، بل هي مقدرة بقدرها وقدراتها ، ثم عصمة إلهية تكفيها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعنيها دونما فوضى ، وإنما بحساب ومقدار ، وكل شيء عنده بمقدار.

إن الرسالة الختيمية تتطلب خاتمة العصمة القمة ، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضلها تتوسط إرادة الهيئة من قبل ومن بعد ، فمن قبل قدر اهل بيت العصمة الحمدية في أصلاب شامخة وأرحام مطهرة ، لم

تنجسهم الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسهم من مدهمات ثيابها ، تقديرًا لظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعضله تطهيرًا لأنفسهم الزاكية لدى اللياقة واللباقة لارادة العصمة العليا ، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا ، بما أرادوا رادوا!!

فـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تشمل مثل أحوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله ، ارادة دائبة منذ فطموا ، حتى ارتحالهم الى جوار رحمته تعالى ، مهما اختلفت درجاتها بظروفها.

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا ، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيرًا ، فما هو الرجس وما هي الطهارة؟

الرجس لغويًا هو كل قدر مادي او معنوي ، ما يستقدره الإنسان ماديًا أيًا كان ، او معنويًا أيًا كان ، فهو أعم من النجس إذ يخص القدر المادي ، كما ويوصف به الرجس «أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخت المخبت الشيطان الرجيم».

ولأن القدار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث وأخبار ، فإذا بها يخص جماعة خصوصا فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة باهل بيت الرسالة الحمدية ، كما وأن الرجس في القرآن لا يعني القدرة المادية في سائر آياته ، وإنما مرض القلب : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ رِجْسًا إِلَى رُجْسِهِمْ وَمَا تُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٩ : ١٢٥) وعمل الشيطان : ﴿إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٥ : ٩٠) وابتاع الشيطان : ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩ : ٩٥) ومعبداتهم : ﴿فَاجْتَنَبُوا

**الرِّجْسُ مِنَ الْأَوَّلَاتِ** ﴿٢٢ : ٣٠﴾ وختم القلب على الذين لا يعقلون : **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾** ﴿١٠ : ١٠٠﴾ وكذلك كل أكلة تحول الإنسان إلى حيوان كـ . **﴿خَمْ خِتَنِرِ فِإِنَّهُ رِجْسٌ﴾** ﴿٦ : ١٤٥﴾ قبله الميتة والدم المسقوح لم يشملهما الرجس مع انما من النجس ، وكالعذاب على الرجس فإنه رجس على رجس : **﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾** ﴿٧ : ٧١﴾ **﴿كَذِلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** ﴿٦ : ١٢٥﴾ !

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية ، وهي هي التي ترجس الإنسان وتخرجه عن العقلية والإيمان ورحمة الرحمن !

ولأن مرض القلب وعمل الشيطان واتباعه دركات يشملها الرجس ، فذهباته ايضا درجات يشملها اذهب الرجس ، والجنس المحلي باللام يستأصل نفسه في نفيه .  
إذا فجنس الرجس أيا كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة والعقلية وال فكرة والصدر والقلب والنية والعمل «وكل انسان يعمل على شاكلته» لا غبرة على أرواحهم ، وإنما نور على نور ، لا ينقصهم إلا انهم مخلوقون ، ثم الفقر الى رحهم فخرهم .  
كل قلب يتقلب الى غير الله إلا تذرعا أو تضرعوا إلى الله ، فيه رجس قدر اتجاهه الى غير الله ، وكل اتجاه في أدق منحنيات الحياة ومتوجهاتها الى غير الله رجس ، والمتدلي بالله دوغا إبقاء لغير الله خارج عن كل رجس ، وهكذا : **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ..﴾** !  
أترى بعد ان اذهب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟ ولا يذهب رجسا هكذا إلا بتوبة ام اي تكfir يناسبه! وهذا يعم سائر اهل الرجس دون اختصاص! وهذا من فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه

بتوبته! والعصمة لا تخل محل العصمة! اللهم إلا في أدنى أدانيها بعصبية صغيرة بعد

توبة كآدم : ﴿ وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَنَاهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾

انه اذهب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعتريهم او يهاجم عليهم ببواعثه ، تسديدا

لهم بما حاولوا وانتجفهم الله . عن كل رجس ، شكا في قلب ، او جهلا بواجب الشرعة او المعرفة ، او خطأ في فكر ، او زلقا في فعل ، في عصمة عليا بمثلثها : تلقيا للوحى . وإلقاء له . وتطبيقا إياه.

هناك محاولات بشرية لا ذهاب الرجس عن أنفسهم رفعا او دفعا ، وليس تكتفي

استئصالا لكل رجس ، وأهلها مخلصون!

وهنا ارادة دائبة إلهية تكتفي محاولات قمة من أخلص المخلصين ، فتستأصل عنهم كل

رجس وأهلها مخلصون ، وهكذا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وكما ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ يجتث في نفي الجنس كل رجس ، كذلك ﴿ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

يختص بإثبات كل طهارة ، فالسلب مطلق كما الإيجاب ، والإيجاب مطلق كما السلب ، تخلية عن كل نقص إلا انهم مخلوقون ، وتحلية بكل كمال دون انهم ليسوا بخالقين ، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم «نزلونا عن الريوبنة وقولوا فيما ما شئتم» :

ز احمد تا أحد يك ميم فرقست همه عالم در آن يك ميم غرفست.

هنا طهارة متصلة بهم ، متعرقة فيهم ، متزرعة في قلوبهم ، هي العصمة الضافية ﴿ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ ... ﴾ ! تكوينية وتشريعية فواحد الحفاظ على الشريعة تشريعها فيهم ، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكوينا ، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة الهمية دونها فوضى جزاف ، فكل درجة من العصمة الالهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها ، فـ .

**﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾** إرادة تشريعية ما لم يردها من أحد العالمين ، ارادتان منحصرتان لهم وفيهم ، منحصرتان عنمن سواهم ، فلا يطلب من اهالى سائر البيوت الرسالية ما يطلب من اهل بيت الرسالة الحمدية (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من مدارج التقوى والعبودية والاجتهاد الاضطهاد في سبيل الله ، وكما يروى عنه «ما أؤذى نبي مثل ما أؤذيت» وقال عنه ربه **﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾** فلو لم يكن هو اول العابدين على ضوء الرعاية القمة للشرعية لم يكن اول المعصومين في ارادة تكوبينية.

وهناك طهارة منفصلة عنهم ، وهي للمتصلين بهم ، المنسبين إليهم ، يريدها الله منهم للحفاظ على محتد الطهارة لأهل بيت النبوة الأصول ، فطهارة نساء النبي وأقربائه وانسبائه لها تأثير منفصل في طهارته عند الناس ، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة أنفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس ، فليكونوا وجهاً عند الله ليصلحوا دعاء إلى الله ، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس إلى الله.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) لتحملن تطهيرهن إلى تطهيرهم ، ولذلك نرى في الأكثرية المطلقة من روایات التطهير ليس الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ليرضى دخول مثل ام سملة الطاهرة في اهل البيت المعنين بأية التطهير ، اللهم إلا شدرا بقوله **﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾** أنها قد تدخل في اهل البيت دخولاً منفصلاً إذا أصلحت وفنتت الله ورسوله ، فظهرت أهل هذا البيت وجاه الناس بعد طهارتهم عند الله ! **﴿وَادْكُرْنَّ مَا يُنْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾** (٣٤) إنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاسِعِينَ وَالْخَاسِعَاتِ

وَالْمُنَصَّدِقَاتِ وَالْمُنَصَّدِقَاتِ وَالصَّائِمَاتِ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالْدَّاكِيرَنَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالْدَّاكِيرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾.

«واذْكُرْنَ» أنتن نساء النبي ، القاطنات في بيت الوحي والتنزيل ﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَ ...﴾ فأنتن أخرى من يذكر فيذكر ، لنزل الوحي ابتداء في بيتكن ، ولا تنسابكن إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فل لكن ضعف الثواب وضعف العذاب ، ثم : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ...﴾ هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة.

وتلك هي عشرة كاملة ، لا بد ان تكون عشيرة المسلمين على درجاتهم ، من إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وحفظ للفرح وذكر الله كثيرا : ﴿أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ كُلَّهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ والخطوة الاولى هي الإسلام الاستسلام امام الله ، إقرارا باللسان ، ثم الإيمان تصدقا بالجذان ، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الإيمان ، ثم صدق في الطاعة والإيمان ، ثم صبر على أحطر الصدق والإيمان ، ثم خشوع في الجذان يربط كل جوانب الإنسان ، ثم تصدق في هذه السبيل بمال او حال او مقال على اية حال ، ثم صيام في شهر الصيام وفي كل مجال ، ثم حفظ للفرح عما يجب حفظه ، ثم ذكر الله كثيرا في قال وحال واعمال.

انه لا فرق بين قبيلي الرجال والنساء في فضيلة الأعمال أم رذيلتها ، مهم ما كان ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ إِمَّا فَضَلَّ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَإِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ حيث القوامة هنا غيرها هناك في يوم الحساب ، فرب قائم بأمر ، ولي على امر يرجح عليه المولى عليه لرجاحة الأعمال.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَغْصِبُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكٌ عَلَيْكَ رَوْحَكَ وَأَئْقَنَ اللَّهُ وَتَحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَحْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشِيَهُ فَلَمَّا قَضَى رَبِّكُمْ مِنْهَا وَطَرَا رَوْجُنَاكُمْ لِكَيْنَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)

ما كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

ان تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة ومن ثم تزويجها من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الاسلامية ، فأول البددين هو تحطيم الفوارق الطبقية وحتى بين الأحرار والعبيد ، فيزوج النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته ، ليسقط هذه الفوارق أولا بنفسه وفي أسرته ، ثم يتزوجها هو (صلى الله عليه وآلها وسلم) ليحطّم عمليا سنة التبني وحرمة الزواج بحليله المتبني ، ولم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرين الجاهلين بالقول فقط ام فعل من غيره ، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتى به في الامة الاسلامية مع الأبد.

ان الله يقضى امر الزواج بين زيد وزينب لتقرير مبدئين جديدين في الأمة ، ولكن زينب يخلد في خلدتها شيء من ذلك الزواج قائلة له (صلى الله عليه وآلها وسلم) بعد ما خطبها لزيد : «او امر نفسي فانظر» <sup>(١)</sup> فانزل :

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٠٠ . اخرج ابن حجر وابن مردويه عن ابن عباس قال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها قالت لست بناكحته قال : بلی فأنکحیه قالت : يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أوامر نفسي فيبینما هما يتحدثان انزل الله هذه .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَغْصِبِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٣٦)

هنا ﴿قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لا تعني إلا التشريع من الله ، ثم بلاغ الشريعة من رسول الله ، أم ولادية الرسول على المؤمنين فيما يأمر وينهى كولي لأمر الأمة فإنه ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾!

هذه الآية تقرر قرارا حاسما على الكتلة المؤمنة أن ليست لهم خيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمرا سواء أكان من أمرهم الشخصية او الجماعية في اي حقل من الحقول ، في احكام جامعة كسائر الشريعة ، ام خاصة كذلك الزواج الصارم لما يحمل من بعدين ، تبنيا لصرح الامة على ما يريد الله وتقتضيه مصلحة الامة.

«ما كان» هنا وفي سوها نفي يضرب الى الأعمق ، يعني خيا صارما لا قبل له ، والانتهاء به قضية أصل اليمان ، وإلا فلا ايمان ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ..﴾ و ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ يستأصل كون

. الآية قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال (صلى الله عليه وآلها وسلم) : نعم قالت إذا لا أعصي رسول الله قد انكحته نفسي وخرج ابن حجر عن ابن عباس قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) زينب بنت جحش لزيد بن حرثة فاستنكفت منه وقالت : انا خير منه حسبا وكانت امراة فيها حدة فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ...﴾ وفيه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لزينب ابي اريد ان ازوجك زيد بن حرثة فاني قد رضيته لك قالت يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لكن لا ارضاه لنفسي وانا ائم قومي وبنت عمتك فلم اكن افعل فنزلت الآية وفيه عن قتادة قال خطب النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) زينب وهو يريد لها لزيد فظلت انه يريد لها لنفسه فلما علمت انه يريد لها لزيد أبت فأنزل الله هذه الآية.

آية خيرة لهم إلا ما قضاه الله ورسوله ، وحتى إذا كانت خيرة الاستثمار من أنفسهم أو الشوري بينهم ، ثم اختيار ما قضاه الله ورسوله !

فادنى درك من العصيان هو خيرة كهذه التي توافق قضاء الله ، وأسفل درك منه بدار العصيان دونما تفكير ، وأوسطه العصيان بعد استئمار او شورى ، و ﴿الْخُيُّرَةُ مِنْ أَمْرِهِم﴾ تستأصل الثلاثة ، ثم لا تبقى إلا الطاعة المطلقة دونما خيرة من أمرهم في جانحة ولا جارحة ، واما مطلق الاستسلام ! ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تشمل الثلاثة ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

مهما اختلفت دركات الضلال والعصيان !

ان قضاء الله كوفي خاص في تشريع يحمله رسول الله فيبلاغ الشرعة ثم قضاءه كوفي عام قضاء لرسول الله كولي لأمر الأمة بما أراه الله ، هو ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ حَصِيمًا﴾ ف . ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ مهما كان بلفظ القرآن او السنة ، او كان حكما سياسيا أم اذا من احكام ، ف . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ !

و . «ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه ، وان كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه ، وإن كنت غير قانع برضاه وقدره فاطلب ربا سواه» ! <sup>(١)</sup> «يقول الله : من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدرني فليلتمس إلها غيري» <sup>(٢)</sup> وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : في كل قضاء

(١) نور الثقلين ٤ : ١٢٣ ح ٢٨٠ في كتاب التوحيد باسناده الى الأصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) : ..

(٢) المصدر ح ١٢٤ فيه باسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول قال الله جل جلاله : ..

الله عز وجل خيرة للمؤمن»<sup>(١)</sup>.

فالله يقضى زواجا بين قرينة الرسول الشريفة في قومها وبين عبده قضاء على سنة الفوارق ولا خيرة إذا دون خيرة الله! ثم الله يقضي زواج رسوله بحليلة دعى به قضاء على سنة جاهلية أخرى وفارقته أخرى فارغة كما الأولى ، وليس للمؤمنين إلا التسليم لقضاءه! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل! ولا سبيل مستقيما إلا الاستسلام المطلق امام قضاهه دون اختلاج خالجة في ضمير ، ولا سيما في الأقضية التي تبني الإسلام ، أصولاً يؤتى بها على طول الخط ، ولا بد من تجاوب من الأمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبني صرح هذه الرسالة السامية. فان يدا واحدة لا تصفق!.

**﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَئِنَّ اللَّهَ وَتَخْفِي  
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجُنَّاَهَا  
لِكَنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاجِ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ  
مَفْعُولاً﴾ (٣٧)**

هذا زيد بن حارثة **﴿أَنْعَمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** بالتربية الحمدية قبل الإسلام وبالإيمان بعده وانكحه شريفة بني هاشم بنت عممة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) **﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾** في احضانه بتربية صالحة وعتقه وإنكاحه بنت عمك وهي ترغبك دونه!. تقول له بعد منازعة مستمرة بينه وبينها **﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾** وقضى الله إطلاقها لينكحك إياها هدماً لسنة جاهلية **﴿وَأَئِنَّ اللَّهَ﴾** وكان تقواه طلاقها في الواقع مهما كانت إمساكها في الظاهر **﴿وَتَخْفِي  
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** من فرض زواجهها لك بعده كما

(١) المصدر ح ١٢٥ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

أبداه في اذاعة قرآنية **﴿رَوْجَنَاكُهَا ...﴾** وليس مما أخفاه (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه انه عشقها رغبة الجنس لما رأها تغسل كما اختلق عليه! ويشهد له **﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيه﴾** وما أبدى الله إلا اصل الزواج **﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاجِ أَدْعِيَاهُمْ﴾**!  
**﴿وَخَشَى النَّاسَ﴾** إن أبديت أمرك فيها أن يقولوا طمع في حلية دعيمه ، كما انطلقت ألسنة المنافقين : «تزوج حليلة ابنه»! **﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** في تحقيق قضاءه ، دون ان تخشى الناس في خشيته ، فاما خشية بلا وسيط! .

أتري الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المعركة الصاخبة خشي الناس ولم يخشى الله؟ وهو أخشي الله من كل **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ﴾** وهو ابلغ من **﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾** فأخشاهم الله فانه **﴿أَوْلُ الْعَابِدِينَ﴾**? .

إن خشية الله خشيتان ، خشية عن طريق الناس وقد خشيهم عنهم فأخفى في نفسه ما الله مبديه ، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوله الناس ، وكما خشيهم في بлаг رسالة الولاية **﴿بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...﴾** وخشي أزواجه في قصة مارية فحرمتها على نفسه خشية تظاهرهن عليه **﴿لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾**? فآمنه الله عما يخشاه:  
**﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** في بлаг الولاية **﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَرِيلَنْ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرَ﴾** في مارية **﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** في زينب.

فقبل ان يؤمنه الله باس الناس ما كان ليؤمنهم ان يمسوا من كرامة رسالته ، وكان عليه حفاظها تقديمها للأهم على مهمه ، ثم الوحي الحبيب من الحبيب آمنه بأسمهم ، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس ، الى خشية

خالصة لا وسيط لها ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ !

فذلك . إذا . انتصار له في صيغة عتاب ولا عتاب ، فإنه يبرأ ساحتته الرسالية في هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقوّلات الموجهة إليه : انه رآها فأعجبته<sup>(١)</sup> أما ذا من هرطقات جاهلية وهراءات عراء وساحة الرسول منها براء !

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجَنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَذْعَيْنَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ ! (٣٧) .

لقد كان لزيد منها وطر : نكمة وحاجة مهمة ، قضاء على سنة جاهلية في التفاخر بالأنساب ، ووقاء لشهوة الجنس ، والاول مقتضي ب مجرد الزواج ولكنما الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته ، ثم ولا يحل لنزوجته زواج آخر ما دامت في حاليه وإن قضيت إربته ، فكيف «زوجناكها»

(١) في نور الثقلين ٤ : ٢٨٠ ح ١٢٧ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فيما رواه القمي عن أبي الجارود عنه (عليه السلام) في الآية وساق القصة الى : ثم انهم تشاجرا في شيء الى رسول الله فنظر إليها رسول الله فأعجبته

...

وفيه ح ١٣٠ عن الإمام الرضا (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها : سبحان الله . الذي خلقك ... فلما عاد زيد الى منزلة أخته امرأته بمحبيه الرسول وقوله لها فلم يعلم زيد ما أراد بذلك فظن انه قال ذلك لما أعجبه من حسن فجاء الى النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ان امرأتي في خلقها سوء واني أريد طلاقها فقال له النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) امسك عليك زوجك واتق الله ...  
أقول انهم ولا سيما الثاني مختلف على الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) فلو أراد زوجها شهوة لبادر إليها قبل تقديمها لزيد وقد كانت تريده (صلى الله عليه وآلها وسلم) ثم كيف يدخل الرسول بيته دون استئناس من اهله لحد يرى امراة اجنبية تغتسل فتعجبه ويقول مقالته؟!

ان نكمة الجنس وشهوته قد تنقضى بطبيعة الحال ولم تنقض من زيد وهو في شبق الشباب ، وزوجه شريفة جميلة! وقد يقضيها هو بأسباب اخرى ولم تنقض ، من عدم الوفاق لحد ينجر الى الفراق فذلك قضاء وطر اول نكمة وشهوة ، ان يطلقها في طهر لم ي الواقعها فيه ، فلو لم يقض وطرا منها لم يطلقها ، ثم ان بقى له وطر منها راجعها في عدتها ولم يراجعها! فقد قضى منها وطرا ثانيا وأخيرا إذ سرّحها دونما رجعة : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا رَوَّجْنَاكُهَا﴾ حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة! .

فهناك للزوج وهناك للزوج أوطار اخرى كحاجة وتمالية الى زوجه بعد الطلاقة الثانية ، ثم بعد الثالثة بمحلل حيث يعقد عليها بعده ، ثم وطر بعد وطر حتى تبلغ الطلاقات تسعا بمحللين ثلاثة ، ولا وطر له بعد الطلاقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرجمة المؤبدة. وأولى الأوطار التي يحل فيها زواجهها بزوج آخر هي في الطلاقة الاولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية او منها في المختلقة والعبارة دون يقبل رجوعها.

و «وطرا» هنا مطلق يشمل قبل الطلاق وبعد وطر ولما تخلص العدة ، ويقيده بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة ، والمطلقة رجعية زوجة ، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة.

وهنا نرى الرسول وهو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حتى يزوجه الله إياها :

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا رَوَّجْنَاكُهَا﴾<sup>(١)</sup> وان كان يخطبها

(١) في الدر المثور ٥ : ٢٠٢ . اخرج الحاكم عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا أعظم نسائلك عليك حقا انا خيرهن منكحا .

في ظاهر الأمر <sup>(١)</sup> وقد كانت تفتخر على سائر أزواجه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بزواجهـا الإلهي <sup>(٢)</sup>!

ولماذا «زوجناـها» الحظوة الجنس فقط؟ وقد كان له ان يتزوج بها قبل ان يزوجها غلامـه ولم يفعل وهي راغبة اليـه (صلى الله عليه وآلـه وسلم)! أتـرى الشـريـفة القرـيبة الى النبي ترجـح غلامـه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عليهـ، ثم النبي يرجـح ثـيـة غلامـه علىـ البـكـرـ؟!

. واـكرـمـهنـ ستـراـ وـاقـرـمـنـ رـحـماـ وـزوـجـنـيكـ الرـحـمـنـ منـ فـوـقـ عـرـشـهـ وـكانـ جـبـرـئـيلـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) هوـ السـفـيرـ بـذـلـكـ وـاـنـاـ بـنـتـ عـمـكـ لـيـسـ لـكـ مـنـ نـسـائـكـ قـرـيبـةـ غـيـرـيـ.

(١) يـروـىـ الـإـمـامـ اـحـمـدـ وـمـسـلـمـ وـالـنـسـائـيـ مـنـ طـرـقـ عـنـ سـلـيـمـانـ اـبـنـ المـغـيـرـةـ عـنـ اـنـسـ قـالـ :ـ لـمـ اـنـقـضـتـ عـدـةـ زـينـبـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لـزـيدـ بـنـ حـارـثـةـ «ـاـذـهـبـ فـاـذـكـرـهـاـ عـلـيـ»ـ فـاـنـطـلـقـ حـتـىـ أـتـاهـاـ وـهـيـ تـخـمـرـ عـجـيـنـهـاـ قـالـ :ـ لـمـ رـأـيـتـهـاـ عـظـمـتـ فـيـ صـدـرـيـ حـتـىـ مـاـ أـسـتـطـعـ اـنـ نـظـرـ إـلـيـهـاـ وـأـقـولـ اـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) ذـكـرـهـاـ فـوـلـيـتـهـاـ ظـهـرـيـ وـنـكـحـتـ عـلـىـ عـقـيـ وـقـلـتـ يـاـ زـينـبـ اـبـشـرـيـ أـرـسـلـيـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) بـذـكـرـكـ قـالـتـ :ـ مـاـ اـنـ بـصـانـعـةـ شـيـئـاـ حـتـىـ اـوـامـرـ رـبـيـ عـزـ وـجـلـ فـقـامـتـ اـلـىـ مـسـجـدـهـاـ وـنـزـلـ الـقـرـآنـ وـجـاءـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) فـدـخـلـ عـلـيـهـاـ بـغـيـرـ اـذـنـ

(٢) فيـ الدـرـ المـشـورـ ٥ـ :ـ ٢٠٣ـ .ـ اـخـرـ الطـبـرـانـيـ وـالـبـيـهـقـيـ فـيـ سـنـنـ وـابـنـ عـسـاـكـرـ مـنـ طـرـيقـ الـكـمـيـتـ بـنـ يـزـيدـ الـاسـدـيـ قـالـ حـدـثـيـ مـذـكـورـ مـوـلـيـ زـينـبـ بـنـتـ جـحـشـ قـالـتـ :ـ خـطـبـيـ عـدـةـ مـنـ اـصـحـابـ النـبـيـ (صـ)ـ فـأـرـسـلـتـ اـلـيـهـ (صـ)ـ اـخـيـ يـشـاـورـهـ فـيـ ذـلـكـ قـالـ (صـ)ـ فـأـيـنـ هـيـ مـنـ يـعـلـمـهـاـ كـتـابـ رـبـهـاـ وـسـنـةـ نـبـيـهـاـ؟ـ قـالـتـ :ـ مـنـ؟ـ قـالـ (صـ)ـ :ـ زـيدـ بـنـ حـارـثـةـ فـضـبـتـ وـقـالـتـ تـزـوـجـ بـنـتـ عـمـتـكـ مـوـلـاـكـ ثـمـ اـتـنـيـ فـأـخـرـتـنـيـ بـذـلـكـ فـقـلـتـ أـشـدـ مـنـ قـوـهـاـ وـغـضـبـتـ أـشـدـ مـنـ غـضـبـهـاـ فـانـزـلـ اللـهـ تـعـالـىـ :ـ **«ـوـمـاـ كـانـ لـمـؤـمـنـ ..ـ»ـ**ـ فـأـرـسـلـتـ اـلـيـهـ زـوـجـنـيـ مـنـ شـعـتـ فـزـوـجـنـيـ مـنـهـ فـأـخـذـتـهـ بـلـسـانـيـ فـشـكـانـيـ اـلـىـ النـبـيـ (صـ)ـ فـقـالـ لـهـ :ـ إـذـاـ طـلـقـهـاـ فـطـلـقـيـ فـبـتـ طـلاقـيـ فـلـمـ اـنـقـضـتـ عـدـتـيـ لـمـ أـشـعـرـ اـلـاـ وـالـنـبـيـ (صـ)ـ وـاـنـاـ مـكـشـوفـةـ الـشـعـرـ .ـ

فاما «زوجناكها» لسياسة رسالية : «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعياهم إذا قضوا منهن وطرا» قضاء على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلال الأدعية اعتبارا ائمأ أبناء ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ما كان ليقضى عليها إلا عملا جاهرا من الرسول نفسه وقد فعل بأمر الله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مُفْعُولاً﴾.

فقد قضى الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) على جاهلية الفوارق الطبقية في بعدي تزويجه شريفة بعد ، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه ، ومن ثم جاهلية حرمة حلال الأدعية قضاء على كونهم أبناء ، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة ، حيث التقاليد الاجتماعية اعمق أثرا في النفوس من أن تزول بسن القوانين المجردة ، إلا أن ينسها ويطبقها الرسول عمليا في نفسه ، ويواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد ان يواجه بما ذلك المجتمع الصلد العارم !

يأتيه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) زيد مرة بعد اخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية ، والرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يحمل امر الله في تزويجها لنفسه ، ولكنه يحس ثقل التبعية ان اظهر أمره . على نفاذ رسالته ، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون ، دون أية لجلجة ولا خشية ، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته ، نراه هنا متجلجا يخشاهم على رسالته خشية من ربه أن تنهـم اركان دعوته بما يتوقعه من مواجهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول : ﴿أَمْسِكْ﴾

. فقلت هذا امر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد.

**عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ** فأخفى في نفسه فعلا ما الله مبديه ، ويعلم أن الله مبديه ، ولكن اين إبداء محمد من إبداء الله؟ إذ هم ليسوا ليعارضوا الله ويتهموه! مهما تجاسروا على معارضة رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ، إذ جاء وحي حبيب من الحبيب يطمئن به بعصمته من بأسهم فنقله من خشتيه تعالى بهم الى خشتيه في تعبيتهم ، فمهما كان حقا لك ان تخشى الله احتراسا عن الناس حراسا على رسالتك ، فالله أحق أن تخشاه إذ يطمئنك عن بأس الناس ، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر ، حملأ لا عباء الرسالة مهما كانت ثقيلة : **إِنَّ سَنْلُقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا** وهو الذي يلقى في قلب الزوجين عزيمة الفراق ، وهو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق ، بولاية قاطعة لا مرد لها ودونها استماراة واستئمار منكما «زوجناكها» فهو الخاطب لك وهو الجرى صيغة الزواج ، فيدخل عليها الرسول مجرد نزول الآية ودونما استثناس ، وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي حلّها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان يكرهها ويقول فيها كما تقول البعض من المسلمين والجاهليون والمسيحيون <sup>(١)</sup>!

(١) في الدر المنشور ٥ : ٢٠٣ . اخرج الطبراني والبيهقي سننه وابن عساكر من طريق الكمي بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فأرسلت اليه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) اخي يشاوره في ذلك قال (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : فأين هي من علمها كتاب رها وسنة نبيها؟ قالت : من؟ قال (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم اتنى فأخبرتني بذلك فقللت أشد من قوها وغضبت أشد من غضبها فانزل الله تعالى : **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ..** فأرسلت اليه زوجي من شئت فروجني منه فأخذته بلسانی فشكاني الى النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فقال له : إذا طلقها فطلقني فلما انقضت عدتي لم أشعر الا والنبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وانا مكشوفة الشعر فقللت هذا امر من السماء دخلت يا .

ولكن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ لا يمنعه مانع ولا يردعه رادع! إذ :  
 ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةً اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَقَ مِنْ قَبْلِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨)

ضابطة سارية المفعول ترسمها الآية لحملة الرسالات الإلهية ألا تقية لهم من الناس في بيان او تطبيق شرعة الله. فالخرج على اقسام عدة ، فقد يتحرج عن أصل الفرض على أية حال فلا يفرض على النبي والامة على أية حال : فـ ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٢٢ : ٧٨) وقد يتحرج لأمر في نفسه يعرضه كمرض يحرجه في فرضه فهو مفروض إلا في حرجه للنبي والأمة ، وقد يتحرج بتحريج الناس فيتقيمهم بتركه ، فذلك خاص بالامة من فيهم الأئمة دون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا تقية له ، و ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ يعني الثالثة ، فان ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ ثبت فرضه فيخرج المخرج في أصله ، ثم «له» يخرج المخرج في نفسه ، فانه موضوع عنه وعن الامة سواء ، فليكن هو الخرج الخارج عن نفسه من بأس الناس إذ يحرجون موقفه من تطبيق ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ فليس له أن يتقيمهم حيث ضمن الله وقايته عن بأسهم كما هنا وفي قصة مارية قضية بلاغ الإمارة . ولماذا ﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ دون «عليه» لأن الفرض هنا كان «له» حظوة بشريه ودعوة رسالية ، وحتى فيما لا خطوة له فيه شخصية ، بل عباء وثقل ، فلا ينفل على كاهله ، بل يستقبل فرض الله بكل رحابة صدر ورياحة خاطر ، فكل فرائض الله «له» لا «عليه» إذ لا يستقلها على أية حال!

---

. رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد.

إذا فليس النبي ليتحرج فيما فرض الله له مهما كان عباء وثقله ، لا في قرارة نفسه لأنه يحمل الرسالة فعليه ما حمل ، ولا يحق للامة تحرير موقفه لأنهم مرسل إليهم وعليهم ما حملوا ، فلا تقية للنبي فيما يحمله من رسالة الله مهما صعبت الظروف والتتوت لأنه يقرر مصير الأمة وعليه تام المسئولية ، وهذه من سنن الله الثابتة في الدين خلوا من قبل من الرسل مهما تختلف المرسل إليهم عن هذه السنة ولا يفرض الله لنبي ما لا يطيقه او يحique مهما كان أمرا إمرا وعبدا ثقيلا «وكان» طول الزمن الرسالية «امر الله» لأنبيائه «قدرا» قدره بعلمه وحكمته لصالحهم الرسالي «مقدورا» لهم قدر الطاقة لا محاجا ولا معسورة.

فهناك يشجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك الزواج دون تحرّج من قوله ، وعطّل خشية الناس في الله إلى خشية الله مجرداً عن الناس وهذا ينذر بالذين يحرّجون موقفه فيما فرض الله له كستنة ثابتة للرسول وعلى الأمة ثم نفي الحرج عن النبي . لا محمد . وفيما فرض الله له . لا عليه . يدلان على أن الفرض هو الفرض الرسالي الذي يقرر مصير الأمة إذا فلّا تقية في بلاغه حتى على نفسه ، والله يكفي خشية على رسالته ، وأما المفروض على الأمة فقد يكون فيه حرج وقد لا يكون فيفعل أحياناً ويترك أخرى

ثم ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ﴾ في هذه السنة هم :  
 ﴿الَّذِينَ يُلْغِيُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)

إنهم رجالات رسالات الوحي حيث يكتشرون البلاغ ويشدقون في رسالات الله التي حملوا بلاغها. ويخشونه فقط في سبيل التبليغ ، ولا

يخشون أحداً إِلَّا الله ، حتى فيما يخشى على ساحة رسالتهم ، حيث الله ضامن لهم أمرهم ، ف . «يُخْشِونَه» تحصر خشيتهم في الله ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ﴾ تبني خشيته اي أحد في الله إذ يطمئنهم الله عن باس من سوى الله في سبيله الى الله . والخشية خوف يشوهه تعظيم ، فخشية الناس في الله ان يخافوا عظم ما يفعلون حيث يغضب الله ، فان كفى الله خطرهم فلا خشية الا من الله دون سواه وكما كفى الرسول بأسمهم فأمر أن يتتحول من خشية الناس في الله الى خشية الله في الله .<sup>(١)</sup> ومن الخشية في الله من غير الله خشية العنت ، أن يخلف تخلفا جنسيا

(١) وقد عدت الجمعية الرسالية الأمر مكية زواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزینب في عدد سیقاته قائلين : انه أخذ امراة زید الذي تبناه مع ان قومه عيروه الا انه لم يبال بتعيراتهم لان الشهوة إذا استولت على المجرد من النعمة الإلهية اماتت منه الاحساس ، نعم وان داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين فلم يأخذ داود امراة ابنه وثانياً إنه استغفر ربه واعترف بذنبه وتاب اما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة لكل انسان فادعى ان الله امره بذلك.

ويقول الدكتور فندر الالاني في كتابه ميزان الحق ردا على الإسلام ص ٢٥٤ ومن ذنوبي انه في يوم من الأيام يذهب الى بيت زيد دعيه فلما دخل سبقت نظرته الى امراة زيد فأعجبته وشغفها حبا فقال : سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين فشعرت زینب بذلك فأخبرت به زوجها زيد فطلقتها زيد اما خوفا من محمد او حبا وإخلاصا له فاختلق محمد الآيات التالية ان امره ربه بنكاح زینب ...

أقول هذه وتلك من القالة التي قيلت عليه من المسيحيين فتفسرت قالتهم الى روایات المسلمين وكما نراها في الدر المشور ونحن نضرهما عرض الحائط لأنهما خلاف كتاب الله والثابت من عقمه رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم).

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٢٥) وخشية القول الإمر : ﴿إِنِّي خَشِيَتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٤ : ٢٠) وخشية الارهاق كفرا ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠ : ١٨).

فكل خشية في غير الله منهية ، وخشية غير الله في الله مرغوبة ما لم يكن هنالك مندوحة كما خشي الرسول الناس من قالهم عليه ، وإذا كانت هناك مندوحة كأن يكفي الله أنس ما يخشى فمنهية بعد ما كفى الله ، لا قبله ، وكما الرسول لم يخش الا الله بعد ما كفاه الله قالة الناس ، فخشيته قبله لم يكن بذلك المنهي !

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ تبليغهم رسالات الله وخشيتهم الله وأجرهم على الله ، فلا حسيب في هذه وتلك إلا الله ، كما ليس بالاغهم وخشيتهم إلا الله وفي الله !  
 ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠)

هذه الآية مما كفى الله بها محدما بأس قالة الناس : انه تزوج حليلة ابنه ، استصالا ان يكون أبا أحد من رجالكم ابواه اصيلة ام رضاعية ام دعية هي بالإسلام منافية ، فهلا كان أبا ابراهيم والقاسم والطيب والطاهر؟ اجل كان ولكنهم ماتوا قبل رجولتهم ، ثم و «رجالكم» لا تشملهم ولو كانوا في رجولتهم ، فإنهم . إذا . من رجاله دون رجالهم! أم لم يكن أبا الحسين (عليهما السلام) ومن ثم الأئمة من ذريته الحسين (عليه السلام) وسوادهم من ذريته؟ اجل ولكن «ما كان» تضرب إلى الماضي قبل نبوته وبعدها لحد نزول الآية والحسنان بعد طفلاً لم يتزوجا حتى يأتي دور حليلتهما انهم حل له ام لا! ولما تزوجا كان قد قضى نحبه

بزمن بعيد ، ثم وهم ليسوا من رجالهم بعد رجولتهم بل من رجاله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

ففيما سبق استتأصل بنوة الأدعية : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ فلم يكن زيد ابن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل ، حتى تحرم حليته ، وهنا يستتأصل أبوته لأحد من رجالكم لا الرجال ولا رجاله ، نفياً لابوته لزيد فتحل له حليته ، ام امكانية زواجه بحلايل ابنائه ، فإنهم بين من توفي في صباح ، ومن ترجل بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن تزوج بها لم تكن حليلة ابنه ، ومن تزوج من رجاله فاما كانت رجولته وزواجه بعد موته ، إذا ففرية زواجه بحليلة ابنه منفية عنه مع الأبد.

انه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ﴾ تنتسبون اليه بالبنوة ، وليس علاقته بال المسلمين إلا علاقة النبي بالامة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ يحمل الرسالة والنبوة القمة الأخيرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أن لم يجعله أباً أحد من رجالكم وأبطل سنة الأدعية وجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء .  
وماذا ﴿خَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ بعد ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ لا «خاتم المسلمين» «نبي الله وخاتم النبيين» او ﴿خَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ فقط؟

إن الرسالة الإلهية هي بعد وحي النبوة ، وأنها درجات بعضها فوق بعض اختصت العالية بصيغة النبوة من النبوة الرفعة ، لا البناء الوحي (١) ولذلك وصف النبوة يأتي بعد الرسالة دون معاكسنة : كما ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (١٩ : ٥١) في موسى و ٤٥ في إسماعيل و ﴿الرَّسُولُ النَّبِيُّ﴾ (٧) :

(١) لذلك لما يخاطب به نبي الله يقول : لا تقل يا نبي الله انا نبي الله .

١٥٧ ) في محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) حيث الوصف الأعلى ياتي بعد العال ، فالنبوة هي منزلة اشرف من الرسالة .

ف . ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ تثبت منزلته الثانية مطابقة وقبلها النبوة الوحي التزاما ، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ تثبت ثالثة هي النبوة ، ورابعة هي القمة والأخيرة انه ختم وتصديق للنبوات ، فليكن أفضلهم وآخرهم ، فلا نبوة بعده فضلا عن رسالة او نبوة اللهم إلّا إلهاما على هامشة تفهمها لنبوته دونما استقلال ! وقد يعني «النبيين» جمع النبيء والنبي معا ، استئصالا لأية نبوة وحي او نبوة رسالة وبينهما رسالة الوحي فذلك المثلث السامي مسلوب بعد نبوته ، مصدق لمن قبله به ، فلانبيء بعده ولا رسول ولانبي حيت «ختم به الوحي»! فلو قال «ختام النبيين» لكان هنالك مجال الرسالة بعده او نبوة ! ولو قال «ختام المرسلين» لكان بعده مجال النبوة ، فلما قال ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ زال كل مجال من مثلث الوحي على أية حال ! حتى ان كان جمع النبي فكونه خاتمه يقتضي انقطاع الوحي به ، فلما ذا يوحى بعده ، أتكميلا لما اوحى إليه كما في ولی العزم الآتي بعد سابقه؟ وهو خاتم النبيين فلا أفضل منه ولا يسامي ! ام حفاظا وتصديقا لوحيه عن تطرق التحريف كما كان يوحى الى الأنبياء بعد اولي العزم بهذا الصدد؟ وقرآن محفوظ بحفظ الله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَلُنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فلما ذا الوحي بعد ، اللهم إلّا إلهاما لعزته المعصومين ، تفصيلا لما أجمله من كتاب او سنة ، فان دور الإمام لا يعني إلّا نشر الرسالة بتفاصيلها الواقعية ، دونما زيادة ولا نقصة . فكل رسول بعد ولی عزم من الرسل كانت رسالته وقائية غير مكملة لما كانت مع ولی العزم ، فانما كان يوحى اليه ما أوحى من قبل ليواصل رسالته متحللة عن كل تحريف . وهذه الرسالة السامية معصومة بكتابها القرآن العظيم ، وهو العاصم لها عن كل

ما يتقول عليها دوغا حاجة إلى رسالة متواصلة بعدها ، ثم الائمة المعصومون يوفون أكثر ما يوفى بأية رسالة وقد فعلوا!

ان أفضل النبيين هم الخمسة الذين دارت عليهم الرحى وهو خاتمهم الذي يرأسهم لأن في تصديقه لهم ثبات كيامهم ، وكما أخذ الله ميثاقهم باليمان به والنصرة له : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتُنَصُّرُنَّهُ قَالَ أَفَرَأَتُمْ وَآخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

لذلك نرى «النبي» بمختلف صيغه فيسائر القرآن اقل من «الرسول» كذلك<sup>(١)</sup> مما يوحى بقلة النبيين بين المسلمين ، وحين تذكر النبوة بعد الرسالة لا نجد من الخمس إلا محمدًا وموسى ، ومن سائر المسلمين إلا إسماعيل وإن كان سائر الخمس وجماعة من المسلمين نبيين. ثم رسالته الالهية هي القمة لحد يلمع كأنه الرسول لا سواه حيث «الرسول» معرفا لا نجده إلا إياه (٨٤) مرة وكذلك «النبي» (٣٣) مرة لا يعني إلا إياه ، مما يطمئننا أن الرسالات والنبوات الإلهية مرکزة في جنابه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وسائر الرسل والأنبياء إنما جاءوا لتعبيد الطريق لهذه الرسالة النبوة السامية!

(١) النبي (٦٩) مرة والرسول «٣٩٤» مرة لكنهما معرفا مفردا لا يعنيان الا محمدًا (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وفي نور التقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٣ في مناقب ابن شهر آشوب عن انس في حديث طويل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يقول : انا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء وقال امير المؤمنين (عليه السلام) : ختم محمد الفنبي واني ختمت الف وصي واني كلفت ما لم يكلفو».

فهو هكذا «رسول الله» وهكذا «نبي الله» لا فحسب بل ﴿وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ حيث ختم النبوّات والرسالات والنبوات فلا نبيّ بعده ولا رسول ولا نبيّ ، ولا وحيّ بعده ولا كتاب ، ولا شرعة بعده ولا اي جديد من سماء الوحي! ليس هو . فقط . خاتم النبيين ، بل ﴿وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ فالخاتم وهو اسم لما يختتم به ويصدق فهو أبلغ من الخاتم وأعمق دلالة على خاتمته للنبوات ، فقد بلغ من ختمه النبوات وتصديقه لها الى حدّ سمى بالخاتم كما الرسول والنبي على سواء ، دون من يختتم كآخر لما يختتمه وليس يصدقه ، او قد يأتي بعده من هو ارقى منه ، ولكن موقع هذا النبي من النبيين موقع الخاتم ختام<sup>(١)</sup> المكتوب حيث يصدقه والمكتوب تحته مكذوب ، وكذلك الرسول محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فمدعي النبوة بعده مكذوب والذي لم يصدقه من قبله غير مصدق ، فهو السطر الأخير من أسطر الوحي يصدق ما قبله من وحي ، ويكتب ما بعده من دعوى الوحي وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : انه سيكون في اميّ كذابون ثلاثة كلهم يزعم أنه نبي وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي<sup>(٢)</sup> وهو اللبننة الاخيرة من بناء الرسالة كما يروى عنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قوله : «مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بني دارا فألقها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبننة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الخاتم ما يختتم به وسمى خاتم الزينة به لأن فصه كان يحلك عليه اسم صاحبه يختتم به كتاباته

(٢) الدر المنشور ٥ : ٢٠٤ . اخرج ابن مردويه عن ثوبان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وفيه اخرج احمد عن حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال : في اميّ كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي

(٣) المصدر اخرج احمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : ... واخرج ما في معناه باختلاف يسير مع الاحتفاظ على الأصل .

ويوجد العديد من تصريحات خاتمته بطيات بشارات في كتابات الوحي برسالته وكما في الأصل العربي من كتاب حقوق؟؟؟ النبي الفصل ٣ : ٦ إله متيماه يابوء وقادوش مهر پاران سلاه ... ٣ ونعته كاورتھي ... ٤ هليخوت عولام لو ٦ :

الله من يتمنى يأتي والقدس من جبل پاران : فاران . حرى . مع الأبد .. شعاعه كالشمس .. ومسالك الأزل له» فـ . «باران» هو جبل حرى<sup>(١)</sup> : فاران مطلع النور المحمدي ، اشراقه مع الأبد حيث شعاعه كالشمس ومسالك الأزل له ، فلا انطفاء لشعاعه إلا بانتفاء الدنيا .

وفي «نبوءت هيلد» وهي الطفل حسب الأصل الانقلوسي «محمد كايا إبابايا ديطمع هويا وهيهى كليليا» : محمد كبير قدير . الشجرة الرفيعة الطيبة . مأمول لإفناء ما كان وإطفاء النائرة ، وهو الكل والتاج وحمل على الأكتاف» .

. البخاري ومسلم والترمذى وابن أبي حاتم وابن مردویه عن جابر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردویه عن أبي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واحمد والترمذى وصححه عن أبي بن كعب عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٤ في روضة الكافي باسناده الى علي بن عيسى رفعه قال : ان موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته : لا يطول الدنيا أملك . الى قوله عز وجل : له في وصيته له بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا موسى انه امي وهو عبد صدق وبيارث عليه كذلك فيما وضع يده عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقته به افتح الساعة وبأmente اختم مفاتيح الدنيا وح ١٤٥ في عوالي الكالى وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً» .

(١) وهذا اجماع مؤرخي العرب ان فاران هو حرى وكما يصرح في سفر التكويرين ٢١ : ٢١ «وقام ببرية فاران «يعنى إسماعيل بن ابراهيم من هاجر ، راجع ص ٤٦ . ٥٣ من كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد تفصيل هذه البشرة .

فكونه كلاً ي Finch أنّه مجمع جماع الرسالات الإلهية ، وكونه تاجاً على رؤوس رجالات الوحي يجعله أفضalem ، فما ذا بعد الأفضل الكل؟! إلا الناقص الكل؟!

وفي إنجيل يوحنا ١٤ : ١٦ حسب الأصل السرياني : «وأنا بـن طالبـن من بـنـي وـخـين بـار قـليـطا بـت يـيل لـوـخـون هـل اـبـد» :

«وأنا أـسـأـلـ الـآـبـ : الـخـالـقـ . الـخـالـقـ . فـيـعـطـيـكـمـ فـارـقـليـطاـ آـخـرـ لـيـقـيمـ مـعـكـمـ إـلـىـ الـأـبـ»

وفار قليطا في الأصل اليوناني : بـريـكـليـطـوسـ بـعـنـيـ مـحـمـدـ . أـحـمـدـ ، وـمـحـمـدـ آـخـرـ يـعـنـيـ نـبـيـاـ

مـحـمـودـاـ فـيـ غـاـيـةـ الـحـمـودـيـةـ هـوـ آـخـرـ الـآـخـرـيـنـ لـيـقـيمـ مـعـكـمـ إـلـىـ الـأـبـ<sup>(١)</sup>.

ولـيـسـ خـاتـمـيـةـ الرـسـوـلـ مـحـمـدـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) بـحـاجـةـ إـلـىـ سـرـدـ الـادـلـةـ . وـهـيـ

كـثـيرـةـ فـيـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ لـأـنـهـ مـنـ الـضـرـورـيـاتـ الـقـاطـعـةـ إـلـيـسـلـامـيـةـ حـيـثـ تـرـدـ فـرـسـالـتـهـ بـخـاتـمـيـتـهـ

دـوـغـاـ رـبـيـةـ ، وـالـآـيـاتـ فـيـ مـثـلـثـ مـنـ خـاتـمـيـتـهـ بـيـنـ الـمـرـسـلـيـنـ وـالـبـيـبـيـنـ ، وـخـاتـمـيـةـ كـتـابـهـ بـيـنـ كـتـبـ

الـسـمـاءـ ، وـخـاتـمـيـةـ شـرـعـتـهـ بـيـنـ الشـرـائـعـ تـبـلـغـ عـشـرـاتـ.

---

(١) راجع رسول الإسلام ١٤٦ - ١٥٧ فيه تفصيل البشارة بفارقليط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الطُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحُنُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوْهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْ تَعْوَهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاحَكَ الْلَّا تَأْتِيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكْتُ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ  
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِاتِكَ الْلَّا تَأْتِيْ هاجِرُونَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً  
إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا  
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاهِهِمْ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُمْ لِكِنْ لَا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا  
(٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَّلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ  
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُنَّ وَبِرْضَيْنِ هَا آتَيْتُهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ  
اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ

هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكْتُ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾

من لزام الاعتقاد بالله ذكر الله ، وكما الاعتقاد ليس له حد او زمان او مكان او حالة خاصة ، كذلك ذكر الله على كل حال ، ف . «ما من شيء إلا وله حد ينتهي اليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي اليه ، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أدهن فهو حدهن وشهر رمضان فمن صامه فهو حده ، والحج فمن حج فهو حده ، إلا الذكر فان الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدا ينتهي اليه ..» <sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٧ في اصول الكافي عددة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ... ثم تلا آية الذكر فقال : لم يجعل الله له حدا ينتهي اليه قال : وكان أبي (عليه السلام) كثير الذكر لقد كنت امشي معه وانه ليذكر الله وأكل معه الطعام وانه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله وكانت ارى لسانه لا زقا بخنكه يقول : لا اله الا الله وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويامر .

والذكر في الأصل حالة في القلب تظهر في مظاهر الأقوال والأفعال ، ولأن اللسان يتأثر بالقلب في ذكره والقلب يؤثر فيه ، لذلك يسمى ذكره ذكرا وإلا فليس إلا لقلقة البغاء .

و « لا أقول سبحانه الله والحمد لله ولا الله الا الله والله اكبر ، ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه »<sup>(١)</sup>. فاشتغال اللسان بذكر الله والقلب لاه والعمل مختلف عن شرعة الله ، إنه ليس ذكرا ، بل هو مهانة واستهتار بالله ، فليست عن ذكر الله ، او ويدرك الله في حلاله وحرامه !

. بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرء منا امره بالذكر ، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويدرك الله عز وجل فيه تكثير بركته وتحضره الملائكة وتجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب لأهل الأرض والبيت الذي لا يقرء فيه القرآن ولا يذكر الله تقل بركته وتجره الملائكة وتحضره الشياطين وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الا أخبركم بخير اعمالكم ارفعها في درجاتكم وأركها عند مليككم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فقتلواهم ويقتلوكم؟ فقالوا : بلى ، قال : ذكر الله عز وجل كثيرا ثم قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : من خير اهل المسجد؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أكثرهم الله ذكرا وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اعطي لسانا ذاكرا فقد اعطي خير الدنيا والآخرة وقال : في قوله تعالى : «**وَلَا تَنْعِنْ تَسْتَكْثِرُ**» قال : لا تستكثر ما عملت من خير الله .

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٧ ح ١٥٦ في الخصال عن زيد الشحام قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمنها ، قيل : وما هي؟ قال : المواساة في ذات يده والإنصاف من نفسه وذكر الله كثيرا اما اني لا أقول ...

ف . ﴿ذُكْرًا كَثِيرًا﴾ تعني كثرة في عدّة وكثرة في عدّة ، عدّة الجوارح؟؟؟ والجوانج وعدّتها ، كثرة العدد بعدها ، ولكل بكثره ، وكثرة العدد بحق الذكر وحافه ، دون ان يترك باطن الذكر الى ظاهره ، او ظاهره الى باطنه ، او يترك عدّته او عدته او عدّته الى عدته ول يكن محافظا على باطن الذكر كمحور اصيل يتبنّاه طول حياته ، فذكره بالقلب هو قلب الذكر وسائل الذكر هو قالب الذكر !

ف . ﴿إذْكُرُوا اللَّهَ ذُكْرًا كَثِيرًا﴾ بقلوبكم في عدد وعدد ، وبألسنتكم في عدد وعدد ، في حلكم وترحالكم ، وعلى كل أحوالكم ، حيث النسيان أيا كان وأيّان يخلّف قدره العصيان لا تقل إن أكثرت ذكر الله بلساني قيل إنه منافق ، ما دمت ذاكراه بقلبك ولسانك ف . «اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون» <sup>(١)</sup> و «حتى يقولوا مجنون» <sup>(٢)</sup> ! فاما المجنون من لا يذكر الله ، والمنافق من لا يوافق لسانه قلبه او قلبه لسانه ! ذكر الله من مخلقات اليمان على قدره ومستواه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ولأن في ذكر الله حالة ايجابية ذكرا لذاته تعالى وأفعاله وصفاته ، وقصورنا الذاتي عن ان ندركه سبحانه قد يوردننا موارد الخطأ عند ذكره ،

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٠٥ . اخرج الطبراني عن ابن عباس وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن أبي الجوزاء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ...

(٢) المصدر اخرج احمد وابو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ...

فلننشرعه بتسبيحه : ﴿وَسَبِّحُوهُ بِكُرْةً وَأَصِيلًا﴾ ، من بكرة إلى أصيل ومن أصيل إلى بكرة كلما ذكرناه تسبحنا بمحمه! ام في الوقتين الأصيلين : ﴿بِكُرْةً وَأَصِيلًا﴾ ، لكي يصفو ذكره عن كل كدر ، وكما في حديث قدسي. «ادكريني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أفكك ما بينهما» <sup>(١)</sup>.

فليكن المؤمن بتمام ذاته وتعلقاته ذكرا الله وتسبحها ، أسوة برسول الله في تحقيق أمر الله : ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ دِكْرًا رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ ...﴾ (٦٥ : ١٠) فيصبح حينئذ من المفردين <sup>(٢)</sup> ولأن الرسول هو بنفسه ذكر الله : ﴿دِكْرًا رَسُولًا﴾ فلا ينسى الله ، لذلك لا يشمله خطاب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وانما ﴿أَتَقِ اللَّهَ﴾ ابقاء عن زهوة القرب الى الله وعما سوى الله.

فاتصال القلب بالله والانشغال عن الله اشتغالا بالله في مراقبة دائبة ، يجعل العبد ذakra الله وسبحان الله ثم الله يذكره أكثر من ذكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم﴾ (٢ : ١٥٢) واين ذكر من ذكر؟ يقول الله تعالى : من ذكريني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكريني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» <sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر اخرج احمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يذكر عن ربه تبارك وتعالى : اذكريني ... واحرج احمد عن أبي امامه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لان اقعد اذكر الله وأكبه واحده وأسبجه وأهلله حتى تطلع الشمس أحب الي من ان اعتنق رقبتين او أكثر من ولد إسماعيل ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب الي من ان اعتنق اربع رقاب من ولد إسماعيل.

(٢) المصدر اخرج احمد ومسلم والترمذمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيرا

(٣) أخرجه البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قال الله : ...

ولئن قلت إن بواعث النسيان كثيرة كموانع الذكر ، فكيف للعبد الضعيف ان يذكر الله كثيرا؟ فالجواب :

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣)

فصلوات الله عليكم هي إنزال رحمته وصلوات ملائكته هي استزادة فيها باستنزلان رحمته ، رحمتان اثنتان من الله تخلفها الحاولة الدائبة لذكر الله كثيرا ، فـ ﴿الَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى﴾ .

هنا لك ظلمات تحول دونك والنور ، ولكنك بحولك في كل أحوالك بذكر الله ، وبحول الله وقوته ، سوف تخرج من ظلمات النسيان الى نور الذكر اليمان ﴿لِيُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور﴾ : فالنور واحد هو ذكر الله الواحد والظلمات عدة هي ذكر غير الله فنسيان الله ، وليس يخرج المؤمن من الظلمات الى النور إلا بذكر الله كثيرا فصلوات الله عليه وملائكته إذ لا حول ولا قوة إلا بالله !

ومن صلوات الملائكة للذاكرين الله استغفارهم : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ...﴾ (٤٢ : ٥) كما ومنها استنزل رحمات اخرى كرفع درجات ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...﴾ (٥٦). (٦)

نحن نصلي لله والله يصلي علينا وملائكته وain صلاة؟ وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قلت لجبريل (عليه السلام)

هل يصلني ربك؟ قال : نعم . قلت : وما صلاته؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي»  
 (١).

وقد يجمع هذه الثلاث انعطاف برحمة إنزالا واستنزلالا وعبودية. فإنه صلة بين هذه الصلوات! وصلوات الله على عباده درجات أعلىها صلواته على رسوله ، وأدنىها على أدنى المؤمنين وبينهما متوسطات.

فإذ يصلني ربنا علينا فهلا نصلني على عباده الصالحين تخلقا بأخلاق الله مهما كان خصوصها بخصوص المخلصين (٢).

**﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ (٤)**

أتراه سلاما منهم على الله؟ ولا سلام على الله على أية حال لأنه هو بنفسه سلام فلا يحتاج الى سلام من عبده الفقراء الى سلامه! ام سلاما من بعضهم على بعض؟ وهو سلام المؤمنين في النشأتين دون اختصاص بـ **﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾** مهما عمت النشأتين للمخلصين والمخلصين ، حيث السلام يوم الدنيا يعم المؤمنين كما في يوم الدين!

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٠٦ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطاء ابن أبي رياح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت ...

(٢) اذكر اني كنت اصلي على آل محمد لما اصلي على محمد في المسجد الحرام فاعترض عليّ كيف تضيف الآل؟ قلت لان الرسول أمرنا ان نضيف اليه الآل ، فقيل لي : أحيانا تصلون على أولاد الآل ، قلت : ان الله يصلي علينا وبعضا في ادنى مراتب الایمان ونحن نصلي على الصالحين من آل النبي وولدهم! قيل لي : فلما ذا لا تضيفون الصحابة الى الآل؟ قلت تأسيا برسول الله إذ أضاف الآل اليه ولم يزد والصلوات درجات لا تجتمع في درجة واحدة لمن هم درجات ، فلنصل على النبي والآل لأنهم في درجة ثم نصلي على غيرهم من الصالحين كلا على حده!

إنه سلام من الله عليهم ، على من هم ملاقوا الله بالمعرفة القمة ، وهم السابقون والمقربون وأفضل اصحاب اليمين يوم الدنيا ويوم الدين ، وبالنسبة لسائر المؤمنين يختص بيوم الدين :

أترى ما هو الفرق بين صلوات الله علينا وسلامه حيث يختص سلامه بيوم يلقونه وصلواته تعمه ويوم الدنيا أم تخصها؟

ان سلام الله يوم الدنيا يختص بالمصطفين : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَيْتَكُمْ﴾ (٢٧ : ٥٩) . ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧ : ١٨١) ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧ : ٧٩) ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٠٩) ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢٠) ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلَيْيَهِ يَوْمَ وِلَادَةِ وَيَوْمَ مَوْتٍ وَيَوْمَ يُبَعَّثُ حَيًّا﴾ (١٩ : ١٥) ويعسى «والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا» (٣٣) سلام الله التام على هؤلاء في الاولى كما الاخرى إذ هم ملاقوا الله فيهما ، فـ . ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ بالنسبة لهم ، ثم من يجدو مخداتهم ، فهوئلاء مذكورون على نحو الخصوص ، وأولاء الأتباع تعمهم ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ على وجه العموم ، ثم من سواهم سلام الله عليهم يوم الاخرى فانه يوم لقاءهم التام لقاء دونما اختيار حيث تكشف الغطاء.

فالسلام في الآخرة يعمهم وكل اصحاب الجنة بعد ما سلموا من كل زين : ﴿خَيَّثُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ كما هنا ، ذلك لأن سلام الله خالصا من الاسلام يختص المخلصين أهل السلام ، وأما الصلوات فلأنها أعم من هكذا سلام كما للرسول وذويه ، ومن سلام العفران كما لمن يتأنى منه العصيان ، فهي . إذا . تعم من يصلح لرحمته يوم الدنيا ومن جراءها الأخرى وهي أحرى.

وهلا يلقى الله أهل السلام يوم الدنيا حتى يختص سلامه بـ **﴿يَوْمَ يَلْقُونَهُ﴾** في الأخرى؟

ان لقاءه تقربا معرفيا بتوفيقه الجزاء دوغا شوب من سلطان سواه ، ذلك لا يتحقق إلا يوم الأخرى ، اللهم إلا مثل القائل : «لو كشف الغطاء ما ازدلت يقينا» حيث الغطاء الدنيا لا تغطي عليه ربه فهو ملاقي الله طول الحياة في الاولى والاخرى ، واما الأجر الكريم فهو من مختصات الاخرى : **﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾**.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَعَيْنَا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُّبِيرًا﴾ (٤٦)**

ميزات خمس يحملها هذا النبي العظيم ما لها من سبق <sup>(١)</sup> وكل ذلك بإذن تكويني من الله وتشريعي ، لولاها لم يسعط تلك الدعوة العالية النافذة ، فهو الداعي الصالحين عن الله إلى الله ، وهو السراج المنير الذي أسرجه الله لمنير الدرج على السالكين إلى الله ، وهو الشاهد من الله وعلى عباد الله ، نموذجا بالغا من رسالة الله ، وتلقيا اعمال عباد الله ، وإلقاء لها يوم لقاء الله ! <sup>(٢)</sup> إنه ليست الدعوة إلى الله فوضى وهرج مرج ، ابتداء وابتداعا او تطوعا ، فعلة قوله وحالة من عنده نفسه ، إنما هي «باذنه» كرسالته وشهادته وتبشيره وإنذاره وإنارةه بسراجه !

(١) فسرنا الثالث الاولى في الفتح ج ٢٦ الفرقان ص ١٦٦ - ١٦٧ فراجع

(٢) وفي الدر المنشور ٥ : ٢٠٦ . اخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن العرياض بن سارية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منحدل في طينة وأخبركم عن ذلك انا دعوه أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأيت وكذلك أمها مات النبيين بربن وان ام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأت حين وضعته نورا أضاءت لها قصور الشام ثم تلا **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ...﴾**

﴿وَبِشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) فللمؤمنين البشارة والفضل ،

زيادة على ما عملوا ، وعلى سواهم النذارة العدل ، كل كما يستحقه.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفِي بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨)

لا تطعهم حتى فيما يعدونك من قبول اليمان فلا خير منهم يرجى ، وما فيهم ومنهم إلا شر ليس إلا ، ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ : اتركهم يؤذونك ما استطاعوا حتى يأتي أمرنا ، ولا تؤذهم كما يؤذونك حتى يأتي أمرنا (١) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فيما أمرت وصبرت ﴿وَكَفِي بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حيث يكفيك بأسمهم ما لا يكفي سواه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَثُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُنْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعَذَّدُوا هَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرِحُوهُنَّ سَرَاحًا جَيِّلًا﴾ (٤٩)

آية وحيدة فيسائر القرآن تحمل سلباً لعدة الطلاق عمن طلق قبل مسها ثم وإيجاب المتعة والسراح الجميل ، تخصص آية البقرة الموجبة لترخيص القروء بالطلاق على الإطلاق مسها ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةُ فُرُوعٌ﴾ (٢ : ٢٢٨) تخصصها بغير صورة المسّ.

وترى ماذا يعني هنا المسّ؟ فهو مطلق اللمس وإن لم يجتمعها كما قد يروى (٢) أم هو .

فقط . الوطء قبلًا أو دبراً حيث المسّ بالنسبة للنساء لم يأت

(١) «إذا هم» في الوجهين من اضافة المصدر الى الفاعل او المفعول.

(٢) كما في صحيح البخاري عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله عن الرجل يطلق امرأته وقد مس كل شيء منها الا انه لم يجتمعها لها عدة؟ فقال : ابتلي ابو حضر .

في سائر القرآن إلا بمعنى الوحي !<sup>(١)</sup> قضية الأدب البارع في وحي القرآن ، ثم المس لغويًا أبلغ من اللمس دلالة على الوطى و ﴿لَامْسُتُمُ النِّسَاءَ﴾ الموجبة للجنابة ليست إلا الجماع! ولئن أريد مطلق اللمس الشامل لغير الوطى ليدلّت المس باللمس! ولئن شك في إيجاب غير الوطى من اللمس ترخيص القروء فالأصل هنا عدم القروء ، لا سيما وأن آية القروء مذيلة بما يلمح بالوطى : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُثُّنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ اضافة الى تظافر الروايات ان المس هو الوطى فقط دون سائر اللمس.

ثم المس ليس ليختص بوطي القبل بحججة رعاية حكمة الحفاظ على المياه وليس منشأ الولادة إلا في القبل! حيث العقيدة ترخيص بوطيها ، القروء ، كما الولود ، بل يعم الوطى في الدبر ، وعلى حكمة الجامعة لموارد العدة بالطلاق غاية اللذة الحاصلة بالمس قبلًا او دبرا ، وقضية اطلاق النص في عدم «المس» على آية حال ، اطلاق عدم الوطى على آية حال ثم ترى هل تخص ﴿إِذَا نَكْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ احكام الآية بالمؤمنات المنكوحات بالعقد الدائم لمكان ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾؟ فالعدة إذا ثابتة على

. (عليه السلام) بذلك فقال له أبوه علي بن الحسين (عليه السلام) إذا اغلق وارخي سترا وجب المهر والعدة ، أقول : «ابن أبي جعفر» هو ابلاع بسؤاله فليكن موضع تقية والا فلا ابلاع ، ثم «اغلق وارخي سترا» أعم من المس كما هو أعم من الوطء ، وهاتان امارتان لكون الجواب واردا مورد التقية ، او ان اغلق وارخي سترا كنایة عن الوطى

(١) «قَالَتْ أُنِي يَكُونُ لِي عَلَامٌ وَمَمْسَسِنِي بَشَرٌ» (٣ : ٤٧) و (٢٠ : ١٩) ولا ياتي الولد إلا بمس الوطى لا مطلق المس «مَمْ يَعْوَدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ... فَمَنْ مَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» (٥٨ : ٤ - ٣) «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ... وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمُ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِي صُفْ مَا فَرَضْتُمْ» (٢ : ٢٣٧).

المنفصلات بغير طلاق كالمقطعة التي توهب وقتها او ينتهي ، والامة المحررة ، والدائمة غير المؤمنة ، والمؤمنة الدائمة المنفصلة بغير طلاق ، فسخا من احد الزوجين بموجبه ، او انفساخا للعقد بسبب ، كالتي يتزوج زوجها بيتها من غيره قبل ان يدخل بها ، فانها تنفصل عنه بمجرد العقد عليها إذ تصبح إذا أمه لزوجته. امن هي من الالات لسن مؤمنات دائمات مطلقات قبل الدخول؟

ان قيد «المؤمنات» لا يقييد الحكم بهن ، إذ ليس يعني إلا تلميحا بان المؤمنين لا ينكحون إلا المؤمنات ، دون المشرفات : ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ (٢٢١) ومهما سمحت آية المائدة نكاحهم بكتابيات ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْثَوْا الْكِتَابَ﴾ فانه سماح هامشي على متن النكاح بشروطه ، ثم العدة ليست إلا لحرمة الموت ولا موت هنا! ام للحفاظ على المياه ، ولا مياه هنا!

ام حرمة لقضاء غاية الشهوة الحاصلة بالدخول؟ ولم يدخل بها! وإذا لا حرمة لمؤمنة غير مدخول بها في عدة فباحتى غير المؤمنة ألا تعتمد ، وآية البقرة مهما عمت المطلقات في فرض العدة ، ليست لتشمل غير المدخول بها قضية ذيلها ، وعند الشك فالقدر المتيقن هو المدخول بها ، واليائسة المدخول بها خارجة عن هذه الحكم كما الصغيرة فان وطئ اليائسة ليس في غاية الشهوة ، ام لان فرض العدة بين الموت كعملة تامة ، وبين وطئ فيه امكانية الحمل ، والثاني منفي فيمن لا عدة لها ، ان يائسة موطدة ، ام غيرها البالغة غير الموطدة ، وهذه ضابطة صارمة في العدة ، والله اعلم بالحكم في كل عدة وعدة.

ثم وقید الطلاق وارد مورد النكاح الدائم ، فليس ليقييد الحكم بمورد الطلاق ، او توسيع في معنى الطلاق انه الفراق عن النكاح أيا كان ولكنما

المنقطعة التي تم وقتها ليست مطلقة على اية حال ، مهما كانت الموهبة وقتها والباعة نفسها داخليتين في مطلق الطلاق .

ثم **﴿فَمَا لِكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾** تستأصل اية عدة وان يوما او ساعة ، ثم وست AHLها لزواج آخر فور طلاقها ، وتلمع أن عدة المطلقة حق لزوجها ، ولكنها مرتبطة بحقه زاما إذ لا يحق له التسامح عنه ، فهو من الحقوق التي لا تسقط بإسقاط صاحبها كحق الزوجية والابوة وأمثالها ، لأنها حقوق ثابتة مرتبطة بالله وبالمجتمع ، وفي زاوية ثالثة ترتبط بأصحابها ، و «يتربصن» في فرض العدة حكم صارم هي ليس ليسقط بإسقاط ، فهو حق يحيط به حكم ، ليس حقا خالصا يصلح لإسقاط . فكما الحكم لا يسقط بإسقاط كذلك الحق الذي فيه الحكم ، ثم الحق الخالص الشخصي صالح للإسقاط إذا كان صالحا للإسقاط ، دون الحق الذي له بعد جماعي بعد الشخص فإنه لا يسقط بإسقاط الشخص . ولأن العدة «لكم عليهن» فهي . إذا . ليست إلا لصالح الرجل ، بين الحفاظ على صالح النسل مؤكدا أو محتملا ، والحفاظ على حق الرجوع كما في الرجعية ، وأما البائنة غير المدخول بها فلا عدة لها ، كما لا عدة لليائسة المدخل بها حيث لا ماء لها ولا رجعة إليها ، وعدة الوفاة هي للزوج المتوفي حرمة له ، فـ «لكم عليهن» هي في مثلث المصالح للأزواج ، ولكنها مصالح تضم حقا جماعيا لا يقبل الإسقاط .

وحق القول في الحق الثابت بالشرع انه لا يسقط على اية حال إلا بدليل كالحقوق المالية أما هيhe ، أصلا أصيلا صارما قائما في الحقوق إلا ما يستثنى ، كما في الأحكام ولكنها لا تستثنى .

وبصيغة أخرى : الحكم لا يسقط أيا كان ، والحق قد يسقط بإسقاط ام دونه وقد لا يسقط ، ولا حق إلا ومعه حكم بضمته يضمن تحقيقه ،

وهنالك احكام لا تضمن حقوقا بشرية واخرى تضمنها ، فهما . إذا . متبادران جزئيان عموما من وجه ، قد يجتمعان وقد يفترقان قضية الملازمة الأصلية ، والا فلا حق الا ومعه حكم فيبينهما عموم مطلق.

ثم ترى أنفرض «فمتعوهن» على الأزواج متاعا زائدا على الفريضة؟ لأنها مطلقة تشمل الباقي فرضتم لهن فريضة فتؤتي زيادة هي المتاع ، وليس الفريضة متعة كما ليس مهر المثل متعة ، وإنما هي الزائدة على الفريضة ان فرضت لها؟ والزيادة على مثل الفريضة ان لم تفرض تحنا عليها وتعطفا؟

أو أن المتاع إنما هو لمن لم يفرض لها فريضة إذ قوبلت في البقرة بن فرضت لها فريضة :

**﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيْضَةً وَمَتَعَوْهُنَّ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ. وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً فَبِصَفَّ ما فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَبْدِئُ عَقْدَةَ النِّكَاحِ...﴾ (٢ : ٢٢٧)؟ فـ **﴿لِلنُّطَّالَاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِيْنَ﴾ (٢)****

: (٤١) يعني الفريضة او مثلها ان دخل بها ، او نصف ذلك ان لم يدخل بها.

او ان متاعهن بالمعروف يعني «اجملوهن بما قدرتم عليه من معروف ، فإنهم يرجعون

بكآبة ووحشة وهم عظيم وشماتة من أعدائهم ، فان الله كريم يستحب ويحب اهل الحياة ، إن أكرمكم أشدكم إكراما لحلايلهم»<sup>(١)</sup> وذلك الإجمال المتاع يعم مهر المثل والمسمى وزيادة ان

كانت لزام الإجمال

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٨ ح ١٦٣ في من لا يحضره الفقيه روى عمرو بن شر عن جابر عن أبي جعفر في قول الله عز وجل **﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ...﴾** قال : متاعهن اي اجملوهن.

قدر المستطاع ، ام اجحالة في دفع الفريضة ، ولا يترك الاحتياط بدفع زيادة على المسمى لصدق المتعال ، وفيما لا يسمى على الموسوع قدره وعلى المقر قدره ، واولى من غير المدخل بها هي المدخل بها ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ (٤ : ٢١).

ثم السراح الجميل ما لا عضل فيه ولا أذى ولا تعنت ولا رغبة في تعوييقهن عن استئناف حياة جديدة ، بل ومساعدة لها على ما تبغي من زواج وتعريفها بها عند من يريدها كيلا تبقى مرذولة منكوبة بقالة الناس ! فكما النكاح توحيد للحياتين على حب ، كذلك الطلاق فراق على حب ومتاع ! متاعاً أخلاقياً ومالياً أما ذا مما يتعهَا ويذهب بكابتها وتضييقها ، معاملة معها في الفراق كما تعامل في النكاح الوفاق ، ويجب ذلك في كل شركة في معاملة أما ذا ؟

هذا هو السراح الجميل بعد الطلاق حيث العادة الجاهلية كانت تعزلهن عن زواج

آخر بعد الطلاق ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ ..﴾ (٢ : ٢٣٢)  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّا يَتَبَتَّأُ أَجْوَرُهُنَّ وَمَا مَلَكْتُ يَعِيشُنَّ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِاتِكَ الَّا يَتَبَتَّأُ حَالَتِهِنَّ هَا جَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيمًا﴾ (٥٠).

هذه واللتان بعدها تحمل احكاما خاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في امر زواجه وأزواجه ، لا تعلو الى الامة ، فانها من احكام الرسالة بختلف حقوقها ومتطلباتها الرسالية ، فردية او جماعية.

ف . ﴿إِنَّا أَخْلَنَا لَكَ ...﴾ تخلل له زوجاً وأزواجاً لا تعد ، بنكاح أو ملك يمين<sup>(١)</sup> ثم حرم عليه الزواج الجديد أو التبديل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ ... إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ ! و «لَكَ» هنا من أدلة اختصاصهن به فلا تخل أزواجه من بعده لغيره : ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ ولا ما ملكت يمينه فيها وإن لم يطأهن ، فإذاً من زوجاته بمجرد ملك اليمين ، كما المعقودة دائماً أو منقطعاً ، فتشمل إماءه ما تشمل سائر زوجاته لك . ﴿أَرْوَاجُهُ أُمَّهَا هُنْ﴾ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ وقد يحل له تخليلهن لغيره قبل أن يطأهن ، حيث الأزواج قد لا تشمل غير الموطئات من الإماء و ﴿مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ إنما احلىت له دون نكاح إذا أراد . ولا من ﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنِكِحَهَا﴾ مهما طال او قصر تحقيق ارادته ، واما بنات عميه وعماته وبنات خاله وخالاته ، فهو حل لغيره قبل ان ينكحهن ، ف . «لَكَ» فيهن ترجيح في زواجهن بالقرابة والهجرة ام فرض يخصه مهما نسخ القيد ان بعده ام لم ينسخ حيث ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ قريبة مهاجرة ام غريبة غير مهاجرة .

وذلك الإحلال مرتبط بتلك النبوة السنامية ، زوجاً سياسياً رسالياً تحكم عرى دعوته وكما في حليلة زيد دعيه امن هي من نساء من مختلف الأقوام ، ومحتج الظروف ومعترك الآراء ، يقصد من خلالها مصاهرة مختلف القبائل ليربط بينهم لنفسه ، تعزيزاً لدعوته ، وبسطاً لرسالته ، ودفعاً لمكاييدات منهم ، فلما قضى ما عليه حرمت عليه النساء من بعد حتى

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٩٠ ح ١٧٥ في الكافي بسنده صحيح عن الحلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) سأله عن قول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ..﴾ قلت : كم أحل له من النساء؟ قال : ما شاء الله من شيء ورواه مثله عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) .

ان متن او طلقةهن كلهم وقوه الجنس بعد بحالها! ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ترى ذلك الإحلال يخص الباقي آتى أجورهن ومهرهن؟ فلا إحلال قبله؟ والمرأة

تستحل بمجرد العقد عليها حتى وان لم توت مهرها لوقته أم على اية حال!.

إن أجورهن هي مهرهن المفروضة او أمثالها في غير المفروضة ، بالنسبة لمن تزوجت

على مهر ، وقد يعني «آتيت» ماضيا ، ضرورة الإيتاء حسب القرار ، فان نوى ألا يؤتيمها لم

تحل له حتى ينوى او يؤتي ، فليس شرط الإحلال إلا أصل الإيتاء : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ...﴾ (٥)

: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (٦٠) (٦٠ : ٦٠) فانكحوهنَّ

إِذْنَ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (٤ : ٢٥) فَمَا اسْتَمْنَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

فَرِيضَةً﴾ (٤ : ٢٤).

فيإيتاء الأجر او تصحيحة في وقته هو شرط الإحلال في الباقي يتزوجن بأجور ، ومن

الراجح الأكيد تقديم أجورهن قبل الدخول بهن حسب المستطاع.

ولأن النبي أسوة يقال له ﴿إِنَّا أَخْلَنَا لَكَ أَرْوَاجَكَ الَّذِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ولأنه كان

قد آتاهن أجورهن ، عنواننا مشيرا الى حالة خاصة له (صلى الله عليه وآلہ وسلم) إليهن ، لا

أن ايتاءها لهن مسبقا شرط احلالهن! كما ويدل عليه سائر من ذكرت من المحللات من

﴿بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِاتِكَ ..﴾ إذ لسن كلهم كالتي وهبت

نفسها للنبي دون اجر ، وقد احلهن له (صلى الله عليه وآلہ وسلم) دون ذكر أجر فضلا عن

إيتاءه المسبق وقد يعني ﴿آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مورد

الإحلال المطلق حيث لا خيرة للزوجة في مطاؤعة الجنس بعد الأجر فلها أن تمانع ما لم تأخذ المهر حتى تؤتى ، وليس للزوج حملها على الوطء قبل ايتاءها مهراها ، فتقع التي لم تأخذ مهراها أمام النبي بين محظوري وجوب مطاؤعة النبي لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وجواز ترك المطاؤعة قبل أخذ المهر ، ولكي لا يحتمل بالنبوة خلاف ما لها من حق ف . ﴿إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْواجَكَ الَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ! كما وان استيفاء حق الجنس بعد إيفاء حقها أحق وأخرى بالنبي واحلى للزوجة ، فهكذا يصبح النبي أسوة !

﴿الَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ هن واحدة من السبع التي أحلت له (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم التحرير ، والثانية ﴿وَمَا مَلَكْتُ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وهن الإماماء اللاتي تأسرن دونما حرب ومشقة ، حيث الفيء هو الغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة ، ف . ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ هنا هن الاسيرات الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهُ يُسْلِطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ (٦ : ٥٩)

فهنا إحلال يخص الرسول من ﴿مَا مَلَكْتُ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ لا نصيب لسائر المسلمين فيهن وكما في سائر الفيء ، ومجرد الملك في الإماماء يحلل إلا إذا زوجهن أو أباهن لغيره.

وعلى ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ك . ﴿الَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ليس قيدها يخص الإحلال بمورده ، فإنهما القدر الواقع له من نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم) ام لم تحل له سواهن من الإماماء اشتراء لهن او تحليلا له؟.

وكذلك الأربع الأخرى في قيدي القرابة والمigration ، فإنهما ليستا من شروط الإحلال ، واختلاف العم والعمات والحال وال الحالات بالإفراد والجمع عليه إذ لم تكن له إلا بنات من عم أو بنات من خال ، وكانت له

بنات عمات وبنات حالات ، أو إذا كانت الآخرين بنت او بنات فهن حينئذ كن مزوجات ، وكانت له بنات عمات وبنات حالات.

احلّهن له الله كأفضل البنات وأحرابهن لزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد هاجرن معه فأصبحن ذوات الأولوية في بعدي القرابة والهجرة ، مهما حلّت له الغربيات غير القريبات والمهاجرات إن كن مسلمات.

ثم السابعة ﴿وَامْرَأً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنِكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قريبة كانت او غريبة ، من هاجرن معه أم لم يهاجرن ، فاما الشرط هنا الامان والوهبة ، فاقتسمت هذه السبع من حيث الأجر ودونه الى ثلاثة . ١ . ﴿اللَّا يَأْتِي أَجُورَهُنَّ﴾ ٢ . القربيات الأربع حيث لم يذكر لهن اجر او تيهه ام لا ، والأجر ثابت بعد لا مرد له . ٣ . «الواهبة نفسها دون اجر ، وفي حكم الثالثة السابعة ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ شرطان :» . ١ . ان وهبت نفسها للنبي . ٢ . ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنِكِحَهَا﴾ فلو لها او أحدهما لعمت الخالصة لسائر من يريدونها.

ثم ﴿إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ تقطع عنه كل ولاية حتى التي لأبيها ، وتقطع عنها كل راغب إليها ، وتقطع عنها خيرتها ترك الهبة بعد ما وهبت نفسها ، اللهم إلا إذا لم يردها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلها ولوليها والراغبين فيها الخيار.

وهل ان هذه الهبة تكفي عن صيغة النكاح ، كما كفت اذن الولي والمهر؟ علّها تكفي لمكان ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ ام لا تكفي حيث لخالصة له لا تنافي شروط الإحلال ومن أهمها صيغة النكاح! ونطق المهر إنما هو السماح عن مهرها ، لا السماح عن صيغة النكاح وليس لها هكذا سماح لأنه

حكم شرعي ، ولكنما المهر حق لها شخصي ، فلها السماح فيما لها حقا ، وليس لها فيما عليها او عليهما حكما ، اللهم إلا ولاية وليها إذ أسقطها الله بـ **﴿خالصة لَكَ﴾**.  
 فتلك الوهبة من امرأة مؤمنة ، وارادة الاستنكاح من النبي ، هما تجعلانها **﴿خالصة لَكَ﴾**  
**منْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** **﴿مَهْمَا أَرَادُوهَا وَأَرَادُوهُمْ بَعْدَ الْوَهْبَةِ وَالْإِرَادَةِ** ، فهي حل له (صلى الله عليه  
 وآله وسلم) ومحرمة على غيره (صلى الله عليه وآله وسلم).  
 وهل تصح هكذا هبة لغير الرسول؟ آيات النكاح والطلاق تفرض الفريضة مسمة  
 وسوها كحق ثابت في اي نكاح وقد تزيد متعته! وآية الحالصة تستخلص له هكذا هبة  
 وهكذا موهوبة فهي إذا في أبعادها من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما  
 وردت بذلك الروايات المستفيضة <sup>(١)</sup> وقد وهبتها (صلى الله عليه وآله وسلم) . فيimen  
 وهبت . نفسها امراة من الانصار فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها : انصرني رحمك الله  
 فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وفي تعرضك لحبتي وسروري وسيأتيك امري إن شاء الله  
 فانزل الله عز وجل : **﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً ..﴾** فاحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله  
 (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يحل ذلك لغيره <sup>(٢)</sup> وقد وهبت نساء أنفسهن للنبي

(١) كما في سور التقلين ٤ : ٢٩١ ح ١٧٧ عن أبي عبد الله (عليه السلام) و ١٧٨ عن أبي جعفر (عليه السلام) و ١٧٩ عن أبي عبد الله و ١٨٠ عن أبي جعفر وكذلك ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ والله المشترك بينها «لا تحل الهبة الا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما غيره فلا يصلح نكاح إلا بمهر».

(٢) المصدر ٢٩٢ ح ١٨٤ علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : جاءت امراة من الانصار الى رسول .

(صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقبل البعض وزوج بعضاً غيره (صلى الله عليه وآلـه وسلم)<sup>(١)</sup>.

. الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقالت يا رسول الله : ان المرأة لا تحطب الزوج وانا امرأة ايم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد فهل لك من حاجة فان تك فقد وهبت نفسي لك ان قبلتني فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) خيرا ودعا لها ثم قال (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : يا اخت الانصار جزاكم الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) خيرا فقد نصرني رجالكم ورغبت في نسائكم فقالت لها حفصة : ما اقل حياءك وأجرأك واحمك للرجال؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) كفي عنها يا حفصة فانها خير منك رغبت في رسول الله فلمتيها وعيتها ثم قال للمرأة : انصري ...

وفي نقل آخر عن علي بن ابراهيم فقالت لها عائشة قبحك الله ما احمسك للرجال فقال لها رسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) صه يا عائشة فانها رغبت في رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) إذ زهدتني فيه ... وح ١٨٦ في كتاب الحصال عن أبي عبد الله في حديث كانت خولة بنت حكيم السلمي وفي المجمع قيل انما وهبت نفسها للنبي قالت عائشة ما بال النساء يبدلن انفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة : ما ارى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : وانك ان أطعت الله سارع في هواك وفيه عن علي بن الحسين هي امرأة من بني اسد يقال لها شريك بنت جابر لك به حاجة قال : ما عندك تعطيها؟ قال : ما عندي الا ازار ، قال : ان أعطيته إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئاً قال : ما أجد شيئاً فقال : التمس ولو خاتماً من حديد فلم يجد فقال : هل معك من القرآن شيء؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا سماها فقال : قد زوجناكها بما معك من القرآن.

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٠٩ . اخرج مالك وعبد الرزاق واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذى والنمسائى وابن المنذر وابن مردویه عن سهل بن سهل الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فوهبت نفسها له فصمت فقال رجل يا رسول وجيئها ان لم يكن واخرج في الدر المنشور اربع نساء وهن انفسهن للنبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) هما ميمونة بنت الحضر وليلي بنت الخطيم.

فقد حملت هذه الآية مربع الإحلال له (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من مختلف النساء دونها حدّ إلا ما رأه الله إذ قال : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ..﴾ وقد خصه بإتيان أجورهن قبل استحلالهن ، وخصت به إماء الفيء لاختصاص الفيء به أيا كان ، وأحلت له الأربع للقرابة والهجرة كأن سواهن لا تحل له ، وخصت به التي وهبته نفسها إن أراد استئصالها ولماذا؟ إذ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُمْ﴾ و﴿لَكِنَّا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥١)

فيكتفيهم زوجا ما فرضنا عليهم في أزواجهم : ﴿مُثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ و ﴿مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُمْ﴾ من اسرى الحرب وما يشترون او يوهب لهم ، فزواجهات الامة تخصر في الحقل العائلي وحظوة الجنس والإنسال ، واما زواجهات النبي فترتيد عليهم ضرورة النبوة حقولا اخرى يتوجب عليه فيها المزيد ﴿لَكِنَّا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ ..﴾ .

فهو الذي يجب عليه كحامل الرسالة أن يتزوج بمحيلة دعّيه إبطالا لسنة جاهلية ، ويتوجب عليه التزويج بأرامل الجهاد تشجيعا للجهاد وترفيعا من شئون الأرامل ، ويتوجب عليه زواجهات اخرى من مختلف الأقوام ربطا بينها ، وتحفيضا لما كان يتربص عليه من الدوائر ، فلو لا ذلك الإحلال في مختلف المجال لكان عليه حرج :

﴿ثُرِّجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ إِمَّا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (٥١)

خيارات له (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في نساءه قبل تزويجهن وبعده ، قبل تطليقهن او بعده ، ف . ««منهن»» تعني فيما تعني ﴿أَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فله إرجاءها تأخيرا لنكاحها كما فعل في

الأنصارية<sup>(١)</sup> ، او تبعيدها إنكاحا لغيره كما في أخرى. ، وله ايواها عاجلا او آجلا باستنكافها ، ثم التي عزلها فلم يردها له ابتغاوها بعد عزلها و ﴿ذلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْرَنَّ﴾ أن تقوى إليك الواهبة نفسها فور هبتها ، او تبتغيها بعد إرجاءها او عزلها. و «منهن» نساءه بعد زواجهن ﴿تُرِجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ تطليقا ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ إبقاء ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلَتَ﴾ ابتغا الرجوع إليها او نكافها من جديد ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ كتأديب لها أولا ثم غفرانا ﴿ذلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْرَنَّ﴾. وإرجاء ثالث تاخيرهن عن قسمهن او تقديمهن ام قسما سويا ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ قسمها ﴿مِنْ عَزْلَتَ﴾ عن قسمها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ..﴾ ولكنما القسم في المضاجعة واجب عليه كما في الأمة ، فيخص سماح ارجائه فيه في المواقعة. وهل إن ﴿ذلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْرَنَّ وَيَرْضَى مَمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ راجع الى ابتغا من عزلها وكلا الإرجاء والإيواء في معانيهما الثلاثة؟ وليس ارجاء التي وهبت نفسها تركا لنكافها قرير عينها! ولا إرجاء الطلاق ، وتأخير القسم قرير عين لمن أرجحتنا! وإن ذلك إيتاء لما آتاهن كلهن ، وهذه وتلك سلب بعد الإيتاء او عدم الإيتاء!. ام إنه استنكاف التي وهبت نفسها عاجلا ، ام آجلا بعد الإرجاء التأخير فانه راجع الى إيواء ، و «من آوى فقد نكح ومن أرجى فلم ينكح»<sup>(٢)</sup> .. ثم الإيواء الإبقاء لمن تزوجها دون طلاق ف . «من آوى فقد

(١) ٢). نور الثقلين ٤ : ح ١٩٠ في الكافي بسانده عن الحلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت أرأيت قوله «تُرِجِي مَنْ تَشَاءُ ...»؟

نَحْ وَمَنْ أَرْجَى فَقْدَ طَلْقٍ»<sup>(١)</sup> ثُمَّ الإِيَوَاء الرَّجُوع بَعْدِ إِرْجَاء الطَّلاق ، أو تَبْحِيدِ الْعَهْد بَعْدِ الْعَدْه فَإِنَّهُ أَيْضًا مِنَ الإِيَوَاءِ أَوْ أَخْرَى حِيثُ الْإِيَوَاء تَلْمُحُ بِاضْطِرَابِ سَابِقٍ ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلَتْ فَلَا جُنَاحٌ﴾ مُورِدُهُ الْمَنْصُوصُ قَبْلَ «ذَلِكَ»! ثُمَّ الإِيَوَاء الْقَسْمُ بَعْدِ ارْجَاهِهِ ، اِيَوَاهَاتُ سَتَّ بَعْدِ ارْجَاهِهِ أَمْ دُونَهُ قَدْ تَعْنِيهَا «ذَلِكَ» وَيُنَاسِبُهَا ﴿أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُّهُنَّ وَلَا يَحْزُنَ وَيَرْضَيْنَ عِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ دُونِ إِبْلَاسٍ وَلَا إِيَاسٍ ، وَهُوَ الْأَنْسَبُ لِلْمَقْامِ أَدْبِيَاً وَمَعْنَوِيَاً ، وَقَدْ آوَاهَنَ كُلُّهُنَّ فَلَمْ يَطْلُقْ وَلَمْ يَرِدْ الْوَاهِبَةُ نَفْسَهَا وَإِنْ بِإِنْكَاحِهَا غَيْرِهِ فَتَوْفَّى عَنِ التَّسْعِ الْلَّاتِي كَنْ مَعَهُ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُنَّ مِنْ مَظَاهِرَةِ جَامِعَةِ جَامِعَةٍ فَنُزِّلَتْ مَا نُزِّلَتْ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ تَظَاهِرَةِ عَائِشَةَ وَحْفَصَةَ فَنُزِّلَتْ مَا نُزِّلَتْ<sup>(٢)</sup> تَصْبِرًا عَلَى كُلِّ ذَلِكَ حِيثُ إِنْ ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُّهُنَّ وَلَا يَحْزُنَ﴾ ...!

هُنَا يُؤْمِرُ نَبِيُّ اللَّهِ أَنْ يَقْرَأَ عَيْوَنَهُنَّ وَلَا يَحْزُنَهُنَّ مَهْمَا كَلَفَ الْأَمْرُ ، وَطَبَعَا مَا لَمْ يَخَالِفْ شَرْعَةَ اللَّهِ وَرَضَاهُ ، تَقْدِيمًا لِهَوَاهِنَ عَلَى هَوَاهِ وَرَضَاهِنَ عَلَى رَضَاهِهِ مَا لَمْ يَخَالِفْ رَضَى اللَّهِ ، وَقَدْ بَلَغَ فِي ذَلِكَ مَبْلَغاً مَا اللَّهُ يَنْهَا :

. قَالَ : ... وَرَوَاهُ فِي الْجَمْعِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَفِي الدَّرِّ المُشَوَّرِ ٥ : ٢١٠ . اَخْرَجَ اَبْنَ مَرْدُوْيَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ عَنْ خُوَلَةِ بْنِتِ الْحَكِيمِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تَرْوِيْجَهَا فَأَرْجَاهَا فِيمَنِ ارْجَا مِنْ نِسَاءٍ .

(١) نُورُ النَّقْلَيْنِ ٤ : ح ١٩٠ فِي الْكَافِي بِاسْنَادِهِ عَنْ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ قَلْتُ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ «تُرِجِي مَنْ تَشَاءُ ...»؟ قَالَ : ... وَرَوَاهُ فِي الْجَمْعِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَفِي الدَّرِّ المُشَوَّرِ ٥ : ٢١٠ .

اَخْرَجَ اَبْنَ مَرْدُوْيَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ عَنْ خُوَلَةِ بْنِتِ الْحَكِيمِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تَرْوِيْجَهَا فَأَرْجَاهَا فِيمَنِ ارْجَا مِنْ نِسَاءٍ .

(٢) الْمَصْدَرُ ٢٩٤ ح ١٩١ الْقَمِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ...

(٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَيْلَا (٣٨) .

(٣) «إِنْ تَشَوَّبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِرْبَلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهَيْرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِنَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَبِيَّاتٍ وَأَنْكَارًا» .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦٦)

: ١) تبيينا لما خالفت رضاهن رضى الله.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبْدِلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا

مَلَكَتْ يَمِينَكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (٥٢)

من قبل لحد الآن أحلت له النساء المسلمات المذكورات وما ملكت يمينه مما أفاء الله

عليه وأحل له ان يبدل بمن من ازواج : ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾

إحلال الزواج دون حد ، وإحلال التبديل بمن دون حد ، ومن الآن ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ

بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبْدِلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ..﴾ فهل يعني من النساء كل النساء ، ومن بعد الآن ﴿لَا

يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبْدِلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ..﴾ فهل يعني النساء كل النساء ، ومن

بعد الآن ، فلا يحل له اي زواج جديد ولا التبديل بأزواجها من ازواج؟ فلتكن هذه الآية نازلة

بعد فترة من الزمن بامكانه ان يستنكر فيها التي وهبت له نفسها ، وان يتزوج من قرياته

الأربع ، فصلا هكذا في نزولها دون وصل ، حيث الوصل يقضي على حكم الأصل!

فلا يحل لك النساء من بعد هذه التسع اللاتي عندك الآن ولا التبديل بمن من ازواج ،

اللهم الا طلاقا دون تبديل ، وقد مات عن هذه التسع لم يزد عليهم ولم ينقص عنهن ولا

استبدل بمن !

او يعني النساء من بعد هذه الأوصاف منذ الإحلال وحتى متى؟ ولكنها يتطلب اضافة

تبين هذا الموقف الخاص وبعد د . «من بعدهن . او . من بعد هذه الصفات» ومن بعيد ان

يعني من بعد مجرد مقيدا هكذا او ذاك!

ثم التبديل بمن من ازواج قسم من الزواج الجديد يستأصل اي

زواج مثلهن وسواهن ، وهذه مرحلة ثانية من تحرير الأزواج من بعد ، بعد الاولى المطلقة التي قد يفل منها التبدل ، فليصرح به استصالا لاي زواج بعد حتى وان طلقهن كلهم ويقى بلا ازواج!

او يعني النساء المحرمات في آية النساء **﴿خُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾**<sup>(١)</sup> ولم تذكر هنا من قبل حتى تعنيهن «من بعد»! ولا أن حرمتهن «لك» كحكم يخصه دون الأمة! ثم لا معنى صالحا إذا ل . **﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾** حيث المحرمات في آية النساء لم يكن مخللات في اي زمان في نكاح جديد او استبدال ، والروايات الواردة هنا مما تخير العقول ولا تصلح محولة ل . **﴿لَا يَحِلُّ ..﴾** عن نصها وظاهرها مهما بلغت ما بلغت من كثرة!<sup>(٢)</sup> كالتى تفسر **﴿أَنْ تَبَدَّلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾** بمبادلة الأزواج فوضى دون زواج ، فانما كانت سنة جاهلية قضى عليها الإسلام منذ بزوغه بسنة الزواج على شروطه ، فهل كان النبي يجادل هكذا ازواج

(١). نور النقلين ٤ : ٢٩٤ ح ١٩٣ في الكافي باسناده عن أبي بكر المضري عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل : **﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ﴾** فقال (عليه السلام) : انما عنى به لا يحل النساء التي حرم الله عليك في هذه الآية **﴿خُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾** ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له لأن أحدكم يستبدل كلما أرادوا ولكن الأمر ليس كما يقولون ان الله أحل لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينكح من النساء ما أراد الا ما حرم في هذه الآية في سورة النساء .

أقول وروى ما في معناه عن الحلبى عن أبي عبد الله (عليه السلام) وعن أبي بصير عنه (عليه السلام) بنفس الدليل ، ولكنه تعالى قد أحل للامة الا يصلوا صلاة الليل ، ولم يحل له تركها الى غير ذلك من مفارقات في مخللات ومحرمات فلا مورد لاستنكاره ، ثم تحويل «من بعد» هنا الى ما بعد آية النساء كاللغز ولا يقبل على كتاب الله وان تواترت به الرواية .

قبل التحريم حتى يرد نصه له خاصا دون المسلمين : ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ هِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾  
سبحانك اللهم هذا بھتان عظيم!

وترى كيف يعجب الرسول حسن نساء قبل أن يتزوج بھن او ان يراهن وليس لي رى غير ذوات محرم؟ انها رؤية لارادة التزويج ، محللة قدر الحاجة من معرفة الزوج من جمالها ، وبطبيعة الحال يعجبه حسنها ان كانت جميلة ، قضية تمييز الجميلة عن القبيحة لکل انسان وله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) أھرى فيما يحل.

فكما لم يكن عدد النساء الالاتي يحل لها زواجهن غير محمد ، لسياسة رسالية وحكمة تخصه ، كذلك تحرم عليه النساء من ذلك التحليل الواسع لنفس الحكمة والسياسة ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكْتُ يَمْيِنُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النِّسَاءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فِيْ إِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ حَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ

وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُعْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا (٥٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا إِرْرَاجِكَ وَبَنَاتَكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِحُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنَغْرِيَنَّكَ بِهِمْ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونُونَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخِدُوا وَقْتَنُوا تَقْبِيلًا (٦١) سُنَّةُ اللَّهِ فِي الدِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

تممة من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا يدخل بيته حتى باستئذان **إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ** رعاية لأوقاته الشريفة أن تحدى بلقاءات وزيارات لا تعني عنابة جماهيرية لصالح المسلمين وكما عننته آية النجوى ، وحفظا زائدا على أهل بيته.

يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْبِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْبِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِفْلُوِيْكُمْ وَقُلُوِيْهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ ثُبُّدوْ شَيْئًا أَوْ تُخْفُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَلَا أَبْنائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْناءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْناءَ أَخْوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِيْنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧)

على الامة له (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أدب الحضور في المأصل صلاة عليه وسلاما ، وواجب التسليم له وكما ياتي في آية الصلاة والتسليم ، وعليهم كذلك له ادب الحضور في الخلا ألا يؤذوه بالدخول إلا باذنه بدائيا دونما استئذان ، وباطالة الجلوس إذا دعوا :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوكُمْ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّمَا  
وَلَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِيْنَ حَدِيْثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي  
النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسُئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ  
حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقْلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ  
مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيْمًا﴾ (٥٣).

هذه الآية تتضمن آداباً كانت الجاهلية تخالفها ، دخولاً في البيوت دونما استئذان ولا سيما بيت النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) إذ كان مهبط الوحي ومنزل الرحمة ، يعتبرونه مأواهم في كل وقت ، وبيوتحم للأكل ، ويطلبون الجلوس والاستئناس لحديث بعد الأكل ، مما كان يؤذي النبي ويستحيي منهم إن صارحهم بنهيته ، وعادة العرب احترام واستقبال الضيوف حتى إذا كانوا أعداء ، ولكنها النبي لمكانته من رسالته يختلف عن سائر الناس في كيفية عشرته وصرف أوقاته ، فمنزلته الكريمة من ناحية ، وعبأه في بلاغه من أخرى ، يتطلبان له فراغاً لتطبيق واجبه الرسالي أكثر من سواه ،

ف . ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ إذن

بدائي دونما استئذان فانه يتحرج ويستحيي إذا استأذن ألا يأذن! ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾! وقد تلمح ﴿غَيْرُ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ عدم السماح لانتظار وقت الإذن والسماح ، حتى يكون هو الذي يأذن دونما انتظار ولا استئذان ل الطعام وسواه.

وترى الإذن يخص اذنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) . وبطبيعة الحال . فانه صاحب البيت واهله؟ فلما ذا ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُم﴾ دون أن «يأذن»! علّه ليشمل موارد الضرورة ، فانها إذن من الله قدر الضرورة ويفقى واجب الاستئذان لأجل النظر وتحقيق الاستقبال فهنا يجوز الاستئذان فضلا عن نظرة الإذن ، لا أن يدخل دون صريح الإذن ، فانه محظوظ في سائر البيوت ولبيت النبي فضله عليها! وعل «الى طعام» ليس تخصيصا بطعم ، فإذا أذن لغير طعام ، لأمر أهم أم اذا؟ فلا دخول! وإنما تضيقا لدائرة الدخول الى بيت النبي بدء باقله «ال الطعام» وإشارة الى ما فوقه. وقليل من هم الذين يدخلون حاجة معرفية ، والرسول في متناولهم في اوقات الصلاة الخمسة ،

اللهم إلا لنجوى وقد حدته آيتها . وكانوا «إذا نھض الى بيته بادروه فأخذوا الجلس فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله ولا يبسط يده الى طعام مستحبها منهم فعوتبوا في ذلك<sup>(١)</sup>.

تدخلون بيته باذنه الى طعام ولكن «غير ناظرين إناه» فالنظر «الى» هو

(١) الدر المنشور ٥ : ٢١٤ . اخرج ابن سعد عن معد بن كعب قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) إذا نھض ...

الإبصار او التفكير ، وهو متعديا بنفسه كما هنا الانتظار <sup>(١)</sup>.

والإلى هو الوقت وال الساعة وال حين ، وهو النضج والإدراك ، فهو إلى اذنه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وقتا وهو طعامه وقتا ونضجا ، فليس لكم الانتظار لوقت اذنه ، تربصا ان يأذن لكم الى طعام وسواه ، إلا أن يأذن لكم «غير ناظرين إناه : نضج طعامه ام وقت إطعامه ، ولا لكم إذا دخلتم بيته باذنه لا الى طعام ان تنظروا «إناه» : ادراك طعامه ونضجه وقد لا يتهيأ لا طعامكم ، ولا لكم إذا دعاكم الى طعام ان تدخلوا إلا وقت الطعام ، لا قبله ناظرين إلى طعامه وقتا ونضجا وإدراكا ﴿ولَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوْا فَإِذَا طَعْمَتُمْ فَانْتَشِرُوْا﴾ دخولا لطعام قدر وقته لا سابقا» ﴿نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ ولا لا حقا جالسين بعد الطعام «ان ذلك كان يوذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق» <sup>(٢)</sup>.

(١) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (٧ : ٥٣) ﴿فَلَمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ..﴾ (٢ :

٢١٠) ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُوَّلِينَ﴾ (٤٣ : ٣٥) ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (٤٩ : ٣٦) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ (٤٣ : ٤٦) كل ذلك يعني الانتظار.

(٢) في الدر المثور ٥ : ٢١٣ عن انس (رضي الله عنه) قال لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام منهم من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيبي وبينه فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا ...﴾.

**﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ حِدِيثٍ﴾** قبل الطعام او بعده ام فيما ليس طعام ، أحديث بينكم أنفسكم؟ فله مجال في غير بيته! فلا تتخذوها مقهي او ناديا تستأنسون فيه بحديث او حديث بينكم وبين نساءه فأرذل وأنكى ، فما لكم والاستئناس بحديث نساءه؟! او حديث بينكم وبينه (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، تحدثونه وهو يسمع ، او يجيء عما لا يعنيكم من سؤال «ان ذلكم كان يؤذي النبي فистحي منكم والله لا يستحي من الحق» اللهم إلا سؤالاً مفروضاً ام راجحاً في شرعة الله ، وباحرى حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ام سؤالاً متاعاً تحتاجونه من نساءه لكن : **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْتَلُوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** دونما استيناس لحديث ، ولا سؤالاً راجح دون حجاب فوق حجابهن.

فآيات الحجاب لسائر الامة تخص حجاب النساء انفسهن عن الرجال الاغارب ، وهذه تختص نساء النبي بمحاب فرق الحجاب ، كرامة لبيت الرسالة وأمومة لنساءه (صلى الله عليه وآلها وسلم) فلا يواجهوهن في سؤال ام غير سؤال إلا من وراء حجاب وستر يفصل بينهم وبينهن.

**﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾** تجنبنا عن جاذبية الجنس وهن أمهاتكم «وقلوبهن» تجنبنا عن مواجهة الرجال في غير حاجة راجحة دون حجاب ، ففي المواجهات القالية اتجاهات قلبية ، وهي في الجنس محمرة ولا سيما بالنسبة لأمهات المؤمنين!. وترى إذا لم يكن الاستحياء من الحق حقاً لأن الله لا يستحي منه ، فهل النبي يستحي باطل؟ الحق المستحب منه هنا هو حقه (صلى الله عليه

وآله وسلم) الخاص القابل للسامح عنه على أذى ، وهذا من كرم أخلاقه ، ثم الله يحق حقه بكلماته ويقطع دابر المبطلين ، واما حق الله في عباده وعبادته ، وحق الخلق فيما لهم وعليهم ، فهما من حاق رسالته ، ليس ليترك شيئاً منهما استحياء ، مهما رجع بالضرر اليه ، وكما في زينب بنت جحش! كما ولا يحق له ان يستحي عن ضياع حقه في رسالته ، ام في عرضه وماليه وسائل نواميسه الواجبة الحفظ.

وكضابطة عامة لا تستثنى على اية حال ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنَا رَسُولَ اللَّهِ﴾ باي أذى معمد ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾ من بعد طلاقه او موته وكلاهما معنيان في «من بعده» إطلاقاً لـ«من بعده» لكلا البعدين في كلا البعدين : الطلاق والموت ، ولأنهما يؤذيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) على سواء ، فلم يقل بعد طلاقهن او بعد موته ، وانما «من بعده» منذ أصبح زوجاً لهن.

فلا يحل لكم نكاح أزواجه «ابداً» في اي وقت وعلى اية حال وباي نكاح ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ مدى عظمته رسول الله ورسالة الله ، فإيذاه عظيم عند الله !  
وذنب كبير قد لا يغفره الله !<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنشور ٥ : ٢١٤ . اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ ...﴾ قال : نزلت في رجل هم ان يتزوج بعض نساء النبي (ص) وعنه قال رجل لعن مات محمد لا يتزوجن عائشة فأنزل الله الآية ... وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال بلغ النبي (ص) أن رجلاً يقول : ان توفي رسول الله (ص) تزوجت فلانة من بعده فكان ذلك يؤذى النبي (ص) فنزلت واخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : بلغنا ان طلحة بن عبيد الله قال : أيخجينا محمد عن بنات عمّنا ويتزوج نساءنا من بعدها لعن حدث به حدث لتزوجن نساءه من بعده فنزلت ...

﴿إِنْ تُبَدِّلُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفِهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٥٤).

ان تبدوا شيئاً ما يؤذيه من نكاح ازواجه إما ذا من إيناده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ قبل نية الإبداء وبعدها ، قبل الإبداء وبعده «بكل شيء» من هذه وتلك «علیما» فعمن تحفونه ما تحفونه؟

ومهما جاز دخول بيوت الأمة باستثنان ل الطعام وسواء فلا يجوز دخول بيوت النبي

﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ ... وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ حِدَيثٍ﴾ حيث المطلبات

الرسالية تضيق عليه أوقاته الشريفة فلا يسع ان يضيفكم او يطيل الجلوس في مجلسكم.

وهكذا تكون السنة فيمن يحذو حذو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ

لَكُمْ﴾ إذ يجوز دخول سائر البيوت باستثنان ، ولكن بشرط ظاهر الرضا ، واما الأذن عن

استحياء ، او الأكل او طول المكوث ، فلا يسمح باي تصرف فانه دون رضى مهما لفظ

باذن ، وعليينا ان نعيش واقعيين ، بعيدين عن عشرة التخجيل والاستحياء ، فلا نستحي في

الحق ولا نجعل الناس في استحياء ، فشرّ الإخوان من تكلف له.

آية السؤال من وراء حجاب هي اولى آيات الحجاب ، ابتداء بيت النبي كما في

روايات ولكن :

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ

أَخْوَاهُنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدًا﴾ (٥٥).

أتري لماذا هنا يستثنى عن عموم فرض الحجاب . فقط . هؤلاء المذكورون ، ويترك

الأعمام والأخوال كأنهم ليسوا من المحارم؟ ليس هنا

فرض الحجاب الأصل ، والأعمام والأخوال بعد من سائر المحارم فليظلوا هناك في عموم الحظر.

أم لعل آية النور متأخرة النزول عن آية الأحزاب كما تقتضيه طبيعة التكليف ، فهي تعم الاستثناء بعد اختصاصه.

ثم «نسائهم» هنا و **﴿ما مَلَكْتُ أَيْمَانُهُنَّ﴾** هن كما في النور ، نساء مؤمنات ، وإماء مؤمنات.

**﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾** (٥٦).

آية منقطعة النظير ، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات ، من الله إنزالا ، ومن الملائكة والذين آمنوا استنزلوا ، ثم **﴿وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾** له مطلقا دون شرط ، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط ! وain تذهب صلاتنا والملائكة بعد صلاة الله؟ فانما يريد الله تشريفنا قرنا لصلاتنا الى صلاته ، لتكون صلات بيننا وبينه (صلى الله عليه وآلها وسلم) كما بينه وبين ربه فيرحمنا بهذه الصلاة الصلات !.

ومثلث الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى والأدنى تعني أن مقامه ارفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين.

اجل **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾** وain صلاة من صلاة ، حيث هذه تخربنا من الظلمات الى النور ولكنما النبي هو نور في حالات وهالات من النور : **﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾** (١٥ : ٥) فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور ، ولأن الكتاب متجسد في روحه حيث كان خلقا القرآن فهو إذا نور على نور !

فلا تعني صلوات الله عليه إلّا دوام تسديده بعصمة فائقه ، وإنعام نوره

معرفة و عملاً وكما أمره ﴿وَقُلْ رَبِّ زَدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٦١ : ٨) ﴿فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ..﴾ (٣٩ : ٢٢).

رحمات الله ليست لها نهايات ، فلتواصل على أفضل البريات وغاية الغايات ، وقد تكفيه صلوات الله سلباً لما يتربصه من دوائر السوء ، وإيجاباً لما يليقه من مقامات الخير ، فما هي حاجته إلى صلوات ملائكة الله وصلواتنا ، إلّا حاجاتهم و حاجاتنا ، لهم ترفعوا لمقاماتهم ، ولنا غفراناً لذنبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار ، فـ «بالصلاحة تتallow الرحمة»<sup>(١)</sup> مهما زادته (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة على رحمة . ولكنها لنا عون ونجاح الطلبة: فـ «صل على محمد وآلـه صلاة دائمة لا انقطاع لأبدـها ولا منتهاي لأمـدها واجعل ذلك عونـا لي وسبـبا لنـجاح طلبـتي إنـك واسـع كـريم»<sup>(٢)</sup> فـ «قدـ كان في الله وملائكتـه كـفاية ولكن خـص المؤمنـين بذلك ليـثيـهم عـلـيـه»<sup>(٣)</sup> .

ومهما ردت دعواتـنا حيثـ لا نـأـهـل اـجـابـة ، لـقصـورـاتـنا وـتقـصـيرـاتـنا ، فـليـست لـتـردـ صـلـواتـنا عـلـى النـبـي (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ) إـذـ يـأـهـلـ ، كـمـا اللـهـ يـصـلـيـ عـلـيـهـ اـبـتـداءـ دونـ دـعـاءـ ، وـهـلـ يـقـبـلـ اللـهـ دـعـائـنـا فـيـهـ ثـمـ يـرـدـ دـعـائـنـا

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٤ في كتاب التوحيد من خطب علي (عليه السلام) وفيها : بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاحة تتallow الرحمة فأكثروا من الصلاة على نبيكم وآلـه «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...».

(٢) في الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) في طلب الحاجـات ...

(٣) الدر المنشور أخرج الأصحابي في الترغيب والديلمي عن انس (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ) : انـ أـنـجـاـكـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ مـنـ أـهـواـهـاـ وـمـوـطنـهـاـ أـشـكـمـ عـلـىـ فـيـ دـارـ الدـنـيـاـ صـلـاةـ اـنـهـ قدـ كانـ ...

فينا؟ كلا ، يا كريم ! ولكن شرط ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وكما سلم لربه تسليما ، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة .

فمن آداب الدعاء وشروط استجابة الدعاء ان تتوسط الصلاة على النبي وآلته وكما نراه في صحيفة الامام السجاد (عليه السلام) : وعن الامام علي (عليه السلام) «ما من دعاء إلا وبين السماء حجاب الى ان يدعوا محمد وآل محمد» (١) .

عرفنا الصلاة عليه ، فهل التسليم كما الصلاة ايضا عليه ، ان نقول : السلام عليك؟ ام التسليم له ، استسلاما لأمره ومطاوعة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟ (٢)

عله يعنيهما ولا سيما التسليم له وهو الأهم الأتم ، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لا تحمل لا «له» ولا «عليه» فلتتحمل التسليمين معا ، والتسليم له هو الشرط الأصيل للإيمان ، وشرط اجابة الدعاء ، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ! ومن التسليم له ان نصلی عليه كما امر : «اللهم صل على محمد وآل محمد ..» لا الصلاة البتراء كما نحن : لا تصلوا على الصلاة البتراء : اللهم صل على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه (صلى الله على محمد وآل محمد) ما لا تخصى بزيادة الآل ، والاكثريه الساحقة من المسلمين تعوّدوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء ، ام إذا زادوا الآل رددوا بهم ازواج النبي

(١) الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه (عليه السلام) ورواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة (عليه السلام)

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محسن البرقي عن محمد بن سنان عمن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية : اثنوا عليه وسلموا له .

وأصحابه ، فهم بين نقيبة بترا وزيادة بترا والله منهما والرسول براء !

لقد اخرج الحفاظ والمصنفوون والمحثون والمفسرون ما يصعب إحصاؤه<sup>(١)</sup> عن عدد من

الصحابة كالأمام علي (عليه السلام) <sup>(٢)</sup> وابن

(١) ومن أورده محمد بن إدريس الشافعى في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلى عليه وكذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الأول ص ٣٥١ والحاكم في مستدركه ٣ : ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وابو نعيم الاصفهانى في اخبار اصفهان ١ : ١٣١ ويوفى بن عبد البر الاندلسي في تحرير التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦ : ٢١٦ والواحدى النيسابوري في اسباب النزول ص ٢٧١ والبغوى في معالم التنزيل والتعليق في تفسيره والحموينى في فرائده وابو نعيم في الخلية والديلمى في الفردوس والسمعاني في مناقب الصحابة وابن العربي الاندلسى في احكام القرآن ١ : ١٨٤ والرازى في تفسيره الكبير ٢٥ : ٢٢٦ والذهبي في تلخيص المستدرك والقرطى في تفسيره ٤ : ٢٣٤ . ٢٣٣ ومحب الدين الطبرى في ذخائر العقى ص ١٩ ومحى الدين يحيى بن شرف النووى في رياض الصالحين ص ٤٥٥ والطبرى في تفسيره ٢٢ : ٢٧ وابن كثير في تفسيره وابو حيان الاندلسى في البحر الخيط ٧ : ٢٤٨ والدشتکي الشيرازى المروي في روضة الأحباب في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحمد بن إدريس المندى الكاندھلوي الحنفى في التعليق الصريح في شرح المصايدح ١ : ٤٠١ والحدث السيد ابراهيم نقىب مصر في البيان والتعریف ٣ : ١٣٤ والخازن في تفسيره ٥ : ٣٢٦ وجلال الدين السيوطي الشافعى في بغية الدعاة ص ٤٤٢ وفي الدر المشور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروي عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والهيثمى في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن پیر على افندى البرکوئي في الأربعين حديثا ص ٢٦٤ والمیر محمد صالح الكشفي الترمذى في مناقب مرتضوى ص ٤٥ والشوکانى في فتح الغدير ٤ : ٢٩٣ والالوسي في روح المعانى ٢٢ : ٧٣ وابو بكر العلوى الحضرمي في رشفة الصادى ص ٣٤ و ٢٩ والجاوى في القول الفصل ٣ : ٣٧٢ (ملحقات احقاق الحق ٣ : ٢٧١ . ٢٥٢).

(٢) أخرجه عنه ابن أبي شيبة واحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

عباس<sup>(١)</sup> وأبي سعيد الخدري<sup>(٢)</sup> وأبي طالب<sup>(٣)</sup> وابن أبي مسعود<sup>(٤)</sup> وانس بن مالك<sup>(٥)</sup>  
وكعب بن عجرة<sup>(٦)</sup> وطلحة<sup>(٧)</sup> وعبد الله بن طلحة<sup>(٨)</sup> وابراهيم<sup>(٩)</sup> وأبي هريرة<sup>(١٠)</sup> وبشير بن  
سعد<sup>(١١)</sup> وأبي مسعود الانصاري<sup>(١٢)</sup>

(١) أخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال : ان الله وملائكته الآية قال : أأنني من سمع ابن عباس يقول هكذا انزل فقالوا يا رسول الله قد علمتنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا :

...

(٢) أخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجة وبن مروي.

(٣) أخرجه عنه ابن مروي.

(٤) أخرجه عنه . فيمن أخرجه . ابن جرير.

(٥) من أخرجه عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مروي عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ قيلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد علمتنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آن إبراهيم انك حميد مجيد وبارك واخذ مثله عنه عبد الرزاق وابن شيبة واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجة.

(٦) أخرجه عنه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والنمسائى وابن أبي عاصم والهيثم بن كلوب الشاشى وابن مروي وابن جرير .

(٧) أخرجه عنه ابو داود وابن مروي والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنمسائى والبخاري في الأدب المفرد.

(٨) أخرجه عنه ابن سعد واحمد والنمسائى وابن مروي.

(٩) أخرجه عنه ابن جرير.

(١٠) أخرجه عنه فيمن اخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابو داود والترمذى والنمسائى وابن مروي وابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

(١١) أخرجه عنه احمد وعبد بن حميد وابن مروي.

(١٢) أخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنمسائى وابن .

وأبي حمبة الساعدي<sup>(١)</sup> وام سلمة<sup>(٢)</sup> وأئمة اهل البيت (عليه السلام) كافة عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) قوله : «تقولون : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم تسلمون علي» وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفاظ على الأصل : ان الصلاة على آل محمد لزام الصلاة عليه (صلى الله عليه وآلها وسلم).

وقد يلمح وصف الخطاب **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** ان الصلاة عليه والتسليم له من لوازم الایمان ، اجل وكما الصلاة لله مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد!

ان التسليم له (صلى الله عليه وآلها وسلم) مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الایمانية ، ثم الصلاة عليه وآلها من واجبات التشهد ، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة ، فلو لا الصلاة عليه فلا صلاة ، مهما كان التسليم عليه ندبا دون فرض.

وهل تجحب الصلاة عليه دائما دونما انقطاع؟ وهو حرج قاض على كافة الواجبات اللغوية حتى الصلاة! وكيف تربوا الصلاة عليه الصلاة لله! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة! ام وكلما ذكر كما في متظاير

. ماجة وابن مردويه.

(١) أخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنمسائي وابن ماجة وابن مردويه.

(٢) محمد بن إدريس الشافعى في مسنده أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة انه قال : يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) كيف نصلي عليك؟ فقال : تقولون ...

**الروايات<sup>(١)</sup> وكلما تدعوا استجابة لدعائكم<sup>(٢)</sup> وكلما تذكر ربكم<sup>(٣)</sup> فلتعش**

(١) المصدر اخرج الطبراني وابن مردوحه وابن النجاشي عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله : إن الله وملائكته يصلون على النبي؟ قال : ان هذا من المكتوم ولو لا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملائكة لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملائكة آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملائكة آمين «أقول : آمين من الله الاخبار عن الاستجابة لا دعائهما وفيه اخرج احمد والترمذى عن الحسين بن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي واخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قالا قال رسول الله (ص) من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة أقول : يعني به التناسى والتساهل.

واخرج البيهقي في الشعب عن انس (رض) قال قال رسول الله (ص) اتاني جبرئيل فقال : رغم انف امرى ذكرت عنده فلم يصل عليك واصدر القاضي إسماعيل عن الحسن (رض) قال قال رسول الله (ص) كفى به شحنا ان يذكرني قوم فلا يصلون علي .

وفي نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٠ في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن أبي جعفر (ع) انه قال : وصل على النبي (ص) كلما ذكرته او ذكره ذاكر عندك في أذان او غيره .

(٢) المصدر اخرج عبد الرزاق عن ابن عينية قال اخربني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتاني آت من ربي فقال : لا يصلني عليك عبد الا صلني الله عليه عشرة فتقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! ألا اجعل نصف دعائي لك؟ قال : ان شئت قال : الا اجعل كل دعائي لك؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة .

(٣) المصدر اخرج الترمذى وحسنة عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) .

ذكر الله ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله (١) وكما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين!

اما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة ، ويليه على أشرف الواجب كلما ذكر ، ثم وسائل الصلاة عليه سنة ، فصلوات الله عليه وعلى آله ما طلعت الشمس وغابت (٢) وواجب التسليم له (صلى الله عليه وآلها وسلم) يشمل كل حياة التكليف في حياته (صلى الله عليه وآلها وسلم) وبعد مماته (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكذلك سنة التسليم عليه فانه

. وسلم) قال : ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفيه اخرج البيهقي في شعب الایمان عن جابر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي الا قاموا عن انتن جيفة.

(١) المصدر اخرج الترمذى وحسنة وابن حبان عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : اولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم على صلاة .

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠١ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للملائكة عن محض الإسلام وشرائع الدين «والصلاحة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبائح وغير ذلك وفي الحصول عن الأعمش عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : هذه شرائع الدين . الى ان قال : . والصلاحة على النبي واجبة في كل المواطن وعند العطاس والربا وغير ذلك أقول عليه يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الشبهات فرضها ونفي ، وفي ثواب الأفعال عن أبي المعزا قال سمعت أبا الحسن (ع) يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل ان يثنى رجليه او يكلم أحدا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ اللهم صل على محمد وذراته قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة .

المجتب ميتا كما يحيب حيا<sup>(١)</sup> ثم الصلاة عليه في صلاة وسوها فانه يسمع سلامنا وصلاتنا دون ان تقدر بلا جواب وصواب او ثواب!<sup>(٢)</sup>.

ولان الصلاة عليه احسن هدية اليه وهو أحق من يهدى اليه فقولوا : «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقيين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجید»<sup>(٣)</sup> وكما قال (صلى الله عليه وآلله وسلم) اللهم صل على محمد وأبلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته ، وفي المقربين مودته ، وفي عليين ذكره وداره ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم

. الملائكة تركية منهم له وصلة المؤمنين دعاء منهم له .

(١) المصدر اخرج البيهقي في الشعب والمخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم): من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا كفى امر دنياه وآخرته وكتب له شهيدا وشفيعا يوم القيمة وعنده قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم): أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانها معروضة على .

(٢) المصدر اخرج البيهقي في شعب الایمان وابن عساكر وابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أقربكم مني يوم القيمة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائه مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكيل الله بذلك ملكا يدخله في قبرى كما يدخل عليكم المدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبة الى عشرة فأثبته عندي في صحيفة بيضاء .

(٣) الدر المنشور ٥ : ٢١٩ . اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال : إذا صلتم على النبي (صلى الله عليه وآلله وسلم) فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدركون لعل ذلك يعرض عليه قالوا : فعلمّنا قال : قولوا ...

انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد»<sup>(١)</sup>.

وأخص صلاة عليه «اللهم صل على محمد وآلـه» يكتفى بما حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية ، ثم «وآلـمحمد» كلما ذكر ، ثم أحسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع فيسائر الحالات وال مجالات وكما في صلاة الجمعة والميت.

ومن اللمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لما مات ، وكما صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي<sup>(٢)</sup> فصلوات الله عليه حيا وصلوات الله عليه حين مات وصلوات الله عليه مدى الدهر ، كما ومن التسليم له التسليم ملن وصاه بأمر الله<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر اخرج ابن مرويـه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلـي عليك قال : ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٣ ح في اصول الكافي عن أبي مرِيم الانصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قلت له كيف كانت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم)? قال : لما غسله امير المؤمنين (عليه السلام) وكسنه وسجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف امير المؤمنين (عليه السلام) في وسطهم وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ فيقوم القوم كما يقول حتى صلـي عليه اهل المدينة واهل العوالي وفيه عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما قبض النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) صلت عليه الملائكة والملائكة والمجاهرون والأنصار فوجا فوجا قال وقال امير المؤمنين (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يقول في صحته وسلامته : انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ أقول : يعني انما تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي.

(٣) المصدر ٣٠٥ : ٢٣٤ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) فاما ما علمه الجاـهل والعالم من فضل رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) من كتاب الله فهو قول الله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ وهذه الآية ظاهر وباطن ، فالظاهر قوله «صلـوا عليه» والباطن قوله ﴿وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ اي سلموا ملن وصاه واستختلفـه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليـما وهذا ما أخبرتك انه لا يعلم تأويـله الا من لطف حسـنه وصفـي ذـنه وصحـقـيهـه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَ اللَّهُ عَذَابًا مُهِينًا﴾ . (٥٧)

إيذاء الله ورسوله لا تحمله إلا هذه الآية ، وقرن الرسول في إيذاءه بالله ما يؤذون ان في إيذاء الرسول إيذاء الله ،凡 انه يحمل رسالة الله ، فايذاءه كرسول إيذاء للمرسل ، واين إيذاء من إيذاء؟

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه ، انتقادا من ساحتته وتکديرا لقلبه ، وتكوينها لنوره ، فهو يتغير بما يغيرون ويتأثر بما يتقولون ويفتعلون : ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُنَ قُلْ أَذْنُ حَبْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩ : ٦١).

ف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٣٣ : ٦٩).

أتري الواقعية في اهل بيت الرسول (عليهم أفضل الصلوات) وشكيمتهم لا تؤذيه؟

او ان سن السباب على أخيه وخليفة علي امير المؤمنين (عليه السلام) لا يؤذيه؟

ام إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه؟

سلوا حال المؤمنين وأهمهم امن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاد كبده وركلوهم ، هل

إن هذه تفرجه ام تؤذيه ف ﴿لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَ اللَّهُ عَذَابًا مُهِينًا﴾ !

ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء ، إذ لا يتغير بانغيار المخلوقين ، فايذاءه أبدا من

هذه المتشابهات مجرد عما للخلق من تأثر وتغير ، ويستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في

تحرير خلو عن اي تعديل ، فكما ان

غضب الله عذابه ، كذلك ايذاءه من موجبات عذابه.

وما أشنعه وأبغضه وهم يحاولون أذى ربهم وما هم ببالغيه ولو بشق الأنفس ، وإنما ذلك تعبير يصور حساسية مرهفة بإيذاء الرسول ، وكأنما هو إيذاء الله ، كما وإجاعة المؤمن كأنها إجاعة الله ، أما إذا من تعابير تصوّر فضاضة الفعل وهزازته في ميزان الله ، وكأنها واصلة إلى الله! ثم ومن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستطرد إلى المؤمنين :

**﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًاً وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾** (٥٨).

قد يكتسب المؤمن ذنبنا بحق الله او الخلق فيؤذى جدا او تعزيرا كما حدد في شرعة الله ، او يعتدى عليه كما اعتدى ، وأما أذاهم بغیر ما اكتسبوا في براءة متأكدة ، ام جريمة غير ثابتة فإنها احتمال لحملين اثنين.

١ - **﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾** حيث الأذى من مؤمن الى مؤمن تنادي في ظاهر الحال انه اكتسب إثما به يؤذى ، فريبة عملية وبهتة فعليه.

٢ - **﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾** في اصل الإيذاء شكيمة له وتحسسا منه ، قد يختلف ما لا تحمد عقباه ، وهكذا تكون الأذى قوليا بقالة السوء عنهم ، واساعنة التهم ضدهم ، ثم ويلاه الجمع بين قالة وفعلة مؤذية ، وكما افتعلوها باهل بيت الرسالة القدسية ومن نحی نحوه من الكتلة اليمانية <sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٦ ح ٢٤١ عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) إذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الصدور لاوليائي فيقوم قوم ليس على .

قضية اليمان هي الرحمة الى اهله ، وقضية الالامان الشخص إيذاء إلهه ، وبينهما عوan لا رحمة ولا أذى هو من ضعفاء اليمان ، غير الملتزمين بقضايا اليمان ولزاماته.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا إِرْواجِلَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (٥٩).

كما تحرم أذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، كذلك يحرم التعرض للأذى بتهيئة أسبابها ، وذلك في بعديه بالنسبة للمؤمنات اشد وأنكى ، فعلى نساء المؤمنين إماء وحرائر

(١) ما دمن مؤمنات ان يذين عليهن من جلابيبهن : الملابس الشاملة قرن ذيل ، فلا يرسلنها مبسوطة ترى زينهن من خالها ، فهناك حجاب لروعهن هي الخمر : **﴿وَلِيَضْرِبُنَّ إِخْمَرِهِنَّ عَلَى جُبُوْهِنَّ﴾** سترا للصدور والثدي الشغور ، وهنا حجاب لسائر أبدانهن هي الجلابيب : **﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾** وكما جاء في «بخرهن» تلمح بتبعض الحجاب في روعهن فلا يشمل وجوههن ، كذلك «من» في «من جلابيبهن» والوجوه هي اقل تقدير من الخارج عن فرض حجابهن ، ثم اليدان والرجلان وكما في منظار الأحاديث.

. وجوههم لم فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم عاندوهم وعنفهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم و ٢٤٢ في الحصول عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : الناس رجال مؤمن وجاهل فلا تؤذي المؤمن ولا تتجهل على الجاهل فتكون مثله والقمي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من بحث مؤمنا او مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرج بما قال.

(١) هنا روایات وردت في الدر المنشور ان هذا الفرض يخص الحرائر ، فهل ان الإمام المؤمنات لا باس في إيزائهن والتعرض للإيذاء؟ هذه خرافة طبقية قومية تجنب عنها ساحة الإسلام.

«ذلك» الإذناء دون إرسال ، ﴿أَدْنِي أَنْ يُعْرَفْ﴾ بالعفاف ﴿فَلَا يُؤْذِنَ﴾ فالمرأة المكشوفة ، المسترسلة المبتذلة تؤذى زعم أنها من أهل التوّس ، فلتظهر العفيفه بمظاهر العفاف كيلا تؤذى ، زعم الباطل بحقها.

إن أذى القالة فيهن ومن ثم متابعتهن إلى الفعلة فيهن من قبل الفساق وأضرابهم ، هي من مخلفات عدم حجابهن كما يجب ، إذ لا يعرف بالعفاف حيث لا ظاهرة له ، فكما يفرض عليهم عفاف الباطن كيلا ينجذبن بجواذب من سراق الجنس ، كذلك عليهن آياته الظاهرة من حجاب وسائر الملامح كيلا يخيلي فيهن عدم العفاف.

فإذا تحجبت بكمالها ولكنها تغنجت وأبرزت حركات وقولات تدل على سخافتها فقد عرفت بعدم العفاف ، فلم ينفعها الحجاب . إذا . إلا هزء بكل حجاب ، وهي اشر من لا تحجب وليس عليها ملامح عدم العفاف إلا عدم الحجاب ، وخير منها غير المحتجة التي تلمع بعفافها قوله وفعلة وفي حركات وتصيرفات ، ولكنما الواجب على المؤمنة الجمع بين العفافين منعا لإثارة الجنس واستثارته ، فمهما عرفت بالعفاف فلا يؤذيها الفساق ، ففي تبرّجها او عدم الحجاب تأذى المؤمنين وتبدل المؤمنات !

وقد يبدو من ملامح آية الجلابيب . وكما تؤيده الروايات . أنها اولى آيات الحجاب ، حيث تكتفي بـ «ادنى» ان يعرفن فلا يؤذين «كحكمة اولى هي أقوى الحكم لفرض الحجاب ، ومن ثم آية النور ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا ... وَلَيَضْرِبُنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُونِهِنَّ ... وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيَنَ مِنْ زِينَهِنَّ ...﴾ تفرض حجابا فوق الحجاب ، وبصورة مطلقة تحلق على «ان يعرفن» او لا يعرفن ، او ذين ام لا يؤذين ، حيث الحجاب الإسلامي على النساء تتبناه حكم عدة أولاهما وأولاهما ﴿أَنْ يُعْرَفْ فَلَا يُؤْذَنَ﴾.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغَرِّنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠).

تمجيد شديد يعم المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، منهم كأنفسهم ومن سواهم من المشركين ام ضعفاء اليمان المستغلين ، كذلك والمرجفون في المدينة أية رجفة ضد الطمانينة الإسلامية.

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُوا ﴿لَنُغَرِّنَّكَ بِهِمْ﴾ : نحرضنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ فيها بعد ذلك التحرير «إلا قليلا» من الوقت ، او قليلا منهم هم اقل إرجافا وإرهافا ، ومن ذلك التحرير الحكم الصارم :

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقْفِعُوا أَخْدُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ (٦١).

«ملعونين» في حساب الله إذ لعنهم الله و «ملعونين» بين المؤمنين بالله إذ عليهم طردتهم وعزلهم عن جو اليمان كيلا يكدرؤه ويقدروه.

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقْفِعُوا﴾ و ﴿أَيْنَمَا تُقْفِعُوا أَخْدُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ فآخر الدواء الكي حين لا يكفي طردتهم بأسمهم.

﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَلَئِنْ تَحْدِدْ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢).

سنة دائبة إلهية ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ﴾ مؤمنين وسواهم ، طردا وقتلا للمرجفين ضد الرسل والرسالات الإلهية ، وواجبها جماهيريا للكتلة المؤمنة أن يطهروا الأجواء حسب المستطاع من المرجفين ﴿وَلَئِنْ تَحْدِدْ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

وليس التقية في ظروفها تبديلا لهذه السنة السنية ، حيث التكليف مرفوع عندها ، وانما تطبق هذه السنة عند الاستطاعة حسب المستطاع.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ  
قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا  
نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُنَقَّلُ بُوْحُوهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا (٦٦)  
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا (٦٧) رَبَّنَا أَكْنِمْ ضِعْفَنِينَ مِنَ الْعَذَابِ  
وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا  
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُهُمُ الْأُثُرَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصلِحُ لَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيَعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣).

سؤال عن وقت الساعة تعنتا لها ونكرانا ، كأنها حين لا جواب عنه فلا حقيقة لها ، والجواب الحاسم ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ولا جواب سواه إلا ترجي قرها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ عل البداية هي خلق هذا الإنسان حيث السائلون هم من هذا النسل فلا يعرفون مدى قرها إلا بعرفة البداية ، أم هي بداية خلق المكلفين قبل هذا الإنسان ، فقرها يطمئنا ان الأكثر أيا كان لقد مضى ، وعلى اية حال :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤) **خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَحِدُونَ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٥).**

السعير نار شديدة الحرارة والربانية ، وهي من مظاهر اللعنة الاخروية ، **خالِدِينَ فِيهَا** اللعنة بمطلق الخلود الذي فيه خروج ، او الخلود المطلق الذي ليس فيه خروج ، والخلود . أيما كان . يخص الكافرين ، واما سواهم من يستحق العذاب ، فعذاب البرزخ ، ثم الشفاعة في القيمة ، ثم مس سقر دون خلود ، اللهم الا من هو كالكافر المعاندين ، كما ومن الكفار من لا يخلد او لا يعذب وهم القاصرون.

﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦).  
**﴿تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ﴾** عما كانت يوم الدنيا الى حقائقها النحسة الكالحة ، وتقلب» حال بعد حال في سيئات الأحوال ، و «تقلب» من جهة على النار كاللحم يشوى ، والى سائر التقلبات السوء هناك حسب سوء التقلبات هنا جزاء وفاقا.

ثم «يا ليتنا» التحسن الدائب عذاب فوق العذاب ، كما :

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّيِّلَ﴾ (٦٧).

وهي مقالة الأتباع ، حيث الكافرين يعمهم والمتبعين ولكل خلود ،مهما اختلف خلود عن خلود وهذه القيلة لهم حيلة كأنها لهم عاذرة عن كفرهم ، ام مخفقة عن عذابهم ، واما مضاعفة العذاب لمضلليهم فهو لا محالة واقع :

﴿رَبَّنَا آتَيْنَا ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٦٨).

مهما لا يستجابون ككل ، فقد يضاعف لهم العذاب ، واخرى ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلِكُنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٨ : ٧) مهما اختلف ضعف عن ضعف ، فضعف المضللين لضلالهم واضلالهم ، وضعف المضللين لضلالهم وتخاذلهم في اتباعهم! .  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٦٩) .

هذه اذية خاصة فيها فرية وتحمة لمكان ﴿فَبَرَأَ اللَّهُ﴾ مهما كانت مطلق الاذية محمرة :  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ..﴾ ولكن اذية الفرية هي العن وأنكى .

ول ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣٨ : ٣٢) فضلا عن الرسل ، فلا تبقى فرية على رسول إلا مبرئه بما وعد الله ، مهما طالت المدة او قصرت ، ومهما مضت على الفرية روح فالمتهم هو الوجاهة عند الله ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ .

وما آذوا النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) هي قصة الإفك ، وقصة حليلة زيد ، وقد برأ الله في اذاعة قرآنية خالدة ، كما براء موسى مما نسبوا اليه من فاحشة ﴿فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ .

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١).**

القول السديد هو شديد السداد حيث يسدّ عنه تخلفه عن العقيدة فانه نفاق ، او تخلفه عن الواقع فهو كذب ، او تخلفه عما يعنيه فهو لغو ، فليسـدّ عن اقوال المؤمنين كافة التغرات والنوافذ الى باطل ، وهذا من مخلفات تقوى الله ، إذ تشمل القول الى العمل الى الاعتقاد.

والقول السديد يصلح الأعمال ، وهو ذريعة لغفر الذنوب ، ثم القول السديد وصالح العمل هما طاعة الله الرسول ، وهي الفوز العظيم .

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُوهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٧٣).

آية الامانة هذه منقطعة النظير في عرض الأمانة على الكون كله فإذا بها عن حملها والإشراق منها وان الإنسان حملها ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فما هي تلك الامانة وما هو عرضها وحملها والاباء عن حملها؟

الامانة . بوجه عام . هي كل ما يؤمن عليه ويطمئن به مالا او حالا او عملا إما ذا من واجب الأداء الى أهلها كما اؤتمنت وحيث وائي وكيفما ، ولا تصدق الأمانة إلا فيما قبلت طوعا او كرها فأداء لها ام خيانة فيها ، واما التي لم تقبل حتى يؤمن عليها فتؤدي او تخان ، فلا تحمل اسم الامانة مهما وجب قبولها او لم يجب ، وكما وهي مستحيلة بالنسبة للأمور التي ليست لتنفصل عن المؤمن حتى يأتمن غيره فيها .

ثم المقبولة طوعا كسائر الأمانات او كرها كأمانة السماوات والأرض والجبال ومن ضمنها الإنسان ، هي بين محملة دون رد وبين مؤدة ، فمن طبع الأمانة أداؤها لا حملها إلا لأدائها ، فمن حملها فقد خانها : ﴿فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلِيُؤْدِي الَّذِي أُوتُّنَ أَمَانَتَهُ وَلَيَتَقَرَّرِ اللَّهُ رَبُّهُ﴾ (٣ : ٢٨٣) إن ﴿اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدِّوَا الْأُمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٤ : ٥٨) كشروط إسلام التكليف ، وباحرى ايمانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ﴾ (٨ : ٢٧) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨ : ٢٣).

وقد تختلف الأمانات وجاه متقبلتها في عرضها ، فلا تعرض امانة العقل على من ليس يعقل ، ولا امانة الشعور على من ليس يشعر ، ولا اية امانة على ما ليس ليحملها ، وهنا «الامانة» معروضة على الكون كله فكائنة كامنة في الكون كله ، المعبر عنه هنا وفي سائر القرآن بـ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتحصيص الجبال من زمرة غير العقلاة يعني مثلاً لأصلب كائن وأصلده ، كما تحصيص الإنسان من زمرة العقلاة يعني اعقل كائن ، فهذه الامانة من الرحمة الرحمانية بعد الخلق كالمهداية العامة ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ومن الهدى لكل شيء هدي التسبيح ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحةَهُمْ﴾ وبجمعهما الولاية وكما في رواية.

إذا فليست هي فقط . امانة العقل إذ تخص العقلاة ، ولا امانة الشعور إذ تخص الدواب ، ولا اية امانة تخص كائنا دون سواه ، فهي إذا امانة تعم كل كائن هي مخلوقة معه مفطورة فيه ، خلقت مع الخلق كله وعرضت على الخلق كله فانقسم في هذا العرض العريض الى من ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فهي . إذا . الولاية ، شعور التسبيح بحمد الله وواعده .

ولأنها امانة فقد تحملها الكون كله كرها في تكوينه ، إذ لا تسمى امانة وجاه من لم يتقبلها ، ثم ولا موقف لها امانة إلا أداؤها او خياتتها : ﴿فَأَبَيْنَ ... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ بعد تحملها في كره التكوين فتحمل الامانة هو خياتتها ، والإنسان هو رأس الزاوية في خيانة الامانة ثم الجن ثم سائر المكلفين ، فهو من هذه الناحية . ككل وجموعة . في أسفل سافلين ، ومن حيث السابقين والمقربين واصحاب اليمين هو رأس الزاوية في أداء الامانة سليمة فهو في أعلى علينا ، حيث الرسالات الإلهية في الأصل ليست الا في

قبيل الإنسان. ولو ان حمل الامانة يعني . فقط . تحملها ، لم يكن للإباء عنها مجال لأي كائن ، حيث العرض الرباني لها بجمعية الصفات «انا عرضنا» ليس الا لصالح الكائنات ، فالاختلاف عن قبولها تختلف عن ارادة الله ، ولو كان بالإمكان لكان من العصيان ، فقبولها طاعة ، فكيف يعلل ﴿وَهَمَّلَهَا إِنْسَانٌ﴾ إذا ب﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ، ومن ثم «ليعذب ..» فهل ان مطاعمة الرب في قبل الامانة المعروضة ظلم وجهل يستتبعان العذاب؟!

إذا فهي بعد ثان من تكوين كل شيء وكينونته ، لكل حسب مستواه ومستطاعه ووهبته دون زائد ولا ناقص ، فهي لمن يعقل تكليف العقل قدره ، ولمن يشعر تكليف الشعور قدره في حيوان ام نبات ام جماد : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١٧) . (٤٤)

ان امانة التكليف بصيغة اخرى هي «الولاية»<sup>(١)</sup> ولاية الله في تسبيح دائبة كما لسائر الكون ، وسائر الولايات في درجاتها لكل كتلة كما تناسبها كولاية الرسل لسائر المكلفين وولاية الرسول والأئمة<sup>(٢)</sup> في خاتمة الرسالات

(١) نور الثقلين ٤ : ح ٣٠٩ في عيون اخبار الرضا باسناده الى الحسين بن خالد قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ...﴾ فقال : امانة الولاية من ادعها بغير حق كفر وفي معانى الاخبار ح ٢٦٠ مثله وفي ح ٢٦٧ بسائر الدرجات عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال الولاية أبين ان يحملنها كفرا وحملها الإنسان والإنسان الذي حملها ابو فلان أقول حملها كفرا هو خيانتها كما خانها ابو فلان.

(٢) المصدر ح ٢٦١ في اصول الكافي عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هي ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) أقول انه من .

للخلق أجمعين ، والتکلیف صفة عامة في الولايات بدرجاتها ومن أهم الأمانات العملية الصلاة <sup>(١)</sup>.

اجل ! انها بوجه يعم ويطرد هي امانة التکلیف طوعا او كرها حيث کلفها كل وسعه ، وتسبيح الله بحمده واقع لا ريب فيه في كل شيء ، اللهم الا الإنسان وأضرابه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلْمًا جَهُولًا﴾ !

وعرض الأمانة هذه بذلك العرض العريض ليس يعني عرض التخيير الترديد ، بل هو عرضها على كل كائن بفرضها في ذات تكوينه ، عرض يعني عرض الحال للبعد الثاني في كل كائن ، حال واقعة لا مناص عنها في كينونته ، ف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ..﴾ ليس إلا عرض واقع الحال للإنسان الظلوم الجھول ، انه المتختلف الوحيد في الكون كله بمن معه من أضرابه الجن امن ذا ، وكما الأسماء عرضت على الملائكة لبيان حالم وجاہ العلم بها ﴿وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (٢ : ٣١) وكما الصافات الجياد عرضت على سليمان (٣٨ : ٣١) كما ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَّا﴾ (٤٨ : ١٨) كعرض الخير على اهله ، وبماثله في اصل العرض الشر لأهله : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (١٠٠ : ١٨) ﴿وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَبَابِتُكُمْ فِي حَيَاةِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (٤٦ : ٤٠) ﴿النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (٤٠ : ٤٦).

. باب الجري والتطبيق على بعض المصاديق قبلها ولایة الرسول وقبلهما ولایة الله ، والاخيرة هي العامة للكون كله.

(١) المصدر ح ٢٦٥ في عوالي اللئالي في الحديث ان عليا (عليه السلام) إذا حضر وقت الصلاة يتململ وينزلزل ويتلون فيقال له مالك يا أمير المؤمنين (عليك السلام) فيقول : جاء وقت الصلاة وقت امانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشققن منها أقول صلاة كل شيء بحسبه فهي لهذه الثلاثة التسبیح كما في آياته.

فكمـا الجنة والرحمة هـما بعد الثـاني لـاهـلـهـما لـزـاما لـهـما عـطـاءـ من رـيكـ جـزـاءـ وـفـاقـاـ ، وـكـمـا النـارـ هي الـبعـدـ الثـانـيـ لأـهـلـهـاـ جـزـاءـ حـسـابـاـ يـوـمـ الـآخـرـيـ ، كـذـلـكـ الـإـمـانـةـ الـمـعـرـوـضـةـ عـلـىـ الـكـوـنـ كـلـهـ هي الـبعـدـ الثـانـيـ فـيـ الـأـوـلـيـ ، المـتـبـنيـ حـيـاةـ الـآخـرـيـ إـلـىـ سـجـينـ اـمـ إـلـىـ عـلـيـينـ!

«انا» في جمعية الصفات لا الذات وسبحانه «عرضنا» كذلك الأمر «الامانة» : مطلق التكليف لا التكليف المطلق الخاص بذوي العقول ، فسائل الكون مكلف بمعداته ان يعيش سائرا إلى ما خلق لأجله ، امام الخالق مسبحا وأمام الخلق عدلا سائرا ﴿فَأَبْيَنْ أَنْ يَحْمِلُنَا﴾ دون رد وبأدء كما حملن ، فان حمل الامانة مطلقا دون أداء خيانة لها مطلقا ، وفي أداء غير سليم خيانة نسبية ، فأبين ان يخونها وكل يعمل كما حمل ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خوفا خليطا بتعظيم ، خوفا من الله وتعظيمها بجلال الله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (١٥ : ١٣) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ : ٤١) .

فهـنـاكـ فـيـ الـكـوـنـ كـلـهـ تـسـبـيـحـ وـسـجـودـ لـلـهـ وـالـكـلـ مـسـخـرـ بـأـمـرـهـ ﴿... وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤ : ٧) ﴿أَلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَ السَّمَاءِ﴾ (٧٩ : ١٦) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ...﴾ (٤١ : ٢٤) . هـؤـلـاءـ وـهـؤـلـاءـ مـنـ حـيـوانـ وـنبـاتـ وـجمـادـ ﴿فَأَبْيَنْ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمِلَهَا إِلِّيْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ .

أترى بعد ان في حمل الامانة تحـمـلاـ لها ظـلـمـاـ وجـهـلاـ حتـىـ يـؤـنـبـ قـبـيلـ

الإنسان بذلك الحمل ، وفي تحملها وأدائها كما حمل عدل وعلم ! فليكن حملها خيانة لها ناشئة عن ظلمه بها وجهله بن حملها إياه ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١٤ : ٣٤).

«فقد خاب من ليس من أهلها إنما عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحورة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا اعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو أضعف منه وهو الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً»<sup>(١)</sup>.

انه لا أظلم من الإنسان ولا أجهل وجاه الأمانة العامة إلا القليل من وفي لرعاية الحق فيها فمؤديها كما حمل ، فهو في احسن تقويم إذا ورعى ، وهو في أسفل سافلين إذا أودع وغوى ، فلا مثيل له فيسائر الكون في حمل الأمانة خيانة وأدائها صيانة.

«انه كان» فيما كان أيا كان وأبيان ، في كينونة الخلقة فان النفس لاماارة بالسوء ، مهما خلقت له الفطرة والعقل ، ولكنه بالفعل في الاكثريه الساحقة تتغلب هواه عقله وطبعه فصرته .

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ فيما يؤمن من امانة وما لا يؤمن ، ظلوماً بنفسه وغيره وأمانته ، ظلوماً بحقه وكل حق وحقوق الآخرين ... «جهولاً»

(١) نجح البلاغة للسيد الشريف الرضي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) وأخرجه عنه (ع) في الكافي مثله.

بِحَقِّ اللَّهِ وَامانةِ اللَّهِ وَرِعَايَةِ الْحَقِّ فِي خَلْقِ اللَّهِ!

وَمِنْ مُخْلِفَاتِ حَمْلِ الْإِمَانَةِ فِي دُرُكَاتِ الْخِيَانَةِ ﴿يُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ فِي عَدَمِ تَحْمِلِهَا كَمَا حَمَّلَ قَصْوَرًا أَوْ تَقْصِيرًا فِي أَدَاءِ الْإِمَانَةِ كَمَا يَجِبُ : ﴿وَتَنُوَّبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وَيَقُولُ الرَّعِيلُ الْأَعْلَى مِنَ الْمُقْرِبِينَ وَمِنْ ثُمَّ اسْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ أَدْوَهَا كَمَا حَمَّلُوهَا فِي وَاجْبِ التَّحْمِلِ وَالْأَدَاءِ ، هُؤُلَاءِ لَا عَذَابَ لَهُمْ إِذْ لَمْ يَحْمِلُوهَا حِيثُ أَدْوَهَا سَلِيمَةً ، وَلَا تُوْبَةَ إِذْ لَمْ يَقْصُرُوا فِيهَا وَلَا هُمْ قَاصِرُونَ وَجَاهُهُمْ .

فَالْتَّقْسِيمُ الْثَّلَاثِيُّ هُنَا رَاجِعٌ إِلَى مَقْسُومٍ حَمْلَهَا خِيَانَةً كَمَا فِي الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَتَقْصِيرًا أَوْ قَصْوَرًا كَمَا فِي الْمُؤْمِنِينَ ، دُونَ مَنْ لَمْ يَحْمِلْهَا عَلَى آيَةِ حَالٍ كَالْمُعْصُومِينَ . وَ «الْمُشْرِكِينَ» هُنَا يَعْمَلُ الْكَافِرِينَ ، وَثَنَيْنِ وَكَتَابِيْنِ امْنَنَ ذَا مِنْ أَشْرَكَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ أَوْ شَرِعَتْهُ وَأَمْرَهُ ، أَوْ فِي طَاعَتِهِ ، فَهُوَ يَشْمَلُ كَافَةَ دُرُكَاتِ الإِشْرَاكِ بِاللَّهِ فِي مُخْتَلِفِ دُرُكَاتِ الْعَذَابِ ، كَمَا «الْمُؤْمِنِينَ» يَعْمَلُ كُتْلَةَ الْإِيمَانَ بِدَرْجَاتِهِ ، الَّذِينَ يَعِيشُونَ حَيَاةَ الْإِيمَانِ مَهْمَا تَفَلَّتَ عَنْهُمْ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً حِيثُ تَكْفُرُ بِتُوْبَةِ أَوْ شَفَاعَةِ أَوْ رِجَاحَةِ الْحَسَنَاتِ أَوْ تَرْكِ الْكَبَائِرِ أَمَّا ذَا مِنْ مَعْدَاتِ التُّوْبَةِ مِنَ اللَّهِ : ﴿وَتَنُوَّبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

فِيَا لِلإِنْسَانِ مِنْ ظَلَمَاتِ الْإِمَانَةِ مَا أَظْلَمَهُ وَجَهَوْلَهُ بِمَا أَجْهَلَهُ وَهُوَ أَعْقَلُ مَنْ فِي الْوُجُودِ ، وَقَدْ مُنْحِنَّ مَا لَمْ يُمْنَحْ غَيْرِهِ مِنْ مَعْدَاتِ التَّكَامُلِ !

سورة سبا مكية

وآياتها أربع وخمسون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْحَمِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ  
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِنَاكُمْ عَالَمُ الْعَيْنِ لَا  
يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مُّبِينٍ (٣) لِيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ  
سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ الْآلِيمِ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي  
أُنْزَلَ

إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدْلُكُمْ عَلَى دَجْلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرْقَתُمْ كُلَّ مُرْقَةٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِنْنَةً بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ تَحْسِفُهُمُ الْأَرْضَ أَوْ تُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)

آيات سبع من هذه السورة تختص بسبعين ، طيا لدورهم الحائر الى كورهم البائر ، في حياة جهنمية كانوا يحسبونها جنة بجهتتهم ، ترمز هذه السبع لدركتهم السبع ، وتختص بهم اسم السورة فإنهم هم فيها المسرح لنوازل البلاء بعد منازل الترح والخيلاء إذ بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبئس الفرار !

مواضيعات هذه السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية : الأصول

الثلاثة : المبدأ والمعاد وما بين المبدأ والمعاد ، طالما التركيز الأكثـر فيها على المعاد ، تبحيلاً من يعتقدونها فثواباً ، وتخجيلاً من ينكرونها فثواباً ، يأخذـهم يوم الدـنيا قبل الآخرـة : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئَاتِهِمْ آيَةٌ ...﴾.

يبدأ فيها بالبلـدة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ ..﴾ ويختـم بالمعـاد : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِيُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَايِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِلَّهِمْ كَانُوا فِي شَلَّٰ مُرِيبٍ﴾ وفيـما بينـهما عـرض ما بينـهما من الوـحي والنـبوـة وصـنوـيـهما ومـصـدـقـيـها وناـكريـها وعـسـائـرـهم ومـصـائـرـهم واللهـ من وراءـ القـصدـ.

وانـها رـابـعـة السـورـ المـفـتـحةـ بـالـحـمدـ لـهـ ، إذـ تـسـبـقـهاـ الـأـنـعـامـ وـالـكـهـفـ وـالـفـاتـحةـ وـتـلـحـقـهاـ الـمـلـائـكـةـ ! طـالـماـ هيـ فيـ الـفـاتـحةـ مـعـلـلـةـ بـخـمـسـ : «الـلـهـ . رـبـ الـعـالـمـينـ . الرـحـمـنـ . الرـحـيمـ . مـالـكـ يـوـمـ الدـيـنـ» ثمـ هيـ فيـ الـأـنـعـامـ مـعـلـلـةـ . فـقـطـ . بـالـرـحـمـانـيـةـ : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وـفيـ الـكـهـفـ بـالـرـحـيمـيـةـ ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ وـكـمـاـ فيـ الـمـلـائـكـةـ رـحـمـانـيـةـ وـرـحـيمـيـةـ ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلٌ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾ ! وهـيـ هـنـاـ تـجـمـعـ بـيـنـ رـحـمـةـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

«الـحـمـدـ» كـلـهـ وـمـنـ كـلـ حـامـدـ «الـلـهـ» لاـ سـوـاهـ فـانـهـ «الـذـيـ لـهـ» : مـلـكاـ وـمـلـكاـ ﴿مـاـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـمـاـ فـيـ الـأـرـضـ﴾ وهـيـ صـيـغـةـ أـخـرىـ عـنـ الـكـوـنـ كـلـهـ ، وـطـالـماـ يـحـمـدـ هـنـاـ غـيـرـ اللهـ معـ اللهـ شـرـكـاـ ، اـمـ يـلـحـدـ فـيـ حـمـدـهـ فـ . ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لاـ سـوـاهـ ، فـلاـ حـامـدـ هـنـاكـ إـلـاـ لـهـ ، فـ . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هـنـاـ اـسـتـحـقـاقـاـ مـهـمـاـ تـخـلـفـ عـنـ الـوـاقـعـ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ هـنـاكـ وـاقـعاـ دـونـ تـخـلـفـ حـتـىـ مـنـ كـانـواـ يـجـحدـونـهـ فـيـ الدـنـيـاـ اوـ يـشـرـكـونـ بـهـ سـوـاهـ فـيـتـمـحـضـ لـهـ الـحـمـدـ فـيـ أـخـرـاهـ :

﴿إِنَّمَا الْمُلْكُ إِلَيْهِمْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ﴾ (٤٠ : ١٦)؟ ثُمَّ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه

تکوینا و تشریعا «الخبر» بعیاده علماء ومن سعة علمه بحکمته :

**يَعْلَمُ مَا يَلْجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ**

الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)

... يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ

**مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٥٧ : ٤)

فالواج والخارج ، والنازل والخارج هي صيغة أخرى عن كل حركة هي لزام كل كائن ،

محسوسه ملموسة ، ام مغمومه مطروسة فهو خبرة شاملة وعلم كامل بكل شيء ، ولا شيء

مخلوقاً إلا في حراك دائم ولوجاً وخروجاً، أم نزولاً وعروجاً **وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** معية

القدرة النافذة ، والحيطة العلمية **وَهُوَ الرَّحِيمُ** بعبادة على أية حال «الغفور» على أية

حال ، اللهم إلّا إذا كان الغفر ظلما ، فانه ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد

المعاقبين في موضع النكال والنقطة!

و «ما» هنا لا يعزب عنها عازب ولا يغرب عنها غارب ، من واجح الماء والهواء والبذر

والدفنه من حيوان وانسان ومن خارج النبات ام اي خارج ، كما نازل السماء يعم . فيما

يعنيه . نازل الماء والملائكة بالوحى ومن كل امر ، والعارج إليها من أرواح واعمال وأخيرة

أمهات

نقف هنا أمام هذه الصفحة المعروضة العريضة في كلمات قليلة غير طويلة ، فإذا نحن

أمام حشد هائل وجمع طائل من أشياء بحر كاتها وتحولاتها في كل مجالاتها باحجامها وصورها

واشكالها ومعانيها ، لحد لا يصد لها الخيال ولا يخطر في هيمنتها ببال !

ولو ان العالمين اجمع وقفوا وقفه واحدة لا لإحصاء ما يحصل في لحظة واحدة من  
بليارات اللحظات والحركات التي تطمئنها هذه الآية لرجعوا حاسرين.

أترى «الأرض» هنا أرضنا هذه؟ ثم «السماء» هي الحبيبة بما لا سواها ، والقائل هو  
خالق السماوات والأرضين! إنه كل ارض وكل سماء ، فكل داخل وخارج ، وكل نازل وخارج  
، من اي ارض فيها والى سماء ومن كل سماء فيها والى كل ارض او سماء ، تشمله هذه الآية  
دون تحديد.

فكم من حبة تختبئ او تخفي في جنبات الأرضين ، ام آية دودة او حشرة ، ام هامة  
واحافة تلجم فيهن ، وكم من ذرات غازات واشعاعات كهربائيات تندس في هذه البسيطة  
ورافقها ، وكم وكم مما لا نعرفها ولن ... وعيّن الله يرعاها ساهرة معها!  
وكم تخرج منها من نبعة فواره ، ام بركانة ثواره ، او غازة متضاغدة اماهيه ، لم يخلد  
بنخلد؟!

وكم من نازل من السماوات وعارض فيها من مجاهيل عندنا ، ومهما عرفنا طرفا منها  
نجهل أقدارها وأعمارها وأسرارها؟!  
فيما الآية قصيرة واحدة من إحاطة لحركات الكائنات في لمسة واحدة تتجلّى فيها  
ملكة الوجود فوق مذ البصائر والأبصار وحد العلوم والأفكار!  
أبعد هذه القدرة الجامحة والحبطة اللامعة يعني ربنا عن إعادتنا نحن المهز الى الصغار  
الصغار؟ :

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلِي وَرَبِّ لَتَأْتِنَّكُمْ عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ  
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا**

**أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** (٣).

قالة من **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالساعة **﴿لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ﴾** حتى لو أتيت غيرنا حيث السلب يخصهم فيما قالوا!.

والجواب بصورة ادعاء دون برهان وفي سيرة أقوى برهان «قل بلى» لتأتيكم الساعة كما أتيتكم «وربي» فملامح التربية الإلهية الخاصة في دليل نبوتي ، وإتيان الساعة اصل من أصولها ، فـ «وربي» هنا كما في قوله المرسلين في يس **﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾** فلان النبوة الحمدية تفوق النبوتات ، محلقة على كافة النبئين ، ففائقة التربية الإلهية فيه ناصعة ، فهو بنفسه دليل للمبدء والمعد عبر الوحي بواقعه وظاهره.

**﴿قُلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِنَّكُمْ﴾** ومن هو رب؟ **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾** والشهادة بكل شيء عنده شهادة **﴿لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مِنْ قَالُ ذَرَّةٍ ...﴾** ولا يغرب .. قضية الحيطة العلمية هي العلم الشامل بكل ما يحصل من تقوى وطعوى أبعد علمه وقدرته وحكمته سوف لا يجازي التقاه والطغاة ، وهو جهل ام عجز ام ظلم ، وما الله بظلم للعيid!

ام لان الأجساد بأرواحها تضل في الأرض فلا يمكن جمعها فلا جمع ولا يوم جمع؟ **﴿وَقَالُوا إِذَا حَسَلْنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ... قُلْ يَتَوَفَّأُكُمْ مَلَكُ الْمُؤْتَدِي وَكَلِّ بِكُمْ ...﴾** (١١ : ٣٢)! **﴿قُلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَغْرِبُ عَنْهُ ..﴾** مهما عزب عن علمكم ، فلا عزب عن قدرته ولا عن علمه ولا عن حكمته **﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاها﴾**.

وليس فقط : لا يعزب عن علمه «كبيرة» بل ولا **﴿مِنْ قَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**.

ولأن آية المثقال تطلق على كل كائن أيا كان سوى ذاته تعالى وتقديس إذ ليس مثقالا ولا ذرة ولا هو في السماوات ولا في الأرض ، فليكن لكل كائن مثقال وهو وزن يقتضي حجما من مادة ومادي ، وهو الطاقة المنشقة عن المادة ، فلا مجرد . إذا . سوى الله ! ثم «ذرة» وأصغر منها وأكبر ، ليست لتعني . فيما تعنيه . الخارج عن حدود المادة ، حيث المحور في مثلث «ذرة . أصغر منها . وأكبر منها» هو المادة ، فلا كائن . إذا . سوى الله إلا في نطاق هذا المثلث دون إبقاء !

ومهما كانت الذرة معروفة قبل روح من الزمن أنها أصغر الأجسام المرئية ، فقد كشفت البشرية عن ذرات هي أصغر منها بكثير ، ومن ثم بعد تحطيم الذرة تعرفت إلى أصغر من ذرة وهو جزيئاتها الإلكترونية والبروتونية والنيترونية والبوزيترونية أماهيه ، ولما يصل العلم . ولن ، . إلى المادة الأم ، التي منها الذرات والجزئيات والعناصر كلها . ثم لا اجزاء لنفسها تتجزأ إلا تجزئة عن كونها إلى فناء مطلق وانعدام مطبق <sup>(١)</sup> .

آية الذرة هذه لا نظيرة لها إلا ما في يونس ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَاءٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شَهِودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَغْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦١) وعلّها أكد شمولاً لمكان «من» الضاربة إلى أعماق الكائنات بذراتها وأصغر منها دون ان يفلت منها فاللت ، كما ول . «ربك» موقعها من ذلك التأكيد الأكيد !.

و ﴿كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أهو القرآن : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾؟

(١) راجع تفسير الآية «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنِ» في الجزء (٢٦ : ٢٣٧) من الفرقان و «حوار بين الإلهيين والماديين» .

(٥) ولكنه البعض من علم رب الممکن تعليمه لعباده لا كله . ولكن ذلك العلم يختص بكل الكائنات ، لا حتى الذات المقدسة ، فليكن ذلك دونها : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦ : ٥٩) حيث الرطب واليابس كناية عن كائنات الممکنات ككل دونما استثناء ! : ﴿... يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَمَا مِنْ ذَائِبٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١١ : ٦).

فالكائنات كلها ﴿في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كتاب العلم المطلق والقدرة المطلقة ، الصادر منه كل رطب ويابس ! :

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوا في آياتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾ (٥).

ترى ولماذا ﴿نَلِي وَرِي لَتَأْتِينَكُمْ﴾؟ «ليجزي ..» قضية العدل ، و ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ ..﴾ «ليجزي» قضية العلم ! فالعدل . فقط . لا يكفي لضرورة الجزاء لولا العلم بالصالحين والطالحين ، والعلم . فقط . لا يكفي لولا العدل ، إذا ف . «ليجزي ..» هي حصيلة العلم المطلق والعدل المطبق على كل الكائنات ، فلو لا الجزاء فإنما ظلم أم جهل ، أم هما معا فأسوء وأنكى !

ولئن شك الجاهلون المتتجاهلون في ذلك الذكر الحكيم ونبيه الرسول الكريم ، فهناك العالمون يصدقون ويوقنون :

﴿وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَبَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦).

أترى ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ هم . فقط . علماء اهل الكتاب كما يقال؟

غيرهم حين لا يرون ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحُقْقُ ..﴾ ليس الا قصورا في العلم إذ لم يؤتوا ، فهم . إذا . لا حجة عليهم حين يكفرون ، كما لا حجة لهم حين يؤمنون ، فلا قيمة لايعلمون دون علم ولا سؤال عن كفرهم دون علم!

﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ليست إلا وسيلة للتفتح الى ذلك الكتاب الحال المفتوح بمصارعه للاجيال طول الزمان وعرض المكان ، وللعلم درجات عده يرى صاحبه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحُقْقُ﴾ حسب درجاته ومحاولاته ، فقد يكون من علماء الكتاب عارفا بالبشارات المودوعة في كتابات الوحي بحق القرآن ونبيه ثم يجحد متجاهلا قاحلا!

وقد يكون من جهال المشركين ، فلانه يحاول الحصول على الحق المرام يتحراره فيجد بغيته في ذلك الكتاب لأنه مسرح فصيح بلغ فسيح عن تحوال آيات الله البينات ، والله يشهد بكلامه لحقه!

ف . ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم بوجه عام كافة المكلفين غير القصر والمحانين ، مهما كان اهل الكتاب وعلمائهم ، وسائر اهل العلم أقوى حجة من غيرهم تدليلا على حق القرآن ، ولكنه لا يمانع اصل التكليف بحججة العلم ، واقله علم الفطرة . مهما كان أصله . ثم العقل ثم علم الكتاب تقليديا ثم باجتهاد وكذا سائر العلوم البشرية ، والجامع بينها كلها معرفة الله ، فالعارف ربه يعرف كلامه قدر ما عرفه.

فما من عاقل يفتح عينه الى هذه الآيات البينات ، ام اذنه وسمعه لسماعها ، متذمرا فيها ، إلا وسوف يحصل على علم : ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحُقْقُ﴾ فانه أفضل الآيات وائلد المعجزات ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ ...﴾ مهما كان الأوفر علمـا هو اوقـر ثقـلا حيث الحـجة عنـه اكـثر ، فـنـكرـانـه لـحقـ القرآنـ أـنـكـ وأنـكـ.

هنا لا بد من علم ما يعرف به الحق من الباطل ، ثم وإعماله كما يصح حتى يحصل على الحق المرام ، والعلم المبدئي حاصل لكافة المكلفين ، ثم عليهم حسب درجاتهم ان يدبروا القول ويتفكروا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَاهُ﴾ فلا حجة . إذا . للأغفال الكفار ما دامت لهم عقول تعقل ، ثم لا حجة على القصر والجانين . فالذين أوتوا العلم من اهل الكتاب عندهم علم الوحي الكتابي بحق هذا القرآن اضافة الى سائر العلم فطريا وعلقريا ... (١)

والذين أوتوا العلم من سواهم ، بدراسات علمية لمختلف معلومات الكون ، عندهم علم دون الوحي بحق هذا القرآن والذين أوتوا العلمين ، عندهم علم مضاعف ، حيث العلم أيا كان هو مفتاح للتفتح على حظيرة العلم وخزانته وإنما يعرف اهل الفضل ذووه . والذين حرموا العلمين عندهم علم العقل على ضوء الفطرة ، فعندتهم وحي الفطرة ومن ثم العقل ، بما يعلون حق القرآن ، فأين . إذا . اختصاص الحجة بعلماء اهل الكتاب ام اي العلماء؟

ثم ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هنا يحصر الحق في القرآن كأنه لا حق سواه ، أفلأ تكون كتابات الوحي بين يديه حقا يسندون إليها أهلوها بحق القرآن؟  
أجل ! ولكن الحق درجات من أدناها إلى أعلىها ، فالقرآن أعلىها ، كما ولثباته درجات القرآن اثبتها خلودا وأعلاها! ومن ثم هو بين تحرف من المحرفين ، وسلام عن ايدي الدس والتحريف والقرآن سليم في أعلىها .

(١) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد فيه زهاء ستين بشرارة بحق القرآن ورسوله .

إذا فذلك الحق الأخير هو الأعلى في مثلث الكمال والخلود وسلامة الأصل ، طالما الكتب السماوية الأخرى جامعة لسلبية جمعا بين النسخ والتحريف ، وانها دون الكمال القمة! إذا ف . ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ لا سواه كما ﴿وَهَدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ : كتاب عزيز حميد : لا يغلب في معتقدات الصدامات ، ولا يذم في مذاق مختلف الجهات ، ثم وهو يهدي إلى صراط الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾!

هؤلاء هم الذين أتوا العلم حين يستعملونه في الحصول على الحق ، ولكن الذين

كفروا :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُنَّ نَذُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُتَشَكَّلُ كُلُّ مُرْفَقٌ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِنْنَةً بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ (٨).

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم المشركون ، دون الكفار من اهل الكتاب ، إذ ينكرون هنا المعاد وهو اصل من الأصول الكتابية ، فهم أولاء الأغفال يقولون مستهزئين ، لإخوانهم ﴿هُنَّ نَذُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُتَشَكَّلُ كُلُّ مُرْفَقٌ﴾ ترقوا لأرواحكم عن أجسادكم ، وترقوا لأجسادكم الى رفاتكم ، وترقا لرفاتكم ام أجسادكم الى مختلف المكان من أبدان ام ايا كان. «ينكرون» ... ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد مثلث من ذلك التمزق البعيد البعيد؟ وهذا باطل ليس صاحبه إلا أن : ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين ينقله عن الله ﴿أَمْ بِهِ حِنْنَةً﴾ حين يقوله ، فإنه على أية حال محال لا ينسب الى الله ، ولا الى العقل ، خارج عن وحي الأرض والسماء ، مارج من فرية وجنون!

ولكنه لا ! لا هنالك فرية ولا جنون ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ تغاضيا عن براهينها الظاهرة ، انهم عائشون ﴿فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾

يوم الدنيا قبل يوم الدين ، ف . «العذاب» هو عذاب التغافل عن احكام الفطرة والعقل ، تغاضيا عن ظاهر ادراكتهم وباطن معرفياتهم ، وذلك هو **﴿الضلال البعيد﴾** حيث الضلال القريب هو المرجو زواله إذ ليس عن عناد ما كن ، واما الذين **﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلْمًا وَعُلُوًّا﴾** فضلا لهم بعيد وحتى يموتون ضلالا ، ومن ثم العذاب القريب !

**﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَسَأْنَا نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسَقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾**(٩).

أترى **﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾** هو أفق السماء والأرض؟ وصحيح التعبير عنه «ما تحت أرجلهم من الأرض وما فوقهم من السماء» !

ام «ما بين أيديهم وما خلفهم» من كل من السماء والأرض أماما وخلفا؟ وتبقى الجهات الأربعان يمينا وشمالا ، حيث الأربع هي الأفق المشهود من السماء والأرض!

ام لا هذا ولا ذاك ، وانما هي تلميحة لطيفة عميقية الجنور ، بطبيعة الظهور لكونية الأرض ودورية السماء ، ف . **﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾** من الأرض هو الأفق المشهود الدائري لكل شاهد في أكثاف الأرض ، ثم **﴿وَمَا خَلْفُهُمْ﴾** هو الأفق والآفاق غير المشهودة ، فليست «خلفهم» إلا خلف الأرض ، وراء الأفق الظاهر ، إذا فليست الأرض مسطحة ، بل هي مدورة مكورة لها من كل جانب منها ظهر وجاه خلف.

ثم و **﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾** من السماء هو الأفق الظاهر منها لكل ناظر إليها في آفاق الأرض ، ف . **﴿وَمَا خَلْفُهُمْ﴾** هو الأفق غير الظاهر فليكن

خلف الأرض . أيا كان . ارض سماء ، ارض تحيط بها السماء من كافة مناكبها ، فهي . إذا .  
في السماء معلقة كسائل نجومها ومصابيحها !

وترى كيف استفهام الإنكار التنديد بمن كانوا يعيشون الزمن الذي كانت كروية  
الأرض فيه كفرا وخلافا للاحساس والعلم <sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا ..﴾ اجل لم يروا ، وأنى لهم أن  
يروا ، والعلم قاصر ، والجهل قاهر ، والوحى عنهم به منقطع !؟.

عله لأن وحي الكتاب كان يشير الى هذه الملحة العلمية ، ومهما كانوا هم مشركون  
ولكنما الاختلاط بالكتابيين يجعلهم يعرفون أمثال هذه الملامح التي تهمهم علميا مهما لا  
تهمهم عقائديا ، ثم وهذه تحريضة علمية

(١) في زوايا التاريخ ليست الأرض كروية فقد كان أول تصور للإنسان في شكل الأرض إنما بساط عظيم هائل لا  
نهاية لعمقه يعتمد عليها قبو السماء كالسقف المرفع ، وما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصور ان  
الأرض ساقطة في اوقيانوس من الماء لا نهاية له وكان ذلك خطوة لنفسه ان الأرض محاطة بدائرة وترتکز على  
جذور طويلة مثل الشجرة ، وساد كذلك اعتقاد قديم بان الأرض بساط مستدير يقوم على اثنى عشر عمودا ،  
ولكن على اي شيء تقوم هذه العمدة؟ فيجيب قساوسة في اوروبا في القرون الوسطى بأنما تقوم على الضحايا  
البريئة من اهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنا لك لدكت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان  
(اناكسيماندر) الا غريق في القرن السادس قبل الميلاد يرى ان الأرض كالاسطوانة وان قطعها يساوي ثلاثة أميال  
ارتفاعها ، وإنما ساقطة في مركز القبو السماوي وانه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى ، وتوجد اوروبا في النصف  
الشمالي ولبيا او افريقيا وآسيا الجنوبي ، ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال : ان الأرض مكعبية ،  
لأنه كان يعتقد ان المكعب أكمل الاشكال الهندسية فيجب ان يكون موطننا لافضل الكائنات وهو الإنسان ،  
وانه قبل ان يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا ان  
الأرض كروية وتنتهي شمالا وجنوبا بجبل عظيمة الارتفاع ، ومنذ ١٥٠٠ سادت في الغرب نظرية تقول : ان  
الأرض بيضاوية وإنما ساقطة في الأثير .

لأجيال ان يروا رؤية عينية او علمية ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فمثلها كمثل قوله تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١ : ١٠١).

ثم وكان لهم قبل وحيه او اكتشافه علميا ان يروه تماما وتعملأ للضرورة الملموسة لهم أن الأرض ليست مسطحة دون خلف كظهورها ، لاختلاف الافق ليلا ونهارا! وهناك آيات أخرى تؤشر الى دوران الأرض وكرويتها ناتي على تفسيراتها بطياتها ، وآيتها هذه ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا ..﴾ هي الوحيدة بين رفاقها تدليلا كالصریح على كروية الأرض وقد تزاملتها آية التکویر <sup>(١)</sup>.

وقال الادريسي وهو احد الجغرافيين من العرب في القرن الحادي عشر للميلاد : ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان بطلميوس في القرن الثاني للميلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى ان الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبها كحبة القوطة ، وجاء (ابيانوس) في ١٥٢٠ فقال : انا تشبه القلب ، وصادفت نظرتيه ميلا في قلوب قساوسة الدين في اوروبا فأيدوه قائلين انها قلب الله ، وان هذه الكرة القلبية تشبه ارض المكتشف العظيم (كولبيوس) حيث تصورها مثل الكمشري ، فالنصف الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي ، والتتمدد الذي اوجده فيه هو (العلم الجديد) الذي اكتشفه ، واما (دانت) فقد تصورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلا هذا التتمدد لحجمه الذي صوره فكانت جبال المطهر تحت خط

---

(١) وهي «يَكُوْرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوْرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ..» راجع (٣٩ : ٥).

الاستواء بثلاثين درجة ، بينما جعل (أورشليم) او (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن.

وظهر في ١٨١٩ في (سنت لويس) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفن سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه او بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الأرض او اي كوكب يتكون من عدة من الكرات المتلاصبة والمستثركة في مركز واحد وبين كل كرة والتي تليها فاصل ملء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات ، ويرى ان الأرض تتركب من خمس طبقات او كرات متداخلة وان فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشماليّة اربعة آلاف ميل وقطر الجنوبيّة ستة آلاف ميل وان سطحي كل كرة او طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدوبة والسطح المقرّبة ، وطلب الى المجلس النيابي بالولايات المتحدة ان يجهزه بسفينتين ليسافر إلى احد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل إلى سكان السطح المقرّب الذي نعيش فوقه ، وطبع المارشال (جاردنر) في ١٩١٣ م كتابا في الولايات المتحدة عنوانه : سياحة الى داخل الأرض . ذهب فيه الى ان الأرض مجوفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وأنها مفتوحة عند القطبين ويوجد في داخلها شمس ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا واربعمائة ميل.

وقال (موريه) في كتابه (علم الفلك اليوم) إن الأرض على شكل هرم ، وهو يرى ان نظريته تبين اختلاف أقطارها وتحل كثيرا من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن ان تفسرها اية نظرية اخرى ، وهذه النظرية التي نشرها (تيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأييد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مثارا لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ وهو يذهب الى ان الأرض هرمية الشكل ، وان

البحار تشغل بطونا في سطوحه الاربعة بينما اركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس ، وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذاك العهد لحللها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث ، والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق .. (تفسير الجواهر ١٦ : ١٣٧ - ١٤٠).

وبعد ان يروا ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، هم بطبيعة الحال ان تأخذهم روعة من خسف الأرض ام سقوط السماء ، حيث الأرض المعلقة في جو السماء غير مأمونة من أية حادثة هائلة ، خسفا في نفسها ، ام سقوطا لها في اعمق السماء ، ام سقوط السماء كسفا عليها لو لا المسكة الإلهية الرحيمة و ﴿... إِنْ نَشَا نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ في نفسها ام عن مكانها ﴿أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾!

ولقد سبق على مدار الزمن هذه التجربة المرة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَقْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ...﴾ (٤٠ : ٢٩) ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يُأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حِينٍ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥ : ١٦) ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٦٧ : ١٦)؟! سبحان الخلاق العظيم .  
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوِدَ مِنَا فَصْلًا يَا جِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالْطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَاعِيَاتٍ وَقَدَرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا

صَالِحًا إِنِّي مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسَلِيمَانَ الْرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغُبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعْيِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبٍ وَمَثَابِلٍ وَجِفَانٍ كَاجْوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاؤَدْ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا ذَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأَتَهُ فَلَمَّا حَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيْثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

مسرح من مسارح النبفين الملوكين داود وسليمان (عليهما السلام) بما آتاهم من فضل يخرق العادة الجارية في الكون هنا لداود ﴿مَنَا فَضْلًا﴾ تخصه بفضل له خاص ، فالفضل كله منه ويكفيه : ﴿أَتَيْنَا دَاؤَدْ مِنَا فَضْلًا﴾ ولكن «منا» تصطفى له خاص الفضل ، وعلمه هنا النبوة والملك وتأويلاً الجبال والطير معه وتليين الحديد ، ويأله من فضل جامع عقيم النظير اللهم الا للأخصين من السابقين وهم اهل بيت الرسالة الحمدية ، ثم

الاربعة الآخرون من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحى ، وقد تشهد مثلث الفضل هنا :  
 ﴿وَكُلًاٰ آتَيْنَا حُكْمًاٰ وَعِلْمًاٰ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤَدَ الْجَبَالَ .. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَكُمْ ...﴾ (٢١) .

فقد بلغ فضل الله لداود مبلغاً من التجدد والشفافية في تسابيحه أن ازاحت الحجب بينه وبين الجبال والطير وحده الحديد ، فداود الأواب تجاوبه في أوبته الجبال والطير ، ويلان له الحديد ، وهكذا الله يعبد الطريق للأوابين !

هنا «معه» في ﴿أَوَيْ مَعَهُ﴾ لحظة لامعة انها تؤوب في عالمها ولا تسمع أحداً من العالمين ، ثم «معه» يجعله يسمع أوبة الجبال والطير .

والاوية ضرب من الرجوع . وهنا المقصود صوت الأوبة وصيغتها ، إضافة إلى حقيقتها ، فواقع الأوبة لا محالة حاصل للકائنات كلها : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧ : ٤٤) ولكن داود المفضل على من سواه فقه تسبيحهم مع تسبيحه وعلى ضوئه كما تشير «معه» وكما في آخر له ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤَدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَابٌ .. وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّهُ أَوَابٌ﴾ (٣٨ : ١٩) فها هي معية المصاحبة المتابعة ، وقد تعم علمه بتسبیحهم واصالته فيه حيث كان يؤمّ في حراب الأوبة ومصرحها جماعة الطيور والجبال في ترنيمة المرجع الرائع كما يؤمّ سائر المؤمنين في زمانه !

الآئب هو الراجع وقد ينكث ، ولكنما الأوبة من التأويب الترجيع كثرة في عدّه  
 الرجوع وعدّته ، حيث يعيش الأوبة الرجعة إلى الله دون نكثة ولا نكسة .

ومن التأويب الترجيع ترجيع الصوت في التأويب وفيه تليين القلب وترجيشه ، فإن  
 للصوت الرائع الجميل موقعاً فائقاً في القارئ والمستمع ،

وكما عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : تغنووا بالقرآن فانه من لم يتغنى بالقرآن فليس منا»!

فلان كلام الله جميل فليكن بصوت جميل كما صيته جميل ولفظه جميل ومعناه جميل ،  
والله تعالى جميل يحب الجمال!

تذكر الروايات ان داود (عليه السلام) أوقى صوتا جميلا خارقة العادة في الجمال ، كان يرتل به مزاميره وهي تسابيح دينية رائعة من زبوره في العهد العتيق» .

فحينما كان ينطلق صوته في ترتيل المزامير تمجيدا لربه ، كانت ترجع معه الجبال والطير ، مرددة تلك الترانيم السارية السارة<sup>(١)</sup> لحظات فائقة التصور لا يتذوقها إلا كل أواب حفيظ : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَّ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩) ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالْطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَابٌ﴾ (٣٨ : ١٩)

ثم و ﴿يَا جِبَالُ أَوَيْ مَعَهُ وَالْطَّيْرُ﴾ خطاب تكوين وتسخير يضرب إلى عمق الكائن دون مكنة التخلف كما في اصل التسبيح ، وكما في : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢١ : ٦٩) واضراجها من خطاب التسخير التكوين.

أترى ذلك الجبال ﴿يَا جِبَالُ أَوَيْ مَعَهُ﴾ فما بال الطير وموقعه في تعريفها ونصبها ، فعطفها إلى «جبال» يقتضي «وطير» كما «جبال» قضية ضرورة الوفاق في العطف بين الرفاق أدبيا كما هو معنويا؟

(١) في كمال الدين باستاده الى هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام) في حديث يذكر فيه قصة داود (عليه السلام) قال : إنه خرج يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه.

قد تكون «والطير» عطفا بحسب المعنى من محل المعطوف عليه ، ف . «أوبي» تعني «وسخنها» كما في آيتي التسخير ، ف . «والطير» تعني ذلك التسخير ، فقد يفسر نصب الطير امر الجبال انه تسخير وليس امر التشريع! كما و «يسجن» هناك تفسر هنا «أوبي» أنه التسبيح الترجيع!

هذا مسرح من مسارح تليين الجبال والطير في مصائر التسبيح ، ثم الى تليين الحديد :

**﴿وَالَّتَّا لَهُ الْحَدِيد﴾**? أتراء . فقط . تلينا لحده وصلابته بعد الحصول عليه من معدنه؟

وهذا أصعب منه واحد! ام وتليين معدنه ومصدره ، والمقام مقام الفضل الرباني لعبد رباني وأفضله ذلك الجمع الرائع المكين من التليين!

ولأن إلابة الحديد لا تحملها في القرآن كله إلا هذه اليتيمة المنقطعة النظير فلننظر فيها

نظرة الناقد البصير .

يروى عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه قال : اوحي الله الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيديك قال : فبكي داود (عليه السلام) أربعين صباحا فأوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبي داود (عليه السلام) ..<sup>(١)</sup>.

«ألنا له» كما «يسجن معه . اوبي معه» تختص إلابة الحديد بداود!

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٤٤ عن الكافي بسانده عن احمد بن أبي عبد الله عن شريف ابن ساقي عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان امير المؤمنين صلوات الله عليه قال : ... فألن الله عز وجل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بآلف درهم فعمل ثلاثة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين ألفا واستغنى عن بيت المال.

القوة خارقة أوتتها من فضل الله؟ وتعبيره الصحيح الفصيح «قونناه»! ام إلإنة لما يحتاجه من حديد لصنعة لبوس؟ وهذا هو ظاهر الإلإنة ، وقد تضمن إلإنة العلم كما تعني إلإنة الحدة : **﴿وَعَلَّمَنَا صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنُكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾** (٢١ : ٨٠) فلو لا ذلك التعليم لم تكن كثير فائدة في هذا التلبيين ، فانما هو كذرية لصنعة لبوس ، لا . فقط . نفس التلبيين . وهنا أيضا **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾** تفسير لمدى ذلك التلبيين ، فلا تعني إلإنة الحديد . فقط . عمل السابغات ، إلإ أن تعني إلإنة ذلك العمل بعد إلإنة الحديد! إذا فهنا لك مثلث من تلبيين الحديد ، صدورا من معده ، وتلبيينه عمليا ومن ثم تلبيينه لصنعة لبوس عليما! فلم يكن التلبيين . إذا . بالتسخين ، فانه لكل من يسخنه وهو هنا «له» باختصاص ، بل هو خارقة للعادة تلبيينا بلا تسخين ولا أية وسيلة مألوفة اخرى ، فجو السياق وظلاله بكل تلميح وتصريح يعني هنا خارقة للعادة! من :

**﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** ولا ك مجرد آية خارقة تدل على وحي الرسالة ، بل و : **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدَرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** (١١).

السابغات هي الدروع الواسعات ، والسرد هو نسجها ، وتقديره لها هو ان يعمل كلها على قدره السائع للسابغ وقد يروى انها كانت تعمل قبل داود صفائح الدرع صفيحة واحدة فكانت تصلب الجسم وتشمله فالم الله داود ان يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم وامر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح ، وهو التقدير في السرد! هذا ولتكون السابغات ساغات

اي عامل في فسيح الكون ، كـ ﴿إِنِّي إِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من صنع ومن استعمال لمصنوع  
«خبير» !

وعلى في «اعمل» بديل «اصنع» تلميح لما تلمحناه انه ثالث ثلاثة من أضلاع ﴿وَأَنَّا  
لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وكما في أخرى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَكُمْ لِتُتَحْصِنُّكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ  
شَاكِرُونَ﴾ (٢١ : ٨٠) إذا فـ . ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ شكرًا لما أنعمت ﴿إِنِّي إِمَّا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ﴾ !.

فاللبوس مبالغة من اللباس ، حيث السابعة الدرع تبالغ في الإحسان عن بأس الحرب ، فقد كان ذلك خارقة إلهية تتخطى عائدة اثبات الرسالة وتحصيل المال للرسول ، الى ﴿صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَكُمْ﴾ عائدة ثلاثة لصالحكم ، حيث الحروب آنذاك كانت تتطلب صنعة سريعة للباس السابقة .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَاحِهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنِ الْجِنِّ مَنْ  
يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذِنَ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُّ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢)

«و» فضلا «لسليمان» كما فضلا لداود ، كلا حسبة وحسابه ، وفقا في سيرة الخارقة مهما اختلفت الصورة ، فقد آتينا ﴿سُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ كما ﴿آتَيْنَا دَاؤَدَ مِنَّا فَضْلًا  
...﴾ فضلا كفضل !.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ لا كما هي لسواء كعادة جارية المفعول في فاعلياتها ، وإنما تسخيرا له يتخطى العادة : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٨) :  
!(٣٦)

فلقد كانت له الريح . بما سخرها الله . مركبة فضائية ﴿غُدُوْهَا شَهْرٌ

**وَرَاحُهَا شَهْرٌ** . **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءٌ﴾** كل يوم مسيرة شهرين **﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾** من هذه المعمورة ام سواها بأجواءها !.

وترى انما ريح كسائر الرياح ، ام هي سائر الرياح دون اختصاص ، كلاً! فالنص «الريح» دون «الرياح» فلتكن خاصة معروفة لديه ، مجهولة لدى غيره ، ام وإذا كانت معلومة لغيره فغير مسخرة إلا له ، وانما كانت ريخا عاصفة وكما في آية ثلاثة : **﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكَنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالَمِينَ﴾** (٨١ : ٢١).

ثم «غدوها» هو الغداة لحد الزوال ام هو ادنى ، والروح هو الوقت الذي يراح فيه الإنسان من نصف النهار الى الغروب او هو ادنى ، فلم يك سليمان يغدو ويروح في يوم واحد دون مكثة في **﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** فليكن الغدو ردحا مما بين طلوع الشمس وزواها ، وكذلك الروح ردحا بين زواها وغروبها ، مهما كانت السفرة في يوم واحد ، ام بمكثه يوم أو أيام (١) .

مركبة فضائية ما اغداها واروحها ، واريحها في غدوها ورواحها ، حيث **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ﴾** الى **﴿الْأَرْضَ الْمَقَدَّسَةَ﴾** ام سواها ، مهما كانت هي الأصل في سفراته ، ولذلك خصت بالذكر في آية الأنبياء .

وقد تكاثرت الروايات حول تسخير الريح لسليمان ، تبدو ظلال الاسرائيليات المختلفات والمختلفات فيها واضحة ، فالتجاضي عنها الى بينات الآيات أخرى ، وترك الخوض فيها احتج ! فاما هي ريح عاصفة مسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر !...!

(١) في تفسير القمي في آية الريح قال : كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة سيره شهر وبالعشي مسيرة شهر .

﴿... وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ لا نجد القطر إلا هنا عينا سائلة وفي الكهف مفرغا بحامية النار على زير الحديد بين الصدفين (١٨ : ٩٦) وهو الرصاص ، و ﴿عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ في أصلها غير سائلة ولا تسمى عينا إلا معدنا ، فبإسالتها بخارقة إلهية خرجت عن أصالتها الجامدة إلى عين سائلة يستثمرها سليمان كما يشاء في محاويجه ومحاويع شعبه دون سغب ولا تعب ، وكما ألان الله الحديد لأبيه داود (عليه السلام) !

﴿... وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أهل . فقط . شياطين الجن : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَعْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَتَنَاهُ لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٢١ : ٨٢) ؟ ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ «دون» الشياطين ، تعميم دون اختصاص ! ثم ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٢٧ : ١٨) قد تحيل الإختصاص ، حيث الجن المؤمنون أحري ان يكونوا من جنوده ، وتجنيده الشياطين ليس الا تذليلا لهم وقضاء على شيطانهم لردع الخدمة ، و ﴿قَالَ عَزِيزٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ (٢٧ : ٣٩) هي كالنص انه كان من مؤمني الجن واتقاهم فأتقواهم على هذه الخارقة الإلهية ! .

إذا فـ «من الجن» يعم قبلي المؤمنين منهم والشياطين ، وكما جنوده الإنس دون اختصاص .

و ﴿يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تعني في سلطته وعلى رعايته ، لا في حضرته فحسب ، إذ كان شياطين الجن يغوصون له وهو بعيد عن حضرته مهما كان في سلطته .

﴿... يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ تسخيرا لهم لأمره ، حيث الجن لا يسخرون دون ذلك ، إلا سخرية ملن يسخرون دون ذلك ! ومن خلفيات ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ :

﴿... وَمَنْ يَزِغُّ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذَقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِير﴾ وليس «أمرنا» إلا عملا

لسليمان بين يديه بإذن ربه ، فقد كان الأذن . إذا . اذن الأمر ، لا . فقط . اذن السماح ،

حيث السماح لخدمة سليمان النبي حاصل بطبيعة الحال لكل بالغ مبلغ التكليف!

وترى ان ﴿عَذَابِ السَّعِير﴾ هنا خاص بالأخرى؟ وهو كذلك فانها هي دار الجزاء

دون الاولى! ولم يأت السعير في القرآن فيما أنتت (١٨) مرة إلا للأخرى! فلا يختص . إذا .

بالأولى ، وقد يعمها على هامشها دون تحتم فإن الآخرة هي دار الجزاء دون الاولى ، اللهم

إلا من تخطى حد الطغوى ، وقد تلمح «ندقها» دون «ندخله» لشموله عذاب الاولى ،

فك كل عذاب في الدنيا او البرزخ يعبر عنه بذوق العذاب وليس هو العذاب! وقد يدل عليه

﴿وَآخَرِينَ مُفَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨ : ٣٨).

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانِ كَاجْوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتِ اعْمَلُوا آلَ

داوَدْ شُكْرًا وَقَلِيلًا مِنْ عِبَادِي الشَّكُور﴾ (١٣).

أعمال اربعة هنا تذكر كنماذج هامة مما يشاءه سليمان من الجن ، ف «محاريب»

جمع محارب من أماكن العبادة الخاصة كالمعروف المتداول عندنا ، و «تماثيل» هي الصور

المحسنة من شجر وسواها ، وعموم اللفظ يشمل تماثيل ذوات الأرواح أيا كانوا ، وكما

النباتات وسواها ، ولكنما المتعود طول التاريخ منها هي ذوات الأرواح (١) ولأن سليمان النبي

كان

(١) وسائل الشيعة ١٢ : ٢١٩ في الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل : يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل .. فقال : والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها تماثيل الشجر وشيهه وال الصحيح عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن تماثيل الشجر والشمس والقمر فقال : لا بأس ما لم يكن .

يشاءها من الجن فهو إذا من المسموحات لا الممنوعات ، وما دام لم يرد نص في القرآن لنسخه ليس الحديث لينسخه حيث القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن لا سواه ، إذا فعمل الصور المحسنة لا محظوظ فيه ، بل وعلّه محبور حيث يشاءه سليمان.

أجل ان التماضيل المعبودة ، المعمولة لعكوف العبادة ، هي محرمة بنص القرآن وضرورة

الأديان : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقُوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٢١ : ٥٢).

وعلى غرارها التماضيل التي تصنع لأجل تخليد أصحابها بعد موتهم احتراما زائدا عمما يرام ، فانها مكرهه على أشرف الحرمـة ، ولكن التماضيل ككل تمثال ليست محرمة ، ولأن اصل الحرمة في اتخاذها ليس إلا شائبة

. شيئاً من الحيوان وعن الصادق عن آبائه (عليه السلام) في حديث المناهي قال : نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التصاوير وقال : من صور صورة كلفه الله تعالى يوم القيمة ان ينفع فيها وليس بنافع .. ونفى ان ينقش شيء من الحيوان على الخاتم وعنه (عليه السلام) ثلاثة يعذبون يوم القيمة من صور صورة من الحيوان يعذب حتى ينفع فيها وليس بنافع .. ورواه ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله الا «من الحيوان» وعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن التماضيل هل يصلح ان يلعب بها قال : لا وفي تحف العقول وصنعة صنوف لتصاوير ما لم يكن فيه مثال الروحاني فحلال تعلمـه وتعلـيمـه ...» هذه ولكن التمثال لغويـا هو الصورة المصورة او ما تصنعه وتصورـه مشبها بخلق الله من ذوات الروح والصورة ، ولو كان المعنى من «تماثيل» في الآية غير ذوات الأرواح لكان حق التعبير الصحيح والفصيح «نقوش» ولم يكن من المتعود ان يعمل الصور المحسنة من غير ذوات الأرواح إلا حديثـا ، فالآلية ظاهرة كالنص في جواز عمل التماضيل لذوي الأرواح ، وليس الحديث لينسخ القرآن أيا كان ، فالآخرى ما فصلناه في المتن من تفصـيل لراجـع منه ومرجـوح ومحـرم والله اعلم.

العبادة ام آبتها ، فحكمها واحد عبر الشرائع دونما تناصح فانه لزام التوحيد ، وسلامان كان من أكمل الموحدين فكيف يبغى محرا او مكروها في حظيرة التوحيد وبخضره ربه الكريم المجيد!

فحين تتخذ تماثيل من الطغاة عن حالتهم البئية التي قضت عليهم إنذارا للأخلاف ، ام تتخذ تماثيل من التقاة عن حالتهم العزيزة تبشيرا لهم ، فما هي . إذا . إلآ تماثيل التبشير والإندار ، دون عکوف لها كاصنام.

ام حين تتخذ تماثيل للعبة الأطفال ، بلا عکوف ولا تبشير او إنذار ، فما هي محمرة محظورة ، مهما لم تكن محبورة.

وهنا أحاديث تروي بحق تحريم عمل الصور المحسنة والتماثيل ذات الأرواح خاصة شخصها بموارد المحظور لظاهر كالنص من آية التماثيل<sup>(١)</sup>.

ثم ﴿وَجْفَانٍ كَاجْنَابٍ﴾ هي الجفان العظيمة كالحياض حيث الحاوية هي حوض يرد فيه الماء فهي وان عظيمة للأطعمة ، ومن اين تملأ؟ ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ضخمة في ثقلها وسعتها ، راسية ثابتة في محلها لصعوبة حملها.

﴿... اعْمَلُوا آلَ دَاؤَدْ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاؤَدْ شُكْرًا﴾ لا . فقط . ان تقولوا شakra ، فالشکر في أصله من مقوله الأعمال ، وليس الأقوال إلا حاكية عنها ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾ عملا ، في الكثير من القلة المؤمنة الشاكرة قولا ، والشکور مبالغة الشاكر فلتكن بالغ الشکر. ثم وهنا «الشکور» وليس «شکور» حيث التعريف يعني شکرا عمليا ، ف «الشکور» هنا مبدأ مؤخر لتعريفه

(١) مضت هذه الأحاديث.

و «قليل» خبر مقدم لتنكيره ، إذا ف . «الشكور» عملا ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي﴾ .  
 ام ان «الشكور» كمطلق الشكر وحتى قوله ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي﴾ ثم من هذه القلة  
 «الشكور» كشker مطلق يعم العمل ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي﴾ لهم . إذا . قلة من قلة فمهما كان  
 الشكور قوله ثلة امام هذه القلة ، ولكنهم قلة امام «عابدي» الثلة ، فأين قلة من قلة وثلة  
 من ثلاثة؟! <sup>(١)</sup> .

ثم «الشكور» أيا كان تلمح لكثرته عدة وعدة ، ولحد يبلغ الشاكر شكرها بكل أبعاده  
 في حياته! ومن ثم نرى ذلك العظيم العظيم ، الكريم الكريم ، القويم القويم ، سليمان النبي  
 الملك ، الذي سخر له الانس والجنم وصلب الكون ولكنه على عظمته وملكه الذي لا ينبغي  
 للأحد (٣٨ : ٣٥) :

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٢٩ . قال داود (عليه السلام) يا رب هل بات احد من خلقك الليلة أطول ذكرًا لك مني؟  
 فأوحى الله اليه نعم الضفدع وانزل الله تعالى على داود (عليه السلام): ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوِدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي  
 الشَّكُور﴾ فقال داود (عليه السلام) : يا رب كيف أطيق شكرك وأنت الذي تنعم على ثم ترزقني على النعمة  
 الشكر فالنعمة منك والشكر منك فكيف أطيق شكرك؟ قال : يا داود الآن عرفني حق معرفتي وفيه اخرج ابن  
 المندر عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخطب الناس على المنبر وقرأ هذه  
 الآية قال : ثلات من أوتيهن فقد اوتى ما اوتى آل داود قيل : وما هن يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
 قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وذكر الله في السر  
 والعلانية وفيه عن ابراهيم التيمي قال قال رجل عند عمر : اللهم اجعلني من القليل فقال عمر : ما هذا الدعاء  
 الذي تدعوه به؟ قال : اني سمعت الله يقول : وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوا الله ان يجعلني من ذلك القليل  
 فقال عمر : كل الناس اعلم من عمر!

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَفَّعْنَاهُ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ  
تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤).

وتلك من هيبة سليمان وهيمنته ان لم يجرأ أحد من جنوده من الجن والإنس ان يدنوه  
فيسألوه ما ذلك المكت الطائل ، الذي تمضي فيه أوقات صلوات ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ  
الْمَوْتَ﴾ فوقع الموت ﴿مَا دَفَّعْنَاهُ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ سؤال خاطر ام اي خاطر سائل ﴿إِلَّا دَابَّةُ  
الْأَرْضِ﴾ تلك الصغيرة الهزيلة التي تأكل الأخشاب ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ التي كان متكتها عليها  
وترى كيف المنسأة . فقط . تجعله واقعا فائما كما هو ، وليس مسكتها إلّا جانبية  
وعلى شرط المسكة من صاحبها ، حيث يمسكتها سنادا فتمسكه عمادا؟.

علّه لأنّه كان جالسا على عرشه ، متكتها على منسأته ، محفوفا بما يسنده من جوانبه  
، فلما أكلت منسأته وارتخت . بطبيعة الحال . خر أمامه ، إذ فقد سناده أمامه !

داية الأرض . هنا . هي الأرضة التي تتغذى بالأخشاب ، وهي تلتهم سقوف المنازل  
الخشبية وأبوابها وقوائمها بشراهة وشراسة خطيفة ، فلا تبقي عليها قائمة ولا تذر .

﴿.. فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ إذا  
فالجن لا هم أبناء الله حتى يعبدوا حيث سخروا لسليمان ، ولا هم يعلمون الغيب حتى  
يستعملوه ، قصة تقص عنهم ما خيل الى أولائهم .

وترى ذلك العمل بين يدي سليمان كان عذابا مهينا وهو خدمة تقدم

للنبي الملك؟ اجل كان عذاباً مهيناً لشياطين الجن جزاء بما كانوا يشيطون ، ذوقاً قليلاً من عذاب السعير ، واما مؤمنوا الجن والانس المستخدمين فلم يكونوا ليكفلوا لديه تلك الأعمال الشاقة المبرهة ، إلا قدر المستطاع ، فلم يكن العذاب المهين الا لشياطينهم.

ثم ﴿مَا لَيْثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ تلمح بطول مكوث سليمان ميتا متكتعاً على منسأته ، فليست قضية سويعات ، لا سيما وان ارضاً الأرض لا تستطيع ان تأكل المنسأة ليوم واحد ، إلّا أياماً طائلة ، ام سنة كما يروى وان كانت بعيدة <sup>(١)</sup>

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٣٠ . اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : كان سليمان (عليه السلام) إذا صلّى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول : كذا وكذا ، فان كانت لغرس غرسـت وان كانت لدواء نبتـت فصلـى ذات يوم فإذا شجرة ثابتـة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت :: الخنوب ، قال : لاي شيء أنت قال لخزاب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الإنس ان الجن لا يعلمون الغـيب فأخذ عصـا فـتكـأ عليها وبـضـه الله وهو متـكـئ فـمـكـث حـيـنا مـيـتا والـجـن تـعـمـل فـأـكـلـتـها الأـرـضـة فـسـقـطـت فـعـلـمـوا عـنـدـ ذـلـكـ بـموـتهـ فـتـبـيـنـتـ الانـسـ انـ الجـنـ لوـ كـانـواـ يـعـلـمـونـ الغـيـبـ ماـ لـبـشـواـ حـولـاـ فـيـ العـذـابـ المـهـينـ أـقـولـ تـبـيـنـ الانـسـ اـنـاـ حـصـلـ بـماـ رـأـواـ الجـنـ طـوـلـ هـذـهـ المـدـةـ فـيـ العـذـابـ المـهـينـ فـلـمـ يـكـنـواـ يـعـلـمـواـ الغـيـبـ .

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئًا فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةً جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينِ وَشَمَائِلِ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاשْكُرُوا لَهُ بِلْدَةً طَيْبَةً وَرَبُّ غَفُورٍ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَلْنَا هُمْ بِجَنَّتِيهِمْ جَنَّتِينِ ذَوَاتِي أَكْلٍ حَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَرَيْنَا هُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُحَاجِزِ إِلَّا الْكُفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرْيَ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرْيَ ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَامًا آمِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَا هُمْ كُلَّ مُرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ

**مَنْ يُؤْمِنْ بِالْآخِرَةِ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ** ﴿٢١﴾

آيات سبع تعرض سبأ في مسرح من حياة الفرح والترح ، إعراضا عن الرب الغفور وطيبة البلدة ، فابتلاء بسبيل العرم ، عrama بعراة **﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُنَّ لُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾**.

و «سبأ» اسم رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة .. <sup>(١)</sup> فهم آباء قوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن بأرض خصبة وببلدة طيبة ما تزال الى اليوم. منها بقية ، وقد ارتفوا في سلم الحضارة ونضارة الحياة المادية. لحد لا قبل له ، وقد تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي كانت تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق ، فأقاموا خزانات طبيعيا يتالف جانباه من جبلين ، وجعلوا على فم الوادي بينهما سدا ، فاختزنوا كميات هائلة من الماء وراء السد ، سدا لجاجاتهم المرحة ، وقد عرف باسم «سد مأرب»

و **﴿جَنَانٍ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَائِلٍ﴾** قد تعيان ذلك الخصب والوفرة جانبي ذلك السد ، وهذا آية من آيات النعمة الربانية كأنها خارقة العادة بين القرى المجاورة لها ، او منقطعة النظير ! .

**﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾** حيث رزقكم إياه **﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾** قالا وحالا واعمالا ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي . **﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾** في وفر النعم **﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾**. بوف الغفر والكرم ، على ما أنتم عليه من تقصير.

(١) الدر المثور ٥ : ٢٣١ . اخرج جماعة عن فروة بن مسيك المرادي قال أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ... فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآلہ .

«فأعرضوا» عن رهم وشكراً حيث أخذتهم العزة بالإثم ، وبدلوا نعمة الله كفرا  
 ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلُ الْعَرَم﴾ عرماً بعزم! يجرب ويعلم في طريقه كل صغيرة وكبيرة ، وكل حجارة صخرة صلبة ، فحطّم سدهم وانساحت مياههم سيراً على سيل فلم يعد الماء يخزن حيث جفت كما جفوا ، واحتقت الجنات كما أحرقوا ، فتبعت جناتهم ويلات ، صحراء قاحلة تتناثر فيها الأشجار الخشنة البرية :

﴿وَدَدَّنَا هُمْ بِجَنَّتِيهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٦)!  
 فالجنتات التي كانت تأتيهم بكل نعمة غزيرة اشكالاً وألواناً ، أصبحت لا تأتيهم إلا خطاً : شجر الأراك أم كل ذي شوك ، وأثلاً يشبه الطرفاء ، وشيئاً قليلاً من سدر ، فليأكلوا شائكاً ، وطرفاء لا ثمر لها ، وسدراً قليلاً!

فتلك اصابة لهم في مأكلهم ومن هنا الى مسكنهم الطريف :

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرْبَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً وَقَدَرَنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيِّرُوا فِيهَا لَيَالِيٍّ وَأَيَامًاً آمِنِينَ﴾ (١٨).

«.. فـ... قـومـ كانـتـ لهمـ قـرىـ متـصلـةـ يـنظـرـ بـعـضـهـمـ إـلـيـ بـعـضـ ،ـ وـأـخـارـ جـارـيـةـ وـأـموـالـ ظـاهـرـةـ فـكـفـرـوـا بـأـنـعـمـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ وـغـيـرـوـا مـاـ بـأـنـفـسـهـمـ مـنـ عـافـيـةـ اللـهـ ،ـ فـغـيـرـ اللـهـ مـاـ بـهـمـ مـنـ نـعـمـةـ وـالـلـهـ لـاـ يـغـيـرـ مـاـ بـقـوـمـ حـتـىـ يـغـيـرـوـا مـاـ بـأـنـفـسـهـمـ فـأـرـسـلـ اللـهـ عـلـيـهـمـ سـيـلـ الـعـرـمـ فـغـرـقـ قـرـاهـمـ وـخـربـ دـيـارـهـمـ وـذـهـبـ

. وسلم) وما سبأ؟ ارض او امرأة . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فييامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تشاءموا فلهم وجذم وغضان وعاملة واما الذين تيامنا فالازرد والأشعريون وحمير وكندة ومدحج وأنمار فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنمار؟ قال : الذين منهم خثعم ومجيلة.

بأموالهم وابدّلهم مكان جنتيهم ..»<sup>(١)</sup>

**﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** هي القرى الشامية ، و **﴿فُرِئَ ظَاهِرَةً﴾** هي الباهرة في مهرهم ، الظاهرة ببركاتها ، قرية المنازل ، متقاربة المحطات ، مقدرة السير ، محدودة المسافات **﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾** تقديراً متناسقاً لا يخرج المسافر من قرية الا ويدخل في اخرى مثلها ، فلا تختص امنة السير فيها بالنهار ، بل **﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيٍ وَأَيَامًاً آمِنِينَ﴾** ! وما ألطفها مسافات في تلکم السفرات السافرات ، قراها الظاهرة هي لصق بعض ، لا يخلد بخلد المسافر انه ناء عن منزله الا نزهة ولذة.

ويبدو انما كانت لهم نعمة سابعة لاحقة للسابقة ، وكان الله أبدّلهم إياها بجنتيهم امتحان الامتهان فكفروا ثانية :

**﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُرَزِّقٍ**  
**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** (١٩).

فقد غلت عليهم الشقاوة ولم ينتفعوا من النذارة الاولى ، فاما دعوا الله دعوة حمقاء **﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾** كأنهم يرفضون النعمة بعد النقمـة ، ام يستاءون من رحمة بعد رحمة ، فما دائهم وما دوائهم إلا اجاية الدعوة **﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾** في هذه الدعوة **﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾** قبل هذه الدعوة بما بغو وطغوا ، فاستجبيت دعوـتهم البـراءـةـ الخـواـءـ إذـ كـانـتـ بـطـراءـ حـمـقـاءـ **﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾** يتـحدـثـ عـنـهـمـ فيـ كـلـ نـادـ كـامـثـولـاتـ لـكـلـ حـمـقـ فيـ عـمـقـ كـيفـ يـدـعـيـ الـربـ لـازـالـةـ النـعـمـةـ إـلـىـ نـقـمـةـ؟ـ **﴿وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُرَزِّقٍ﴾**

(١) في الكافي باسناده عن سديـر قال سـأـلـ رـجـلـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ (عليـهـ السـلامـ) عنـ الآـيـةـ ...

عن كل رباط وملصق فلم يبق لهم وصل إلا إلى فصل ، في أوطانهم وأسفارهم ، حيث بثروا العمة ولم يصيروا على المختة.

لقد فرق سباً ومنزق ايادي سبا في أنحاء الجزيرة مبدّدي الشمل ، وعادوا أحاديث الهرء على الألسنة بعد ان كانوا امة حضارية غالبة المصدر ، عالية المورد ، ذات وجود في الحياة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ﴾ صبرا في البأساء وشكرا في النعماء ، بل وصبرا في النعماء والبأساء وشكرا في النعماء والبأساء !.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَنَّهُ فَأَتَبَعَهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍ وَرِثْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ (٢١).

«لقد» تأكيدان اثنان أن ﴿صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَنَّهُ﴾ في أبعاد بعده ، حيث أرغم ظنه صادق اليقين ، ام وجده صادقا عليهم كأنهم لا يشكون في صدقه فيعاملونه عمل اليقين ، بما صدق قوله عند الله : ﴿فَيَعِزُّكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٨) : وقالته الأخرى ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ حيث المتبع خير من التابع ، ومن التابعين من هو أكفر من إبليس ! فقد وقع العباد في مربع من فخ إبليس دون نجاة الا بصدق اليمان ! وهم في «عليهم» كل العباد لمكان الاستثناء إذ لم يكن في سبا فريق من المؤمنين ، مهما كان المحور لذلك التصديق هم سبا واصراهم فإنهم التجوالة العليا لرحلات الشيطان ، ثم و «عليهم» تدلنا على ان مربع التصديق كان «عليهم». ومن ثم لم ينج المؤمنون كلهم ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم صادقوا اليمان ، واما البسطاء ، واما اتباع الشهوات ، فهم سيقة الشيطان مهما كانوا مؤمنين : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فالقلة القليلة من المؤمنين مخلصين ومخلصين هم الذين لا يتبعون إبليس في أحلك الظروف وأهلكها ، وليس

ذلك التصديق الكاذب للعين بسلطان له عليهم : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وكما يصدقه هو إذ قضي الأمر : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِعُصْرِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِعُصْرِنِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٤ : ٢٢).

انه لا سلطان له على اي انس او جان ، لا حجة تقبلها العقول ، ولا قوة تسير ذوي العقول ، وانما مكرا وخداعا وكذبا ، ولماذا الله جعل له سلطان المكر والخداع؟ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ...﴾

و «نعم» هذا كما في أشباهه هو من العلم العلامه السمه ، لا العلم المعرفة ، فلكي يسم الله ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ بسمة الایمان ، ويعلم ﴿مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍ﴾ بوصمة اللايمان ، لم يكن الله ليصد عنهم سبيل الشيطان.

هذا! ولكي يقضى على فوضى الادعاءات الجوفاء ، ويقف ويوقف كل مدع عند عمله في تحرية من سلطان الشيطان! ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ لا يفوت منه فائت ولا يفلت منه فاللت ، فليس اتباع الشيطان فلتة خارجة عن حيطة الحفيظ ، فان حرته في تصديق ظنه حفيظ على صدق المؤمنين وكذب الكافرين ، حفيظ على كافة الموازين في كل تقوى وطغوى!

وانما يختص من بين شعب الایمان واللايمان هنا الآخرة ، لأن الایمان بها هو الرادع الأصيل عن اتباع الشيطان ، فرب مؤمن بالله وبرسله لا يؤمن بالآخرة لا يردعه ذلك الایمان كما تردعه الآخرة!

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَأَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالَ ذَرَةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا مَمْ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُوْيِنَ الَّذِينَ أَخْفَثْنَاهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

**﴿قُلِ اذْعُوا ..﴾** امر تعجيز بصيغته ، ناحية منحى ابلغ نحوه وأكده ، وهو بالنسبة للعاكفين على دروب الضلال ، المcriين فيها **﴿قُلِ اذْعُوا ..﴾** ما لكم نفس او نفس ، ولسوف تعلمون انهم **﴿لَا يَكُونُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾** من تحويل او تحويل في ملك الله كآلهة ، إذ **﴿مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ﴾** في شيء منهما ، ثم **﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾** يعاون الله في قطمير ! فلا هم شركاء الله ، ولا هم معاونوه ! فالله ظهير لمن سواه على اية حال ، اللهم إلا في ظلمهم ، و **﴿مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾** ! ثم الشفاعة فيما تجوز

**﴿لَا تَنْفَعُ﴾** مهما حاولوها **﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾** بشروطها للشافعين والمشفع لهم .

وعلى الشفاعة المنفية هنا هي ليوم الدنيا حيث هم ناكرؤن يوم الدين فضلا عن شفاعته ، ثم وهي في تكوين وتشريع هنا كما يدعونها **﴿هُوَ لَاءُ شُفَاعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾** شفاعة التقريب الى الله زلفى : **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا﴾**

إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿٤﴾ وليست الا باذنه ولم يأذن لهم ، واما شفاعة التشريع فلا اذن فيها حتى لا فضل النبئين ، وقد تشمل الشفاعة لما بعد الموت ، حيث المتكلم عنها هنا هو الله دونهم . ثم و ﴿فُرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ دون «فرع عن قلوبهم» دليل زوال الفرع عن قلوبهم بعد واقعه ، وإذا كان «هم» هنا هم الشافعون باذنه ففيما . إذا . الفرع حتى يفرّع؟ .

عَلَّهُمْ لَأَهْمَمْ قَبْلَ اذْنِهِ تَعَالَى فَرْعَوْنَ حِيثَ يَتَرَصَّدُونَ أَمْرَهُ ، فَانِّي انتَظَارُ الْأَمْرِ فَرَعَ الْدَّهْشَةَ لِمَوْقِفِ الْمَأْمُورِ وَمَا يَؤْمِرُ ، وَفَرَعَ الْخُوفَ حِيثَ ﴿يَخَافُونَ رَهْمَمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ (١٦ : ٥٠) والفرع هو التأثير والانقباض من الخوف ﴿حَتَّى إِذَا فُرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ حين يأذن لهم بشفاعة في تكوين حيت هم عمال رب العالمين ، ثم يفعلون ما يؤمرؤن ، فهنا لك ﴿فُرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ل الواقع الأمر وتطبيقه ، وكما هم فيما بينهم يتساءلون مستبشرین ﴿قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ !

ذلك! ولا نختتم ان «هم» هم المشركون ، حيث لا يفرع عن قلوبهم على أية حال ، وهم فرعون في ضيق قلوبهم ويوم القيمة هم من المفضوحين .

فالشافعون بحق ، الراصدون اذن رحسم ، هم فرعون ، فكيف إذا لم يؤذن لهم ألم يكونوا بحق؟ ، فأين . إذا . ﴿هُوَ لَاءُ شَعَاعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ واين هم من «يقربونا ﴿إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وليس لهم من الأمر شيء؟

ثم وبوجه عام كان ملائكة الوحي عملا وغير عمالة فزعين من انقطاع الوحي في الفترة بين المسيح (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، ناظرين وحي الشرعة بما سبقت لهم بشارة بذلك الوحي

الأصيل ، ولم تكن لهم شفاعة وتدخل فيها ، فصبروا طويلاً **﴿حَتَّىٰ إِذَا فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾** حين بزغ وحي القرآن على قلب نبي القرآن ، فاستغرقوا فرحاً مستبشرين متسائلين بعضهم البعض : **﴿مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾** وبعد ذلك الردح العظيم ، مما وحي العمالة عندنا امام وحي القرآن بشيء **﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾** الذي لا حول عنه ولا تحويل ولا تجديل ولا تدرجيل ، حق تابت لا حول عنه ، ولا تحريف ولا نسخ ولا تبديل **﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**! . ام ان ذلك هو طبيعة الوحي وماهيته ، حيث يفزع قبل حصوله انتظارا له ، ويفزع حين حصوله قرعا على اهله ، ثم يزول الفزع بعد استقرار ..<sup>(١)</sup>.

**﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** دون ان يعلى عليه ويستكير ، فهو الله لا سواه ، وهو الرب ليس الا إيه ، وهو الرزاق ذو القوة المتين دون شفاعة شفيع إلا

(١) البرهان ٣ : ٣٥١ القمي في رواية أبي الجارود في الآية «وذلك ان اهل السماوات لم يسمعوا وحيها فيما بين عيسى بن مريم (عليه السلام) الى ان بعث الله جبريل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمع اهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا فصدق اهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبريل كلما مر باهل السماوات فرع عن قلوبهم يقول : كشف عن قلوبكم ، فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير.

وفي الدر المنشور ٥ : ٢٣٦ . اخرج جماعة عن التوادع بن سمعان قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَحِّيَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخْذَتِ السَّمَاءَ رِجْفَةً شَدِيدَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ وَسَلَّمَ ) تعالى إِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أهْلَ السَّمَاوَاتِ صَعَقُوا وَخَرُوا سَجْدًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبَرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى أَنْ بَعْثَ اللَّهِ فَيَكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَحِيهِ بِمَا أَرَادَ فَيَمْضِي بِهِ جَبَرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كَلَمَا مَرَّ بِسَمَاءَ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رِبَّنَا يَا جَبَرِيلَ فَيَقُولُ : قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مُثْلُ مَا قَالَ جَبَرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَيَنْتَهِي جَبَرِيلُ بِالْوَحْيِ حِيثُ امْرَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

من اذن له ، إذا فهو هو الشفيع والشافعون عمال لتحقيق الشفاعة حيث الدار دار  
الأسباب :

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤).

«قل ... قل .. قل ...» ضربات كأنها مطارق تدفع بالحججة ، وتوضح الحججة ، في جولات تلو بعض حول قضية الشرك والتوحيد ، جولات تطوف بالقلوب في مختلف مجالات الوجود ، بمواقف مرهوبة ترجم فيها الأوصال ، وتتغير الأحوال بغيار الأحوال ، كل ذلك في ايقاعات قوية وادبية تصدع بقاطع البرهان في قوة وسلطان!

«قل» لم يدعون من دون الله شفاء وآلهة ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ روحيا او ماديا «قل الله» حيث يصدقون الله كإله الأصل وانما الاختلاف في الشبكات ، فلانه رسول الله وهو لسان الناس عن فطرة وعقلية اصيلة فليكن هو الجيب «قل الله». ثم وفي نطاق الخلاف بينك وبينهم في اصول وفروع عقائدية وطقوس دينية فمجاملة في الحوار بإظهار الحق اليقين بمسرح الشك ، ولكنني تحذّبم من الشك الى اليقين دون مفاجئة بتصريح القول الحق : «نحن على هدى وأنتم في ضلال مبين» بل ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ  
لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ :

لا تخلوا من بيننا هدى وضلال مبين ، وعلى الشاك في ضلاله وهداه أن يحاول الخروج عن ضلال الشك الى هدى اليقين! وانما غاية النصفة والاعتدال في ادب الجدال ان ينبرى رسول الحق بلا تحتم لضلالهم ولا هداه ليشير فيهم التفكير في هدوء دون إذلال لهم في طرح القول : انهم هم في ضلال ، حيث الجدل بذلك الأسلوب المهدب الموجي الشهي أقرب الى لمس القلوب المقلوبة ، لو ان لها منفذنا الى النور!

ومن ثم الى حلقة ثانية للحوار اعمق اديبا وأعرق في اجتثاث جذور التعتن والاستكبار :

**﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥).**

حيث يسايرهم في تهمة الإجرام انه ومن معه كأنهم الجرمون ، فلستم أنتم . إذا . مسئولون ، وإنما الجرمون هم أنفسهم مسئولون ، ثم لما يأتي دورهم في نسبة الاجرام لا يفصح عنه بما أفصح لنفسه ، وإنما **﴿وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** اجراما وسواه ، ف **﴿كُلُّ نَفْسٍ إِمَّا كَسَبَتْ رَهْبَنَةً﴾** **﴿وَلَا تَرْزُ وَازْرَةً وَرَزْ أُخْرَى﴾**.

وبهذه اللمسة اللامعة يخطئهم في خرافة الطائر ، ولكي يفكر كل في نفسه لنفسه ، دون محاولة لتخطئة الآخرين ، ومن حال الخاطئين تلطيخ المصلحين ليجعلوهم كما هم فيستريحوا منهم !.

والى حلقة ثالثة لو اننا عينا عن ان نفتح بيتنا بالحق :

**﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحُقْقِ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)﴾** فذلك الجمع ليوم الجمع ضرورة لا محيد عنها ، والأقل تقدير فتحا بيننا بالحق ، حيث العلم الحيط والعدالة والحكمة تقتضي ذلك الفضل الحكيم من **﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾** ! : **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفُتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ قُلْ يَوْمَ الْفُتْحِ لَا يَنْفَعُ الدِّينَ كَفَرُوا إِنَّمَا كُفُّرُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾** (٣٢ : ٢٩).

ان الإقرار بوجود الله العلي القدير ، الفتاح العليم ، لزامه تقرير يوم للفتح بين المخالفين في توحيد الله والإشراك به ، فإذا لم يفتح هنا فلا بد من فتح في الأخرى وهي هي يوم الحساب ! فليس الفتاح العليم ليترك الأمور مختلطة إلا إلى حين ، ثم وهو لا يجمع بين المحقين والمبطلين إلا ريثما يقوم الحق بدعونه ويبذل طاقته ويجرب تجربته ثم يمضي أمره ويفصل

فصله ويفتح فتحه ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ !

﴿قُلْ أَرُوْيِيَ الَّذِينَ أَحْقَقُمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧).

«اروني» هؤلاء الشركاء الملحقين المقطعين ، الذين هما مادة الخلاف . الاصلية . بينما ، لكي نقدم فتحا هنا بينما قبل الأخرى ، «اروني» من ربوبياتهم متقابل ذرة ، بل هم المربيون كسائرخلق أجمعين ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ على ﴿الَّذِينَ أَحْقَقُمُ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ . «الحكيم» في ربوبيته دون حاجة الى شركاء مقطعين!

فعزته تعالى وحكمته هما حجتان قاطعتان كل شركة في ألوهيته ، دامغتان كل شريك له ، ولو ان عزته وحكمته غير كافية فباحتى شركائه الفروع هم أذل واوهى! ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ (١) الْحَكِيمُ﴾ !

«اروني» إياهم رأى البصر والبصرة ، لزى هل فيهم من ميزات الربوبية شيء ، فأصنامهم ميتة ، وطواوغهم طاغية من حزب الشيطان ، وكرمائهم كالملائكة والنبيين هم ﴿عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فأين الربوبية في سواه؟ ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ !

وفي «اروني» لمحات من استنكارات واستخفافات : أرونيهم ما هم؟ من هم اين مكانهم ومكانتهم؟ وكيف استحقوا ذلك الإلحاد ، وإذا هم آلة كما الله فكيف ما ألحقهم هو بنفسه ، ام ما لحقوا هم أنفسهم اليه ، حتى كنتم أنتم عبد لهم تلحقونهم بالله؟ ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ !

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨).

آية منقطعة النظير بحق البشير النذير ، عن رسالته الكافية للناس ، دلالة صارمة على ان رسالته خاتمة الرسالات حيث تكف الناس كل الناس

عما يجب كفهم عنه من مختلف المحظورات والمحذورات.

فذلك الرسول هو كافة للناس مبالغة بالغة في الكف والكفاف ، مهمما كانت الرسائل السابقة كفا دون كفاف ، فإنما كانت رسالات تحضيرية تعبد الطريق لهذه الكافية للناس .

والكاففة من الكف العضو حيث يكفي ، ومن الكف مصدرا ، وهما المعنيان مبالغة فيهما هنا ، فهو كف فيه الكفاية ليكفي كل الناس عن كل المحاظير ، فقد تشمل الدعوة كل الناس ولكنها لا تكفيهم ، وقد تفهم كلهم ولكنها لا تشملهم ، وهذه الدعوة الكافية تشملهم كلهم <sup>(١)</sup> في كف واحدة وتكفيهم ، فيا أيها الناس ﴿اذْهُلُوا فِي السَّلِيمِ كَافَةً﴾ <sup>(٢)</sup> : ٢٠٨ ) دخولا للكل وكفا عن خطوات الشيطان بوحدة جامعة! .

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٣٧ . اخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أعطيت خمسا لم يعطهن النبي قبلى بعثت الى الناس كافة الى كل ابيض واحمر ... وي تفسير البرهان ٣ : ٣٥١ القمي باسناده الى حفص الكناسى قال سمعت عبد الله بن بكر الدجاني قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) اخبرني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أرسل عامة للناس؟ أليس قد قال الله في محكم كتابه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ﴾ لأهل المشرق والمغرب واهل السماء والأرض من الجن والأنس هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟ قلت : لا ادري قال يا بن بكر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخرج من المدينة فكيف ابلغ اهل المشرق والمغرب؟ قلت : لا ادري ، قال : ان الله تعالى امر جبريل فاقلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر الى اهل المشرق والمغرب وبخاطب كل قوم بالاستheim ويدعوهم الى الله والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة الا ودعاهم النبي بنفسه .

أقول «مثل راحة في كفه» استفادة لطيفة من «كاففة للناس» ولكن الكافية لا تستلزم .

انه ﴿كَافَةُ الْنَّاسِ﴾ ككل «ولو كان لربك شريك لأنتك رسلا» وإذا لشريكه او شركائه رسل فارونيهم ، فإذا لا رسل من الحقتم به شركاء فأين الربوبية؟.

انه ﴿كَافَةُ الْنَّاسِ﴾ في رسالته المبشرة المنذرة ، وحين يحصل الكف للناس كل الناس ، عن كافة المخطوطات طول الزمان وعرض المكان فليكتفى عن إرسال رسول بعده ، فما ذا بعد الكافية إلّا تحصيلاً لحاصل ام تضييعاً؟ فهذه الآيات من آيات رسالته العالمية ، الخاتمية ، فلا يرسل بعده من رسول ، كما لم يرسل معه ، والذين أتوا قبله كانوا رسلاً لتبسيط الطريق لرسالته السامية الخالدة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ رسالته وكافته وبشارته ونذراته ، او «لا يعلمون» الربط العريق بين رسالته الوحيدة والربوبية الوحيدة. كما «لا يعلمون» ان الرسالة الكافية لا تسمح لرسالة اخرى معها او بعدها عن الله الواحد فضلاً عن ﴿أَحْقَتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾!.

و «لا يعلمون» انه وهو رسول ليس له من الأمر شيء إلّا ﴿تَبَشِّرُ أَنَّذِيرًا﴾ فهم يتطلبون إليه آيات إلهية خارقة العادة كأنه مخول فيها ، ام موكل عليها ، كما ويقترون عليه علم الساعة :

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) ترى وما هي الربط

. الدعوة بنفسه ، فان لزم فهل دعاهم بعد موته؟ ايضا . بنفسه ، ولو انه دعى كلا بلغته كانت فيها الكفاية عن الكتب التي بعث الى الملوك والرؤساء ، وكفاهم حجة قبل ان يسمعوا الى قرآنه ويرروا سائر برهانه ، وأطن تتمة الحديث من مقدمات الوضاعين! . ثم المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعارضه الآيات الدالة على عمومية الرسالة لا ول العزم وروابطها ، إلّا ان تعني الكافية في طول الزمان الى يوم القيمة مع المشاركة في عرض المكان لردح من الزمن.

، إلا نكرانا على نكران؟.

أترى أحدهم حين يسئل متى قوت وهو لا يدريه ، هل له أو لك نكران موته وكل  
يعلم موته؟

ام حين يسأل متى ولدت وهو لا يدربي؟ هل يحصل هنا شك في انه ولد لوقت ما؟  
ذلك السؤال ، المتعنت الجاهل مكرور مدور على ألسنة الناكرين ل يوم الدين ، معتبرين  
جهله (صلى الله عليه وآلها وسلم) مبتاه ويجهل أصله في مدها ، ولا رباط عقidiya وعلميها بين  
مدها ومبتاه؟!.

سؤال ساقط من ينكر يوم الدين ام يقر ، وليس الا تعنتا وزورا وغرورا من سائل  
﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثم الجواب الحاسم المكبت :

﴿فَلَمَّا كُنْمِ بِيَعْدُ يَوْمٌ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٠).

ان وعد الله واقع لا ريب فيه ، علمتموه ام لم تعلموا مبتاه ﴿لَكُمْ بِيَعْدُ يَوْمٌ﴾ موتا ، او  
هلاكا ، او جعا ﴿يَوْمَ الْجُمُعَ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعْيِ﴾ . ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ  
عَنْهُ سَاعَةً﴾ لرغبة عنه ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عنه ساعة لرغبة فيه ، فليس وعد الميعاد فوضى  
جزاف ، يؤخر لرغبة ، او يقدم لأخرى ، فكل شيء مسيّر ومصير بقدر ، وكل امر منه  
متصل بالآخر بحكمة مستورة لدى العزيز الحكيم.

(٣٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رِجْمٍ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَخْنُ صَدَّنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوَا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجَزِّئُنَّ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْتَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَاكُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا رُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَرَاءُ الْضَّعْفِ إِمَّا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ حُمْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)

فَالْيَوْمَ لَا يُمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ  
بِهَا تُكَدِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا  
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْلَكٌ مُفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤)  
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا يَلَعُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ (٤٥)  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَنُرَى ... (٣١).

قوله جاهلة قاحلة من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في استحالة الایمان بالقرآن وما

بين يديه من كتاب ! فحتى لو تاكدوا . فعلا . من بطانة لكان الاستحالة باطلة ، حيث الحال لا تحكم على الاستقبال ، فرب حال ترى أنها من الحال لقصور في العلم او القدرة ، ثم يتحول في الاستقبال من راجحة الأحوال.

اجل في الضروريات العقلية الثابتة لدى كل عاقل قد يصح القول الصامد «لن . او . حتما» مستحيلا ام واجبا ، واما غير الضروريات البدائية ، فضلا عما تدل بنفسها على حقها كما القرآن ، فكيف يصح القول ﴿لَنْ تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ أللهم إلّا ان يخبروا بمدى ثائمتهم وعنادهم للحق ، دون قصور في القرآن ، ولكنهم على عنادهم قد يتحولون الى حالة اخرى !

ف . «لن» في مثل القرآن ليست لتصدق او تصدق على أية حال ، وهم يرفضون بما حاضر اليمان ومستقبله بالقرآن ، عنادا.

فالقرآن بنفسه شاهد صدق يفرض على من يتدبّره اليمان به ، ويرجح لمن لم يتدبّر ، واما إحالة اليمان فليست إلّا من إغلاق باب العقل والفطرة لحد ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْأَعْوَاقُ فِيهِ لَعْكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٤١ : ٢٦) !

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم المشركون واضرائهم من غير الكتابيين مهما كانوا موحدين ، و﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ صيغة دائبة في سائر القرآن عن سائر كتابات السماء ، إلّا فيما تقرن بقرينة تدل على الحياة الأخرى .. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيائهم .. فانما الحياة الأخرى بعد مستقبل الاولى ، ولكن ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تخصه بضميرها المفرد ولا تخصه الاخرى ، اضافة الى قرن ﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . ﴿بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ فما بين

يديه قرآن غير هذا من التورات والإنجيل ، مهما كان اطلاق القرآن منصراً إلى هذا القرآن ! ولما وصل الحوار إلى هذه الحال من التعنة النكراء ، فلا تفيد بعدها مواصلة الحوار ، من هنا يستعرض حوار أهل النار ، كجواب لهم عما هنا :

﴿... وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١).

ترى كيف ﴿لَوْ تَرَى ...﴾ و «لو» تحيل مدحوها؟ على الرؤية يوم الدنيا ، ف . «لو» تلوى للترجي : يا ليت ترى في الحال حوارهم البائس في الاستقبال؟ وكما في ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ...﴾ (٦ : ٢٧) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (٦ : ٣٠) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (٦ : ٩٣) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُلَائِكَةُ﴾ (٨ : ٥٠).

ثم لما يحضر واقع المسرح للأخرى كأنه الحال ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّفَرَّغِينَ في الأَصْفَادِ﴾ (١٤ : ٤٩) ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِدَةً﴾ (١٨ : ٤٧) ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ إِمَّا فِيهِ﴾ (١٨ : ٤٩).

﴿... إِذَا الظَّالِمُونَ﴾ في العقائد الرئيسية كالذين ذكروا ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ زجا في سجنه وفقة الحائرتين الذعنين نظرة الحكم من رب العالمين ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ الظالم المستضعف إلى الظالم المستكبر وعكسا ، حيث يلوم بعضهم بعضا ، ويؤنب بعضهم بعضا ، إلقاء لتبعة ما هم فيه على بعض ، و «القول» هو ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ مقصرين لا قاصرين للذين استكبروا «مقصرين لولا أنتم لكننا مؤمنين» ! وليس

التبعه إلـا علـيكم ، إـذ كـنا نـحن قـاصـرين ، ولو خـلـينا وـأـنـفـسـنـا لـكـنا مـؤـمـنـين .  
 قوله جاهـرـة الـيـوـم وـقـد سـقـطـت الـقـيـم الـزـائـفـة وـوـاجـهـوا وـاقـع الـعـذـاب ، وـهـم قـبـل الـيـوـم لـم  
 يـكـن يـخـلـد بـخـلـدـهـم اـن يـقـولـهـا ، حـيـث التـخـاـذـل ، وـالـضـعـفـ الـقـاصـد ، وـالـاسـتـسـلـامـ الـمـصـلـحـيـ  
 ، وـبـيعـ الـحـرـيـةـ وـالـكـرـامـةـ بـالـأـركـسـ الـأـدـنـى ، كـانـت تـحـول دونـ هـذـه القـوـلـةـ الـجـاهـرـةـ ، وـهـنـاـ الجـوابـ  
 الـخـاـسـمـ مـنـ الـدـيـنـ اـسـتـكـبـرـواـ .

**﴿أَنْهُنْ صَدَّنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾** (٣٢) وـالـهـدـىـ تـحـلـ مـحـلـهـاـ مـنـ قـلـوبـ  
 صـافـيـةـ ، فـلـيـسـتـ لـتـصـدـ بـعـدـ إـذـ جـاءـتـ **﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾** قـبـلـ اـنـ نـصـدـكـمـ ، فـقـدـ  
 أـجـرـمـتـ ثـرـةـ الـحـيـاةـ تـغـاضـيـاـ عـنـ فـطـرـكـمـ وـعـقـولـكـمـ ، وـتـحـكـيمـاـ لـحـاضـرـ شـهـوـاتـكـمـ ، ثـمـ نـحنـ وـاـصـلـاـنـاـ  
 فيـ إـسـالـلـكـمـ : ظـلـمـاتـ بـعـضـهاـ فـوـقـ بـعـضـ ، فـنـحـنـ وـإـيـاـكـمـ صـادـوـنـ عـنـ الـهـدـىـ عـلـىـ سـوـاءـ ،  
 فـانـ كـنـاـ نـحـنـ مـجـرـمـينـ مـسـتـكـبـرـينـ ، فـقـدـ كـنـتـمـ أـنـتـمـ مـجـرـمـينـ مـسـتـضـعـفـينـ ، وـكـلـ إـنـاءـ بـماـ فـيـهـ يـرـشـحـ!  
 ثـمـ يـرـجـعـ الـمـسـتـضـعـفـونـ بـماـ يـخـفـفـ عـنـهـمـ فـيـ زـعـمـهـمـ عـذـابـهـمـ ، وـيـقـلـ عـلـىـ الـمـسـتـكـبـرـينـ :  
**﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾** (٣٣) .

لوـ اـنـاـ بـقـيـنـاـ عـلـىـ جـرـمـنـاـ دـوـنـ مـكـرـ وـأـمـرـ مـنـكـمـ لـخـفـ الـوـطـءـ عـنـاـ وـكـنـاـ اـقـلـ مـنـكـمـ عـذـابـاـ  
**﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** مـنـ نـاحـيـةـ وـنـحـنـ ضـعـافـ الـعـقـولـ ، وـ **﴿إِذْ تَأْمُرُونَا ...﴾** مـنـ اـخـرىـ  
 وـأـنـتـمـ أـقـوـيـاءـ ، وـلـكـنـ الـذـيـ جـائـهـ الـهـدـىـ عـلـىـ بـيـنـةـ كـيـفـ يـمـكـرـ ، اـمـ الـذـيـ يـؤـمـنـ بـهـاـ كـيـفـ يـكـفـرـ  
 حـيـنـ يـؤـمـرـ؟ـ وـالـكـفـرـ وـالـإـيمـانـ مـنـ الـأـمـورـ الـقـلـبـيـةـ لـاـ إـكـرـاهـ فـيـهـاـ ...

هناك يدرك الفريقان من الظالمين ان ليس الحوار ليشمل تخفيفا عن عذاب أم تأجلا ،  
فلكل جريته وإثمه ما هو ظالم قدره ، ثم على المستكبرين تبعة زائدة لإضلال الآخرين ،  
والمستضعفون عليهم وزرهم باتباعهم مقصرين ، لا يعفون لهم كانوا مستضعفين ، كما لا  
يعفي المستكبرين ان هؤلاء كانوا مجرمين.

فهنالك تختتم الحوار برؤية العذاب وحيث لا تفيق الحوار :

﴿... وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ كل من المستضعفون والمستكبرين ﴿وَجَعَلْنَا  
الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهي في الحق تلكم الأغلال التي غلوا بها أنفسهم ، غل  
الاستضعفاف وغل الاستكبار ، واين غل من غل؟ واين عذاب من عذاب؟ ﴿هَلْ يُجَزِّوْنَ إِلَّا  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ غالا بغال : و ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرَكَ  
الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا إِنَّا مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤).

فلان ماهية الرسالات الإلهية وطبيعتها هي الحفاظ على العدل بين الناس ، والقضاء  
على تطاولات المستكبرين والطغاة والمترفين في اللذات والحيوانات ، لذلك كانت تعارض منذ  
بزوغها من قبل المترفين فلم تكن . إذا . خلاف ما يزعم . بجانب الرأسمالية وتخديها  
للمستضعفين (١) فـ .

(١) الدر المثور ٥ : ٢٣٨ . اخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي حاتم عن ابن زيد قال كان رجالان شريكان خرج  
أحدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كتب الى صاحبه يسأله ما فعل  
فكتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارتة وأتى صاحبه فقال له دلني عليه وكان

**﴿إِنَّا إِمَّا أَرْسَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَنفُسِ الْأَنْوَارِ وَإِمَّا كَانَ مِنْ كُلِّ دَلِيلٍ﴾** دون تأمل وتحليل ، وتغاضيا عن كل دليل ، هي كلمة المترفين على مر الزمن الرسالية ، معاذة مكرورة في كل قرية ، حيث الترف يغلظ القلوب ويفقدها كل حساسية عقلية ولمسة فطرية ، لحد يحسبونهم هم الموضوع الرئيسي والمحور الأساسي في الحياة ، وان أموالهم وأولادهم هي مانعاتهم من العذاب في الأخرى كما تمنعهم في الأولى ! :

**﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْدِينَ﴾** (٣٥) ولو كان هنالك عذاب فاما هو للمستضعفين فلنا الترف في كل طرف من أطراف الحياة : **﴿وَلَئِنْ أَذْقَاهُ رَحْمَةً مِّنْنَا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءٍ مَّسَّنَا لَيُقَوِّلَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطْنَى السَّاعَةُ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَحْسَنِي﴾** (٤١ : ٥٠). وي! كأنما الأموال والأولاد هي التي تقر لهم الى الله زلفى فلا يعذبون ، وليس هي من حسن اعمالهم ، ولا انما منهم حتى ولو كانت حسنة لهم :

**﴿فَلَمَّا كَانَ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (٣٦).

إنهم يحسبونهم ان بأيديهم بسط الرزق وقدره ، وهم يرون كثيرا من يسعى مجددا فلا يجد سعة إلا قدرها ، وآخرين لا يسعون كثيرا . ام . ولا قليلا وهم بسط في الرزق ، وهذا لا ينافي الضابطة المطردة : **﴿وَلَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾** فاما بسط الرزق وقدره في أكثرية ساحقة خارجان عن مدى السعي والبطالة **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** حيث يزعمون

. يقرأ الكتب فأتنى النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقال : إلى م تدعوه قال (صلى الله عليه وآلها وسلم) : الى كذا وكذا قال : اشهد انك رسول الله قال ما علمك بذلك قال : انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآيات .. فأرسل اليه النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ان الله قد انزل تصديق ما قلت.

بسطه بما هم يسيطون وقدره بما هم يقدرون ويقدرون! فمسألة بسط الرزق وقدره هي من أهم ما تحيك في صدور كثيرة ، فحين تتفتح الدنيا بخارفها على المبطلين ، ويحرم بمنهم الآخرون ، يخيل الى الجهل ان الله ليس ليعدق على احد الا وله عنده زلفي ، ولا يغلق على أحد الا البعيدين عنها ، وذلك حين ما تختل الموازين والقيم ، وتختلط القيم الروحية والمادية فتختلف فوضويات من الظنون الدينية ، ولكن :

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِإِلَيْتِي ثَقَرَبُكُمْ عِنْدَنَا رُلْفِي إِلَّا مِنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُنْ جَزَاءُ الْضِعْفِ إِمَّا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْسَرُونَ﴾ (٣٨).

ف . ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِيَّنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلَأً﴾ (٤٦ : ١٨)

فاما تقربكم الى الله زلفي ، ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الایمان وعمل الصالحات ، فالاموال والأولاد التي تستخدم لمرضات الله هي خير عند ربك ثوابا وخير املا ﴿فَأُولَئِكَ هُنْ جَزَاءُ الْضِعْفِ إِمَّا عَمِلُوا﴾ عملا مضاعفا فاصل الایمان وعمل الصالحات عمل ، والأموال والأولاد التي تستعملهم في صالحة خيره فلك منها ثواب ، وكما على الذين يعملون طالحات ، ويستعملون أموالهم وأولادهم في طالحات ،

(١) القمي ذكر رجل عند أبي عبد الله (عليه السلام) الأغنياء ووقع فيهم فقال (عليه السلام) اسكت فان الغني إذا كان وصولا لرحمة بارا باخوانه أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ ... إِلَّا مِنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُنْ جَزَاءُ الْضِعْفِ إِمَّا عَمِلُوا ...﴾.

أولئك هم ضعف العذاب ، فاما الجزاء خيرا وشرا على قياس العمل ضخامة ووخرامة :

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ مستعملين أموالهم وأولادهم في سعيهم الفاسد الكاسد

﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ وكما كانوا في بوات العذاب محضرین ، حضورا بحضور ، بل هو هو نفس الحضور ف . ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩).

﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سبيل الله أموالا وأولادا ، واعمالا وأقوالا وأحوالا ، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ : إبدالا بالحسنى وهو خير الرازقين في الاولى وفي الاخرى ، وليس بسط الرزق لأهل الطغوی إلا امتحان الامتهان .. ﴿إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٣) :

.!(١٧٨)

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠) قالوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَا مِنْ دُوْنِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٤١).

خطأ في خطأ من كانوا يزعمونهم يعبدون الملائكة ، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ ويحسبونهم ملائكة حيث أروهم أنفسهم ملائكة ولكي يعبدوا ، وليس الملائكة ليروا أنفسهم للموحدين ، فضلا عن المشركين الذين يبغونهم ان يكونوا لهم عابدين. ام ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ حيث امروهم ان يعبدونا ، فالمعبد الأصل لهم هم الجن دوننا ، إذ لم تكن هناك صلة بيننا وبينهم حتى يعبدونا دون وسيط.

وعلى أية حال «سبحانك» ان يبعد من دونك ﴿أَنْتَ وَلَيْسَا مِنْ دُوْنِهِمْ﴾ تلي كل امورنا ، وتعلم ما نخفي وما نعلن ، فتعلم اننا ما كنا نرضى هذه العبادة بوسیط دون وسيط ، فقد كانت عبادکم الحمقاء هباء على هباء

ونحن . كما تعلم . منها براء ! فانها عبادة فاضية فوضاء .

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَنَعْلُمُ لِلّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ إِنَّمَا تُكَدِّبُونَ﴾ (٤٢).

«لَا يملِكُ» نفي استغراق في ذلك اليوم ، فالنفع والضر مسلوبان لكل أحد عن كل أحد عابداً ومعبوداً إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذوق العذاب ف . إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ! وهنا تختتم الجولة في قضية المبدأ والمعاد ، وإلى جولة لما بين المبدأ والمعاد :

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدِّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُونَ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْلَكٌ مُفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٣).

آيات بینات هي في دعوahم افک مفترى وسحر مبین ، مقابلة الحق المبين برواسب  
غامضة من آثار مضت وتقالييد غيرت دون قوام متماسك على اي أساس !  
فآبائنا هم الأصلاء في هذا المسرح وسواء ، و ﴿ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا  
كان يَعْبُدُ آباؤكُم﴾ وكفاه كذبا ، ف «ما هذا إلا كذب مفترى» على الله إذ لا يرضى ان  
نترك آباءنا ..

ومن ثم في مواجهة عامة لآيات الله البينات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

فاللهم القولة الفاتكة «ما هذا . ما هذا . ان هذا» تبني اصالة تقاليد الآباء لا لشيء إلا أئمّه آباء! أو لم يكن الآباء الموحدون الإبراهيميون هم من آبائهم؟ فليشكوا على أقل تقدير في دعوة التوحيد فيتحرروا ويتخذوا الأخرى في عقوفهم!.  
وليتهم أتوا من قبل كتابا يدرسونها أم أرسل إليهم من قبلك من نذير ،

حتى يرتكنوا في هذه السلبيات على ما أتوا! ولكن :

**﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشاً رَسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ (٤٥)**

فقد عاشوا فترة انقطاع الوحي والرسالة ، فلا كتب يتعاهدون ولا رسول ، فان  
يكذبون هؤلاء فقد **﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** وهم أولاء **﴿مَا بَلَغُوا مِعْشاً مَا آتَيْنَاهُمْ﴾**  
هؤلاء الغابرين من علم ومال وقوة **﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾** ي عليهم على قوتهم من إهلاك  
وتدمير ، فما أنتم بشيء تذكرون وجاههم!

وقد كانت قريش تعرف بعض هذه المصارع الغابرة ، وهنا التهديد بتلك الغابرة ،

ولكي تنتبه الأجيال الحاضرة **﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾؟**

كذلك **﴿وَمَا بَلَغُوا﴾** ما أرسلنا من نذير من قبلك . **﴿مِعْشاً مَا آتَيْنَاهُمْ﴾** الحاضرين  
في مسرح الرسالة الحمدية (صلى الله عليه وآلها وسلم) فانه اotti ما أتوا زيدات خالدات  
(١).

**﴿فَلَمَّا أَعْظَمْنَا بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مُثْنِي وَفُرَادِي ثُمَّ تَنَفَّكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾**

(١) البرهان ٣ : ٣٥٣ . القمي في الآية قال : كذب الذين من قبلهم رسلاهم وما بلغ ما آتينا رسلاهم معشار ما  
آتينا محمدا وآل محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم).

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي  
 إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَامَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ  
 جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فِيمَا أَصْلَى عَلَى نَفْسِي وَإِنْ  
 اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتٌ وَأَخْدُلُوا مِنْ  
 مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّهُمُ الشَّاُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ  
 قَبْلٍ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَجِيلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاوِهِمْ  
 مِنْ قَبْلٍ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ (٥٤)

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَئْنِي وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْاحِبُكُمْ مِنْ جِهَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦).**

«إنا» دليل الحصر «أعظكم بـ موعضة «واحدة» واحدة تمثل في قومة واحدة متضمنة الأصول الثلاثة ، تحلاً عن أسر الآثار التقليدية للآباء القدامى وأثارها البئسية التي تجعلكم كأنكم لا شيء وهم أولاء كل شيء. كما وهم كانوا يقتفيون آثار آبائهم فتسلا للاشيء! فالى قومة صارمة تخلّكم عن الكونية الجوفاء والنفسية الفارغة الخواء ، وتحللكم تفكرون وتدبرون أموركم بأنفسكم ، خروجا عن الحياة الهاشمية كالماشية!

«قل» للناكرين أولا وللمصدقين ، فإن التصديق بحاجة إلى تقدم على ضوء القيام الدائب والتفكير **﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِنُ﴾**!

«إنا» ليس إلا كلمة واحدة ونصيحة واحدة ، تضم كافة الكلمات ، وتحلق على كافة الوحدات والكثارات.

**﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾** قياما فطريا . عقليا . فكرييا . علميا . فرديا . جماعيا ، قيامة عن نومكم وموتكم المأسورة الحصورة في التقاليد الجاهلة العمياء ، بعيدا عن الأهواء والمصلحيات والملابسات الأرضية ، وعن المواقف والدوافع والعواطف التقليدية ، التي تتشجر في القلب فتشجره وتتجزره ، بعيدا عن التيارات السائدة في البيئة الجاهلة القاحلة.

**﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾** في الله وإلى الله بما منحكم الله من فطرة سليمة وعقلية عليمة ، وكل موهبة إلهية حكيمه! **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** (٢ : ٢٣٨) فإن الحياة الإنسانية وعلى ضوء شرعة الله هي حياة القيام لله! .

**﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَئْنِي وَفُرَادَىٰ﴾** : اثنين اثنين متعاونين . و . « فردا فردا ، مما ضم الثاني في ذلك القيام إلا ضما لقيام إلى قيام. ولكي يكمل

السير الى الله بازدواجية القيام ، فإذا لم يحصل الانضمام ، أم اضرر بالقيام ف «فرادي» متحللين عن كافة موانع القيام ، عن ثنيات وثنويات التقاليد الجاهلة العمياء! .

ف **﴿أَنْ تَقُومُوا لِلّهِ﴾** هي فريضة لكل فرد فرد ، قومة في قرارات النفوس ، وقومة عن نومة الفطر والعقول في كافة الحقول ، فليس «مثني» الا ليراجع أحدهما الآخر فأخذ كل ما عند الآخر ، فتصبح اخذه راية شورى ، ثم تعاوينا في تطبيق ، دون تأثر بعقلية الجماهير الخاطئة ، ام الأكثريّة التي تتملى منها العيون الظاهرة ، فإذا اضرتكم «مثني» فقوموا . إذا . «فرادي» .

**﴿إِنَّمَا تَنَفَّكُرُوا﴾** فإنه في الأصل قيام فكري على ضوء العقل والفطرة ، والفكر حركة من المبادئ ومن مبادئ الى المراد ف «تفكرموا» في ذلك القيام ، إنما تتبنى آيات انسانية واخرى آفاقية ، مستخدمين لها للوصول الى الحق المرام . فطالما يرمي «صاحبكم» بالجنون ، والرامون كثيرون متوفون ، فلا تغرنكم هذه الكثرة المتراءكة ، بل :

**﴿إِنَّمَا تَنَفَّكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾** : الذي بصاحبكم من جنة تدعى ، فما هي ؟ وما هي آثارها وتبعاتها؟ وقد صاحبكم رحرا بعيدا دون جنة **﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيهِمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** (١٠ : ١٦) .

أفلا تكفي تلك المصاحبة منذ الولادة حتى الأربعين ان ليست به جنة؟ وأنتم تعتبرونه في هذه الفترة اعقل العقلاء؟ ثم إذا ما دعاكم الى ما قبله الفطر والفكر أصبح ذا جنة! .

**﴿إِنَّمَا تَنَفَّكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾** ليس بصاحبكم من جنة ، ذاتية ام خارجية ، فلئن تعاضيتم عن انه اعقل العقلاء ، فلأقل تقدير **﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾** يصدر عن عقل ويرد الى عقل فتفكرموا ...

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ عذاب بين يديكم إذ يستقبلكم ويأتيكم ، وكل آت قريب حاضر ، والجائحة في النذارة عقلية حائطة ، وحتى عن نذارة مجنون ، فكيف بعاقل فضلاً عن أعقل العقلاه! .

وكيف بمن يملك من بینات الله ما يبين انه رسول من الله ، وما اولى الرسل قبله  
معشار ما اوليه!

«ايها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ الله ورسوله اعلم! انا مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هو كذلك ابصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم!» (١).

﴿فَلَمَّا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧).

لقد سبق انه (صلى الله عليه وآله وسلم) سألكم المودة في قرباه بصيغة الأجر ﴿فَلَمَّا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٤٢ : ٢٣) فخيّل الى بعض انه يسأل عليه من اجر ، وهنا يوضح انه «لكم» حيث المودة في قربى الرسول تحركم من أبوابهم الى مدينة علمه ، ثم الى الله ﴿فَلَمَّا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٣٥ : ٥٧) فكانوا هم السبيل إليك والمسلك الى رضوانك.

فلست أسألكم أنت من اجر ، مهما كان صيغة الأجر ف ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢).

(١) مستند احمد بن حنبل حدثنا ابو نعيم بشير ابن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما فنادى ثلث مرات ايها الناس ...

(٢) راجع آية الشورى في سؤال الأجر تجد تفصيل البحث في قول فصل.

خذلوا أنتم الأجر الذي سألكم إياه ، واجعلوه زاداً لتعرف أكثر إلى المبدء والمعاد ، وصاحبكم الذي هو بين المبدء والمعاد ، نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد.

**﴿قُلْ إِنَّ رَبِّيٍّ يَقْدِفُ بِالْحُقْقِ عَلَامُ الْغَيْوَبِ﴾ (٤٨).**

**﴿إِنَّ رَبِّيٍّ يَقْدِفُ بِالْحُقْقِ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ ! ﴿بَلْ نَقْدِفُ بِالْحُقْقِ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٢١ : ١٨) فليس الباطل يقذف الحق ، **﴿إِنَّ رَبِّيٍّ يَقْدِفُ بِالْحُقْقِ﴾** لأنه **﴿عَلَامُ الْغَيْوَبِ﴾** الحق يحمل الغيوب والباطل لا يملك حتى الشهود ، ف **﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾**؟**

وكذلك **﴿إِنَّ رَبِّيٍّ يَقْدِفُ بِالْحُقْقِ﴾** في قلوب أهليه وهم الذين يتحررون عنه وهم به مؤمنون ! **﴿فَلَمْ جَاءَ الْحُقْقُ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩).**

لقد جاء حق تلو حق منذ بزوغ الرسالات ، ولكن الحق كل الحق إنما جاء جديدا صار ما عتيدا مهيمنا على سائر الحق ، خالدا على مر الزمن بم الحق !

**﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾**? إظهاراً لأمر بدائي بديع لم يسبق؟ كلا «ما يبدئ» : وليس

لبيدي! .

**﴿وَمَا يُعِيدُ﴾**? من غابر الباطل الدفين ليحضر به الحق **﴿وَمَا يُعِيدُ﴾** : ليس بمعيد

شيئاً ! (١).

فحين لم يجيء كل الحق ما كان الباطل يبدئ شيئاً أو يعيد ، فكيف إذا **﴿جَاءَ الْحُقْقُ﴾** (كله). ف **﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾**? ثم **﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾** في الأولى **﴿وَمَا يُعِيدُ﴾**

في الأخرى ، فإنه زاهق في الأولى وفي الأخرى!

(١) فـ «ما» هنا استفهامية ونافية ، تعنيهما مع بعض وتلو بعض وما أفضحه وأبلغه!

أتقولون بعد اني ضللت وأنتم المهددون؟

﴿فَلَمْ يَرَهُ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِّي اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾

قَرِيبٌ (٥٠).

أترى حين يصح ﴿فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ فأين تذهب تبعه أتباع الضال وهو ظاهر بظهور داعية الهدى؟

﴿عَلَى نَفْسِي﴾ هنا لها واجهتان اثنان : ان رأس الزاوية في الضلال هو الضال مهما

ضل به غيره ، ومن ثم حين يتجرد الضال عن الدعوة الى ما هو فيه مسايرة في الحوار ، فهو هو المختص بضلاله ، ﴿وَإِنِّي اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي﴾ ويما له أدبا بارعا في الاعتراف بضلاله لولا هدي الوحي من ربها.

فلو كانت بي جنة فمن نفسي وعليها ، وان اهتديت دون زلة ولا ضلاله ﴿فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي﴾ انه سميع» دعوة الداعين «قريب» إليهم ، وقد تعني ضلال التوحيد دون ضلال فيسائر جنبات الرسالة ان لو كنت ضالا في دعوة التوحيد رغم بيناته فلا ضير لكم ان تعبدوا إلها واحدا.

وان اهتديت فهنا الضير كل الضير في تكذيب فإنه تكذيب لربى ! فلا عليكم . إذا . إن ضللت ، ولكن إن اهتديت فلان آثار الهدى في باهرة فعلكم . إذا . اتباعي !

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ : ليتك ترى الآن «إذ فزعوا» هؤلاء المشركون بأشلال الافزان : فزع

الرجعة والموت و «الفرع» الأكبر» (٢١ : ١٠٣) وهو المحور وهو الآخر!؟.

ثم ﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ تشملها كلها ، وحتى البعيد في قياسهم البعيد البعيد ، هو في تلك الأخذة الشاملة قريب : ﴿وَاسْتَمْعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥٠) . (٤١)

وكيف لا يكون قريبا وربك الأخذ منهم قريب ، وعلمه قريب وقدره قريبة وما ذلك من الله بعيد غريب ! وحين الرجعة عند قيام القائم بالحق يؤخذ المشركون أحياء وأمواتا من مكان قريب ، فكما حيهم في هذه الأخذة قريب ، كذلك ميتهم وما ذلك على الله بعزيز .<sup>(١)</sup>

(١) في تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال قال أبو جعفر (عليه السلام) والله لكتابي انظر الى القائم (عليه السلام) وقد أنسد ظهره الى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول : يا ايها الناس من يجاجني في الله فانا اولى بالله ، ايها الناس من يجاجني بأدم فانا اولى بأدم ، ايها الناس من يجاجني في نوح فانا اولى بنوح ايها الناس من يجاجني بإبراهيم فانا اولى بإبراهيم ايها الناس من يجاجني بعيسى فأنا اولى بعيسى ، ايها الناس من يجاجني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانا اولى بمحمد ، ايها الناس من يجاجني بكتاب الله فانا اولى بكتاب الله .

ثم ينتهي الى المقام فيصلي ركعتين وينشد الله حقه ، ثم قال ابو جعفر (عليه السلام) هو والله المضطرب في كتاب الله في قوله : أمن يحب المصطرب إذا دعا ويكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض .

فيكون اول من يباعده جبرئيل ثم الثلاثمائة والثلاثة عشر ، فمن كان ابنتي بالمسير واف ، ومن لم يتبل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول امير المؤمنين (عليه السلام) هم المفقودون عن فرشهم وذلك قوله : فاستبقوا الحيزات أينما تكونوا يأت بكم الله جميما . قال : الحيزات الولاية ، وقال في موضع آخر : ولعن آخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة . وهم اصحاب القائم (عليه السلام) يجمعون اليه في ساعة واحدة . فإذا جاء الى البيداء يخرج اليه جيش السفياني فيأمر الله عز وجل الأرض فیأخذ بأقدامهم وهو قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

وانه لا فوت في هذه الأخذة القريبة الغريبة لات حين مناص ، إذ فات زمن الخلاص! .

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّ هُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢).

هم في الأخرى ﴿وَأَخْلُدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ إلينا ، ثم لا تناوش لهم ولا تناول للأولى ، وقد بعدوا بهذه الأخذة القريبة عنهما ، ف ﴿أَنَّ هُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو دار الجزاء ، لاستحالة النقلة الى دار العمل! .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣).

أَنَّ هُمْ ﴿آمَنَّا بِهِ ... وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ و ﴿أَنَّ هُمُ التَّنَاوُشُ .. وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ﴾؟! حال «ويقذفون» من قبل «بالغيب» قذف الإبطال والاستكبار ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو الأولى عن الأخرى ، وهو بعد العلم فيها عنها ، والآخرة غيب عن الدنيا ، وهم غيب عنها فكيف ﴿يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾

. وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ [يعني بالقائم من آل محمد (عليهم السلام)] ﴿وَأَنَّ هُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ... وَجِيلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني ان لا يعذبوا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَا عِيهِمْ﴾ يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا ﴿مِنْ قَبْلٍ إِنَّمَا كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ﴾.

والروايات مستفيضة من طرقنا وطرق إخواننا كما في الدر المنثور بطرق عدة عن ابن عباس وابن مسعود وحديفة وأبي هريرة وعمر وبن شعيب وام سلمة وصفية وعائشة وحفصة ونفيرة امرأة القعقاع وسعيد بن جبير عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ومن ألفاظه ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني عن ام سلمة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم): يياع الرجل من امتى بين الركن والمقام كعدة اهل بدر فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير اليه رجل من قريش أخواه كلب فيهزمه الله ...».

مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿؟!﴾ .

انهم يقولون ما لا يعلمون ولا يتحققون ، كالرامي غرضا وبينه وبينه مسافات متباعدة ، فلا يكون سهمه ابدا إلا قاصرا عن الغرض عادلا عن السد.

**﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَا عِهْمٌ مِنْ قَبْلِ إِنْجَمْ كَانُوا فِي شَلَّ﴾**  
مُرِيبٌ (٥٤) .

وعلى هنا «من قبل» يصدق الشمول ليوم الموت والرجعة ، فان فيهما (من قبل ومن بعد) واما الآخرة فهو يوم الجمع **﴿وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاهِرِينَ﴾** ثم «من قبل» في موقف القيامة عليه «قبل» رتبي ، أم إن الحيلولة هي في موقف الحساب والعقاب وله من قبل ومن بعد **﴿كُلُّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أَخْتَهَا﴾** !

وعلي أية حال فالمحور الرئيسي هنا هو الآخرة ، والأوليان تلحقانها من باب الجري كما استفاضت به الرواية.

و «ما يشتهون» هنا تعم شهوة الضلاله التي كانوا يعيشونها ، فحيل بينهم وبينها ، والهدى التي هنا يرجونها ف «انهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد كان لهم مبذولا من حيث ينال» <sup>(١)</sup> وهو في الأولى ، كما **﴿حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾** ألا يذبوا في الاخرى : **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْدِينَ﴾** (٣٥)

الا وكل «ما يشتهون» عنهم منفية ، وكل ما يكرهون لهم قضية ، فهم عائشون هناك الحيلولة بينهم وما يشتهون ، كما عاشوا هنا وما

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٥ . القمي بسنده عن أبي حمزة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله : وأن لهم التناوش من مكان بعيد قال : انهم ..

يشتهون ، جزاء بما كانوا يعملون ﴿إِنَّمَا كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ يريب الضعفاء كأنهم على بينة من شكهم فهم بذلك الشك المريب يتشككون!.

سورة فاطر مكية

وآياتها خمس وأربعون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِكَ هُنَّ حَنَّ حَنِيفَةٍ مَّا تَنَزَّلُ إِلَيْهِنَّ بَعْدُ وَلَا يَرْجِعُونَ  
 وَرُبَّ عَبْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا  
 يُمْسِكُ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا  
 نَعْمَاتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ  
 ثُوفَكُونَ (٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبْتُ رُسُلِيَّ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَا أَيُّهَا  
 النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ  
 عَدُوٌ فَلَا تَخْلُدُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنَاً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ (٨)

سورة تسمى باسم من اسماء الله «الفاطر» فانها كسائر السور من «الفاطر» وهنا

تَبْدِأ بِفَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

ثم واسم لها آخر «سورة الملائكة» قضية البداية بها بعد الفاطر ، فهـي اسـم لها بـعد الفاطـر ، كـما وـاـنـهم بـعـد الفـاطـر.

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِكُنَّا مُشَفِّعِي وَثَلَاثَةٍ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 هنا ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ مبرهننا بالربوبية المطلقة رحمانية : ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعبيراً عن الكون كله ، ورحيمية : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ...﴾ ونجد الرحمتين مع ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في خمسة اخرى بغيار يسير في صيغة التعبير <sup>(١)</sup>.

(١) «فَلَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ أَنَّكُنَّ نَحْنُ الْمُنْتَصِرُونَ وَلَيَأْتِيَ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ» (١٢ : ١٠١) «قَالَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُؤْمِنِينَ

ولأن الفطر هو الشق ، إذا فالسموات والأرض مشتقتان عن مادة مخلوقة قبلهما ،  
المعبر عنها في هود بـ «الماء» وكما فصلت فيها وفي آيات من فصلت والأنبياء <sup>(١)</sup> .  
**﴿... جاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾** وذكر الملائكة مختلف صيغها (٨٨) في القرآن كله  
، مما يدلنا على مدى أهميتها في رسالاتهم الروحية وسواتها في ميزان الله.  
وقد وصفهم أمير المؤمنين وقائد الغر المجلين (عليه السلام) بقوله : «خلقتهم  
وأسكتنهم سماواتك ، ليس فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا فيهم معصية ، اعلم خلقك  
بأك ، وأخوف خلقك منك ، واقرب خلقك إليك ، وأعملهم بطاعتك ، لا يغشيمهم نوم  
العيون ، ولا سهو القلوب ، ولا فترة الأبدان ، لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تتضمنهم الأرحام ،  
ولم تخلقهم من ماء مهين ، أنشأتهم إنشاء فأسكتنهم سماواتك ، وأكرمتهم بجوارك ، واثمنتهم  
على وحيك ، وتجنبتهم الآفات ، ووقيتهم البليات ، وطهرتهم من الذنوب ، ولو لا قوتك لم  
يقووا ، ولو لا تشيك لم يثبتوا ، ولو لا رحتك لم يطعوا ، ولو لا أنت لم يكونوا.  
أما إنهم على مكاناتهم منك ، وطاعتهم إليك ، ومنزتهم عنك ، وقلة غفلتهم عن  
أمرك ، لو عاينوا ما خفي عنهم لاحتقرروا اعماهم ، ولأزروا

. فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنبكم .. » (١٤ : ١٠) «  
عَلَمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (٣٩ : ٤٦) «فاطر السماوات والأرض جعل  
لَكُمْ مِنَ الْفَسِّكِنْ أَرْوَاحًا .. » (١١ : ٤٢).

(١) الآيات ٩ - ١٢ من فصلت و ٢٩ من الأنبياء.

على أنفسهم ، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، سبحانه خالقاً ومبعداً ما أحسن بلائك عند خلقك!»<sup>(١)</sup>.

وهنا «لو عاينوا» إحالة لمعاينتهم هذه ، وتلميحة أنه (عليه السلام) عاين ما لن يعاينوه ، وعلم ما لم يعلموه!.

«جاعل» بالنسبة للملائكة بعد «فاطر» لسائر الكون ، تغاض عن لحمة خلقهم كيف هو ومم هو؟ فانما جعل الرسالة الملائكية ، وقد يلمح لأنهم إنما أنشئوا إنشاء من المادة الأم أماهيه ، دون تطور بتطوير ، وكما أشار إليه الإمام (عليه السلام) : ثم و ﴿أُولَئِنَّ أَجْنَاحَةٍ ..﴾ بيان لكيف هم بعد خلقهم؟ أن لهم اجنحة هي على الأكثر ﴿مَثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ وقد يقل فيهم ﴿يَنِيدُ فِي الْخُلُقِ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً لأجنحة لهم زائدة على «رابع» ام لسائر الخلق ، وكما ﴿السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ : نظرية التوسيعة.

فلا وقفة في اصل الخلق وتطوره وكوره ، مشية مطلقة واسعة شاسعة ، في اصل الخلق وفرعه! .. ولأن «الملائكة» جمع محلّي باللام ، مما يفيد استغراق العام ، فهم . إذا . كلهم دونما استثناء ، من ملائكة الوحي إلى النبيين ، والعمال في سائر التكوين ، من رسول الإمامة : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦١ : ٦) والكرام الكاتبين والمصوريين في الأرحام والمهدلين : «وما جاءت رسالتنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية (٣١ : ٣٠) وسائر عمال رب العالمين.

والأجنحة جمع الجناح آلة الطيران أيakan ، ريشا وسواء كأجنحة

(١) تفسير البرهان عن القمي وقال امير المؤمنين (٣ : ٣٥٧).

الطائرات فلا تختص بريش وزغب ، بل هي كما تناسب كيانهم ، إن نورانيين أماهيه فأجنحة نورانية أماهيه؟.

وعلى أية حال فهم . على كونهم ملائكة . صنوف في أججنتهم ووظائفهم ودرجاتهم وكما يقول سيد الساجدين وزين العابدين» :<sup>(١)</sup> ولا

---

(١) في الصحيفة السجادية وكان من دعائه على حملة العرش وكل ملك مقرب : اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسييحك ، ولا يسامون من تقديسك ، ولا يستحسرون عن عبادتك ، ولا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك ، ولا يغفلون عن الوله إليك ، وإسرافيل صاحب الصور الشاخص ، الذي يتضرر منك الإذن وحلول الأمر ، فينبئ بالنفخة صرعي رهائن القبور ، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك ، وجبريل الأمين على وحيك ، المطاع في سماواتك ، المكين لديك ، المقرب عندك ، والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك .

اللهم فصل عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك ، واهل الامانة على رسالاتك ، والذين لا يدخلهم سامة من دوّوب ، ولا إعياء من لغوب ولا فتور ، ولا تشغلهم عن تسييحك الشهوات ، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات ، الخشوع الأنصار فلا يرثون النظر إليك ، التواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك. المستهترون بذكر آلاتك ، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كربلايك ، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تفر على أهل معصيتك : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! . فصل عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك ، واهل الرلفة عندك ، وحمل الغيب إلى رسلك ، والمؤمنين على وحيك ، وقبائل الملائكة الذين اختصتهم لنفسك ، وأغنتهم عن الطعام والشراب بتقديسك ، وأسكنتهم بطون سماواتك ، والذين هم على أرجائها إذ انزل الأمر بتمام وعدك .

وخران المطر وزواجر السحاب ، والذي بصوت زجرة يسمع زجل الرعد ، وإذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق ، ومشيّعي الثلج والبرد ، والهابطين مع قطر المطر إذا نزل ، والقائم على خرائن الرياح ، والموكلين بالجبال فلا تزول ، والذين .

نجد في القرآن مذكورة باسمه إلّا جبريل وميكال ام والروح ان كان من الملائكة ، اللهم إلّا بشغله كالكرام الكاتبين : ﴿وَمَا مِنَ إِلَّا لَهُ مَقْعُومٌ﴾ (٣٧ : ١٦٤) مقاما في كيانه ومقاما في عمله.

ومهما يكن من شيء في كونهم فليسوا إلّا انباثا لطيفا من المادة الام كسائر الموارد ، مهما كانوا من أطفالها ، كما تدل على ذلك آيات خلق الكون ككل.

ومهما يكن من أمرهم ، فهم بأجنبتهم عمال امر الله ، دون استقلال لهم بحسب الله ، او استغلال من امر الله ، بل هم اداة لتحقيق امر الله ، لا حاجة له إليها ، بل لأن الكون مسرح الأسباب ، وهو تعالى مسبب الأسباب.

انهم . بأمر الله . يجمعون كافة الخطوط بخيوطها في نظم بارع ونضد رائع ، في قبضها وبسطها ، وشدها وإرخائهما ، اللهم إلّا ما لکائن فيه اختيار ، ولكن . أيا كان . ليس اختيار تفويض كما لا إجبار .

. عرفتهم مثاقيل المياه ، وكيل ما يحويه ل الواقع الأمطار وعواجزها ، ورسلك من الملائكة الى اهل الأرض يعکروه من ينزل من البلاء ، ومحبوب الرخاء . والسفرة الكرام البررة ، والحفظة الكرام الكاتبين ، وملك الموت وأعوانه ، ومنكر ونكير ، ومبشر وبشير ، ورؤمان فتنان القبور ، والطائفين بالبيت العمور ، ومالك والحزنة ، ورضوان وسدنة الجنان ، والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والذين يقولون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، والزبانية الذين إذا قيل لهم : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه . ابتدروا سراعا ولم ينظروه ، ومن ألمتنا ذكره ولم نعلم مكانه منك ، وبأي امر وكلته ، وسكن الهواء والأرض والماء ، ومن منهم على الخلق . فصل عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد ، وصل عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم ...

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

ان الله تعالى . بملائكته العمال . هو الفاتح لرحمة ، وهو الممسك لها لا سواه ، فلا يجعلوا الله الأبدال الأمثال ! وليس خزائن رحمته إلا ملكه في ملكه : ﴿فَلَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأْمَسْكْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (١٧ : ١٠٠) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ الْعَزِيزِ الْوَهَابِ﴾ (٣٨ : ٩) إذا فلا فاتح لها إلا هو ، ولا ممسك لها بعد فتحها ام قبله إلا هو !

و «من رحمة» تستغرق كل رحمة مادية وروحية ، تدفقا على من يشاء ، أو إغاثة عنمن يشاء ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في فتحها وإمساكها ، إذ لا ممسك لها ولا مرسل «من بعده» إرسالا وإمساكا «الحكيم» فيهما ، فتحا بحكمة وإمساكا بحكمة دونما فوضى جزاف ! هنالك تقطع عن شبهة كل حول وكل قوة إلا بالله ، حيث تغلق كل الأبواب إلا باب الله ، فلا تدق من الأبواب إلا باب الله.

فكـل نـعـمـة يـمـسـكـها الله تـنـقـلـبـ نـقـمـةـ ، وـكـلـ نـقـمـة تـحـفـهـ رـحـمـةـ الله تـنـقـلـبـ نـعـمـةـ ، فـقـدـ تنـامـ عـلـىـ شـوـكـ بـرـحـمـةـ اللهـ إـذـاـ هوـ مـهـادـ ، اوـ تـنـامـ عـلـىـ حـرـيرـ وـقـدـ أـمـسـكـتـ عـنـكـ رـحـمـةـ إـذـاـ هوـ شـوـكـ القـتـادـ !

ترى يوسف في غياب السجن هو في رحمة الله حيث يبتعد هناك عن سخط الله : ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ وهناك العزيز وامرأته في نعمة البلاط وهم في نعمة الله ، وكما ظهرت لهم بعد روح من الرمن . هنالك رحمات والطاف خفية إلهية لا يدركها إلا أهلوها ، خليطة باشواك ، ظاهرة بمظاهر الها لا ، ولكنها باطنها فيها الرحمة وظاهرها من قبلها العذاب !

ليست هنالك . وفي دار المحن وتناسل الذرية . رحمة خالصة دون تعب وشغب ، فحين تعيش مع الله ، راضيا بمرضاة الله ، ملتزما طاعة الله ، فلا عليك أن يضيق سائر الرزق ، وتخشن سائر الحياة ، ويشوك المضجع ، فإنه حياة الرحمة والراحة ، حيث تعيش أصل الرحمة . وحين يعكس الأمر حيث فقد الزلفى الى الله ، فكل رحمة سواه نعمة ورحمة ، إذ ليست فيها طمأنينة : ﴿أَلَا بِدِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْفُلُوبُ﴾ !

من الخلقة من يعيش الرحمتين : ظاهرة وباطنة ، ومنهم من يحرمهما فوا ويلاه ! ومنهم من يعيش الروحية ويحرم الظاهرية ، ومنهم عكسها ، وقد يفضل الثالثة على الأولى حيث الأجر على قدر المشقة ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وكما نرى السابقين الأقربين من عباد الله محروميين . في الأكثر . عن النعم الظاهرة ، وقليل من هم ، الجموعة لهم ظاهرها الى باطنها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ !

وإذ لا رحمة إلا من الله فتحا وإمساكا ، فمن ذا نرجو إلا الله؟ ومن ذا خاف إلا الله ، «ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»!  
 ثم ﴿فَلَا مُسِكَ لَهَا﴾ كما ﴿فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ تعني من دون الله ، وحين ان الرحمات كلها هي من الله وإرسالا وإمساكا ، فباحتى ان تكون رحمة الهدایة بشرعية سواها ، منحصرة في الله ، منحصرة عمن سوى الله! فما يفتح من هدى فلا مسک لها إلا هو ، وما يمسک فلا مرسل له الا هو ، وقد أرسل رحمة الشريعة الاخيرة دون إمساك فهي باقية حتى القيامة الكبرى ويا لها من آية وحيدة ترسم للحياة صورة جديدة يسيرة مديدة ، لو استقرت في قلب الإنسان لصمد للأحداث كالطود الوطيد وتضاءلت امامه الأشخاص

حيث تبید ، اللهم إلّا من يهدوننا الى الله زلفى باذنه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ !

وهكذا تصنع آية من القرآن العظيم من يتعاملون مع الحقيقة التي يمثلها ، دون إخلال الى جمال الألفاظ . فقط . ام كمال المعانى فحسب ، طالما يتذرعون هذه وتلك الى تمثيل القرآن في واقع الحياة بكل جمال وكمال !

وهذه الآية . ومعها سائر القرآن . هي بنفسها تكفي رحمة لا تبقى على رحمة حيث تسكب في القلب رحيقها بحقيقة المجردة ، فيها هي نموذج من رحمة الله لا مisk لها ، الا عمن اخذوا هذا القرآن مهجورا ، إذا فهو فيهم وليس فيهم ، يموتون عطاشا وهم يعيشون شاطئ بحره ، وخضم قعره ، و «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه» ! ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

وياليتنا نذكر نعمة الله المتواصلة ، ورحمته المتواصلة غير المتعاضلة دون غفوة عنها ولا

غفلة بوضمة عين ونبضة قلب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ ثُوفَكُونَ﴾ (٣).

«الناس» هنا كل الناس من ناس ونسinas حسب مختلف الدرجات والدرگات «اذكروا» لا بل لفظة لسان ، بل بالأعمال والجحان ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومنها انه منحنا بخطابه الكريم ، وقرأنه العظيم ، وفطرنا على توحيده ، ورزقنا من آيات آفاقية ونفسية رخيصة ندية ، نتذكر بها نعمة الله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾؟ فان معرفة الخالق بالوحدانية أعظم نعمات الله ورحماته !

ف «هل» سؤال من قرارات النفوس : عن فطرة ساذجة وعقلية

ناضجة غير مارجة ولا مازجة ، فهنا الجواب : كلا يا الله!

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ و «من» هنا لها موقعها المكين ، والقول إنما زائدة قوله زائدة مايادة ، حيث تجثت هنا كون اي خالق إلّا الله ، حتى من قد يسمى خالقا في كلام الله : ﴿وَإِذْ خَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً طَيْرًا بِإِذْنِي فَتَنَفَّخْتُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ فان «اذني» يخرجه عن حق الخالقية وحاقها ، فاما هو خلق «باذني» وليس دونه خلق حتى كهيئة الطير دون روح!

ومن شؤون الخالق ان يرزق الخليقة ، ف﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ..﴾ وإذ ليس غيره خالق ، ولا غيره رازق ﴿فَأَنَّى تُوفَّكُونَ﴾ صرفا الى غير الخالق الرازق وهو مخلوق مثلكم مرزوق؟!

... ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ رزقا للأرواح والأجساد ، فمن سعادات الولي ترزق أرواحكم ، ومن الأرض سماء الأرض ترزق أجdanكم!

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خالقا ورازقا ﴿فَأَنَّى تُوفَّكُونَ﴾ تصرفون كذبا وخداعا ، الى من لا يملك خلقا وهو يخلق ، ومن لا يملك رزقا وهو يرزق؟! ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾!  
 ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبْتُ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِنَّ اللَّهَ ثُرْجُعُ الْأُمُورِ﴾ (٤) :

لا تأسف على تكذيبهم ، فقد كذبوا رفاقك من قبل ، وما أنت الا رسول ، :  
 ﴿فَإِنَّمَا لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبْتُ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرٌنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُسَلِّمِ﴾ (٦ : ٣٤)!

ثم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ تصديقاً وتكذيباً وجزاء وفاقاً ، دونك والذين من قبلك!  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِنَّكُم بِاللَّهِ  
 الْغَرُور﴾ (٥).

**﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾** ل يوم الحساب ، والجزاء الوفاق «حق» ثابت لا حول عنه ولا تبديل ، الا  
 عجزاً او نسياناً ، ام ظلماً وعدواناً **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**!  
 وذلك الوعد الحق لا بد لكم ان تعيشوا ذكراه في حياة النسيان ، وحدار حدار **﴿فَلَا  
 تَغْرِنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** عن الوعد الحق **﴿وَلَا يَغْرِنَّكُم بِاللَّهِ﴾** في توحيده ووعده الحق «الغرور»  
 الذي يعيش غروراً وتلبيساً ، والشيطان هو رأس زاوية الغرور بذرية الحياة الدنيا «الغرور»  
 والنفس الأمارة بالسوء «الغرور» فحدار حدار من ثالوث الغرور ، الحائر محور الحياة الدنيا ،  
 فانها هي دار الغرور ومحالة الغرور : **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغَرُور﴾** (٣ : ١٨٥) و  
**﴿... مَتَاعُ الْغَرُور﴾** (٢٠ : ٥٧) و **﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾** (٨٧ : ٢٠). وياله من  
 ثالوث منحوس يثلث ذكره في الذكر الحكيم (٣١ : ٣٣ و ٥٧ و ١٤ : ١٤) وانها لمسة وجданية  
 صادقة حين يستحضر الإنسان صورة المعركة الصاحبة الدائبة بينه وبين عدوه الشيطان :  
**﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ  
 السَّعِير﴾** (٦).

فحين ذكره يتحفظ بكل قواه للدفاع عن نفسه ونفيشه ، دفعاً عن كل غواية وإغراء ،  
 مستيقظاً مداخل الشيطان الى نفسه ، متوجساً من كل حادثة

وهاجمة ليعرضها على حجة الله ، فعلّها خدعة مستسرا من عدوه القديم. استعدادا

دائماً لخوض هذه المعركة المصيرية ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ !

أمن العقل ان يتخد العدو صديقا ، اغترارا متواصلا متصل بغروره ، وقد غر من قبل

أبوبينا الأولين ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ! ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ كما أعلن منذ البداية ، ووعد

مواصلة العداء حتى النهاية : ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ﴾ إذا ﴿فَتَنَحَّذُوهُ عَدُوًا﴾ مبدئيا لا

طارئا قد يصدق بعد ما يعادي «إنما» ليس إلا ﴿يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ وهم كل من ينغر بغروره

﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير﴾ .

فهنا لك حزبان : حزب الله وحزب الشيطان ، وبينهما عوان مذبذب هو ايضا من

حزب الشيطان ، حيث الذبابة دعوته وكيانه ، ماهيته وبيانه ، اللهم الا من يعيش حياة

الإيمان فهو من حزب الرحمن مهما نال منه الشيطان إذ لا يخلو منه انس ولا جان ، إلا

المخلصين من عباد الله فليس له عليهم من سلطان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ :

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

كبير﴾ (٧)

قاعدة مطردة عادلة صارمة للذين كفروا وما توا كافرين ، والذين آمنوا وما توا مؤمنين ،

إلا أن العذاب الشديد لا يربو شد الكفر ، أو قد ينقص ، ومغفرة واجر كبير يربوan شدّ

الإيمان ، قضية العدل هناك والفضل هنا ﴿وَمَا رِبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ! ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءٌ

عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، فَلَا تَدْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حسواتِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨) .

أترى من ذا الذي يزيّن سوء العمل ليرى حسناً وهو إضلال؟ أم لا يزيّن فهو هدى؟  
فَإِنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ .. وَيَهْدِي .. ﴿٦﴾! وذلك التزيين لإضلال هو في الأصل من الشيطان حين يرى  
له ظراً قابلاً من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واضرائهم : ﴿.. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٢٩ : ٣٨).

ثم الله لا يهدىهم في هذه المعركة لأنهم هم السبب فيها مستبصرين ، فيدرهم في غيّهم يتبعون جراء بما كانوا يعملون.

إذا فلتزين هنا نسبتان ، نسبة الى الشيطان تعاملوا مع الذين كفروا ، ونسبة الى الرحمن حيث لا يحول دونه وإياهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَاهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٢٧) . (٤).

فلكل من الخيرات والشرور نسبة الى الله عدلا او فضلا ، مهما تنسب الى فاعليها خيرا او شرا ﴿فَلَا تُذَهِّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .

ولعمر الله ان ذلك مفتاح الشر كله ان يزَّين للإنسان سوء عمله فيarah حسنا ، معجبا  
بنفسه وكل صادر منه ووارد له ، فلانه واثق من عمله فلا يفتش عنه ولا عن مصدره ومورده  
، فهو من الأخسرین أعمالا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَخْسَبُونَ أَكْثُرُهُمْ لَكُحْسِنُوا﴾  
صُنِعَ

وانه باب فسيح للشر كله ، ونافذه السوء كله ، ومفتاح الضلاله كلها ، نموذج الضال  
الهالك ، البائر المائز ، السائر الصائر الى شر مصرير ﴿جَهَنَّمْ يَصْلُوُهَا فِيْسُ الْمَصْبِر﴾.

ورغم ان من كمال الإنسان التدرج الى كمال وأكمل ، وليس ذلك إلّا ان يعيش نقدا بكل يقظة في أموره ، فالذى يرى كل اعماله

حسنة ، ليس ليخلد الى خلده نقص وخطأ ، فهو مكبّ على وجهه ، مخلد إلى نفسه ،  
واقف لحّده السيء البعيس ، وهو يراه الحسن النفيس!  
فيما ويلاه حيث يهبط الإنسان الى ذلك الدرك المهين والضلال المبين ، وذلك بما  
قدمت يداه وان الله ليس بظلام للعبيد!

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّبَاخَ فَتَسْتَيْرٌ سَحَابًا فَسَقَنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
مَوْتِهَا كَذِلِكَ الشُّورُ﴾ (٩) مَنْ كَانَ يُبَيِّدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ  
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (١٠) وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا  
يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) وَمَا يَسْتَوِي  
الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ حَمَّاً طَرِيًّا  
وَتَسْتَخْرُجُونَ حِلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

فِيهِ مَا وَارِخَ لِتَبْغِيْعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي  
اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ بَحْرٍ لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ  
مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا  
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُوْنَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنَتِّلُكَ مِثْلُ حَبِّرٍ (٤)

جولات متتابعة في مسارح من الكون هي مصارح تعرض للبصائر بالأ بصار ، تدللا على توحيد المبدء ، وتوطيد المعاد .

ففي مشهد الحياة النابضة بعد الموت ، الناهضة المتواترة المتقاطرة على ذوات الميتات الأرضية حجة .

﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُشَيِّرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٩).

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ  
مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ كَذَلِكَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ﴾ (٧) :  
﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُشَيِّرُ سَحَابًا فَيُبْشِّطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا  
فَتَرَى الْوَدْقَ يَكْنُجُ مِنْ خِلَالِهِ إِذَا

أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّشُونَ。 ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحِبِّيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهِ إِنَّ ذَلِكَ لَمْحٌ لِّلْمُؤْمِنِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٠ : ٥٠).

هنا «أرسل» ماضيا ، ضاربة الى اعمق الماضي منذ خلقت الأرض والسماء وعمرتا ، وقبل خلق الإنسان فهو الآن أخرى ، وفي الروم والأعراف «يرسل» تدليلا لاستمرار ما مضى ما هما عامتان ، فذلك إرسال في مثلث الزمان! .

ثم الريح منها مغيرة آية العذاب كريح صرصر في أيام نحسات سبباً لموات نحسات ، ومنها مثيرة تثير السحاب ﴿إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ﴾ و ﴿بَلَدِ مَيِّتٍ﴾ لحياة وحياة!

فالريح المغيرة ترسل الى بلد حي للإغارة والموت ، والمثيرة ﴿إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ﴾ لإثارة الحياة ، ف «إلى» هنا تهدف صالح البلد كما تلمح له «البلد» في الأعراف.

والسحاب هو المسحوب من الجنة المياه الأرضية ، تسحب الى جو السماء ، ثم الريح الساخنة تثيرها ، ثم الباردة تقللها سحاباً ثقلاً حيث تتقللها وتكتشفها ، ثم بالتيارات الجوية في مختلف طبقاتها تساق بلد ميت اليه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهِ كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ !

دليل واعي مكرور امام الأعين غير منكور ، فكيف ينكر هؤلاء حياة النشور؟! فكما الله يعلم ميت البلاد فيحييها ، كذلك يعلم ميت العباد فيحييهم وأخرى ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فالعلم هو العلم والقدرة هي القدرة وإذا كان إحياء البلاد هنا فضلاً يجوز تركه ، فإحياء العباد عدل لا يجوز تركه ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ !

هذا! والى نقلة من حياة الجسم الى حياة الروح وهي أبل وأحرى<sup>(١)</sup> :

**﴿مَنْ كَانَ يُبِدِّلُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْنَعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّنَاتِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُو﴾** (١٠).

الحياة الدنيا بزهاتها وشهواتها هي حياة الغرور المسر المرة ، والحياة العليا الزاهدة هي حياة المقر العزة ، فخذوا من مركم لمركم ، ومن هرتكم لعزتكم!

فالعزّة بحق المعنى من الكلمة هي الله جمیعا ، إلا من يعتز بالله فعزيز بالله على قدره :

**﴿وَلَلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**.

و **﴿مَنْ كَانَ يُبِدِّلُ الْعِزَّةَ﴾** في اعماق الزمان والمكان أيًا كان وأيان ، فان «كان» تستأصل كل آصله وحاصله ومستقبلة ، فارادة العزة أينما حصلت طول الزمان وعرض المكان **﴿فَلَلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾** فلتطلب منه العزة لا سواه ، فالعقيدة الوثنية المتحللة عن التوحيد ، المهللة ، ليست لتحصل على أية عزة.

(١) الدر المنشور بسند عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يحيى الله الموتى؟ قال أما مررت بأرض مجده ثم مررت بها مخصوصة تحيى خضراء؟ قال : بلى قال : كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور والقمي في **﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾** حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن جحيل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا أراد الله ان يبعث الخلق أمرط السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم.

وارادة العزة قد تعني ارادتها لنفس العزيز ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ إذ يعز من اعز به ! وأخرى تحرّبها ملن يعبد عزيزاً ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ فله العبودية والطاعة جمِيعاً ! وأما إرادة العزة الإلهية ان تحصل للعبد كما هي لله فمستحيلة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ لا تعطى لسواه ! .  
فإن ﴿إِلَيْهِ يَصْنَعُ الدُّكْلُمُ الطَّيْبُ﴾ لا سواه ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ﴾ لا سواه ، فالعزّة جمِيعاً هي لله لا سواه ! والكلم اسم جنس جمعي يذَّكر مرة ويؤنث أخرى ، وهكذا يكون كل جمع لا يختلف عن واحده إلا بالتأء . ولأن الله تعالى ليس له مكان على فلا يعني صعود الكلم الطيب اليه اما هو ، صعودا من سفال الى عل في المكان ، فانما هي المكانة العالية له على كل من سواه وفي ذاته المقدسة ، فكل شيء لديه سفل وهو . فقط . العال . إذا فصعود الكلم الطيب اليه هو صعود في المكانة سماع القبول ، انه يبلغ رضاه على مداه وينال زلفاه دون ضياع ولا إهمال ولا ذرة متنقل .

صعودا إليه يوم الدنيا هكذا ، مهما يملأ فيه سواه ما يملأه ، وصعودا إليه في الأخرى إذ لا يملك الحكم فيه إلا الله ! فعبثنا بحاولون من يبعدون إلا الله في كلماتهم واعمالهم ونواياهم ، زعم أنها واصلة إلى معبوديهم لأنهم لديهم فإنهم : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّرُونَ بِشَرِّكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلَ حَبِِّ﴾ (١٤) ! إذا فـ ﴿إِلَيْهِ يَصْنَعُ الدُّكْلُمُ الطَّيْبُ﴾ دون سواه ، فعلينا إلا ندعوه إلا إياه ولا نرجو إلا إياه :

هنا كلام ونية ومعرفة وتصديق وعمل وتعامل مع الواقع ، هي لزام بعض البعض في تبني الطيب ، فما هو . إذا . الكلم الطيب؟ الطيب هو ما يستطاب في ميزان الحق ، فالكلم المستطاب لله ، وهو طبعا مستطاب لقائليه وسامعيه الطيبين ، انه في مثلث من الطيب وهو كماله وتمامه ، مهما

كان رأس الزاوية . وهو تمام الزوايا . هو الله . ولا يستطيع الكلم في الحق تماما ، الا بنية صادقة ، ومعرفة فائقة ، وتصديق لائق وعمل مصدق ، وتعامل مع الواقع ، وآخر المطاف في طيب الكلم هو العمل وفقه .

صحيح ان الكلم الطيب دون العمل تخطي منازله إلا العمل ، ولكن الذي يرفعه هو العمل الصالح : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ﴾ وفاعل الرفع للكلم الطيب هو العمل الصالح ، ومهما كان حق الفاعل هو الله ، فلا يرفعه الله الا بالعمل الصالح .

فالكلم ما لم يزود بزاده هو خبيث مهما اختلفت درجات خبثه حسب الدرجات ، فان العمل الصالح هو الذي يرفعه فالعمل الطالح يضعه <sup>(١)</sup> والحال عوان ، لا إليه ولا إلى ضده عوان بين رفعه ووضعه . وكلما زاد صلاح العمل زاد الكلم ارتفاعا ، كما كلما زاد طيب الكلم زاد صلوحا لارتفاع : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ..

ومن طبع الكلمة الطيبة ان ترتفع ثابتة دون زوال ، حتى يتلوها العمل الصالح فارتفاعا فوق ارتفاع : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ثُوْقٌ أَكْلَهَا كُلٌّ حِينٍ يَإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٢٤ : ١٤) . وكلما كان الكلم الطيب أسعد ، فهو بطبيعة الحال اسعد ثم ارفع ،

(١) في تفسير القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان لكل قول مصداقا من عمل يصدقه او يكذبه فإذا قال ابن آدم وصدق قوله بعمله رفع قوله بعمله الى الله وإذا قال وخالف عمله قوله رد قوله على عمله الخبيث وهوى به الى النار .

فالكلم الطيب الذي يطيب الجماهير المحتشدة ، دون اختصاص بـ**كلّمه** ، صعودها وارتفاعها  
هما بميزانية آثارها قضية الجزاء الوفاق وعند الله مزيد.

**ورأس الزاوية في ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> ثم يتلوها ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ومن ثم تتمة الولاية التوحيدية وهي الزاوية الثالثة ولاية علي (عليه السلام) والأئمة من ولده الطاهرين (عليهم السلام)**

فالكلم الطيب هو «الولاية» بصورة مطلقة ، الشاملة لهذه الثلاث ، وكل كلام طيب يتبنى التوحيد كأصل ، ومن ثم المعاد وهو لزام التوحيد ، كما النبوة ، ثم الولاية الرسالية المتمثلة فيمن يحملونها كما هي . إذا فالكلمة

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٨ . الطبرسي في الاحتجاج عن الأصبع بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) وقد سأله ابن الكوا قال : يا امير المؤمنين كم بين موضع قدمك الى عرش ربك؟ قال : ثكلتك أمك يا ابن الكوا اسأل متعملا ولا تسأل متعنتا ، من موضع قدمي الى عرش ربى ان يقول قائل مخلصا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ! قال : يا امير المؤمنين (عليه السلام) فما ثواب من قال : لا الله إلا الله؟ قال : من قال : لا الله إلا الله مخلصا طمست ذنبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض ، فإذا قال ثانية : لا الله إلا الله مخلصا خرق أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتى تقول الملائكة بعضها لبعض : اخشعوا لعظمة الله ، فإذا قال ثالثة مخلصا لم تنته دون العرش فيقول الجليل اسكنني وعربي وجلالي لأنفصن لقائك بما كان فيه ثم تلا هذه الآية ﴿إِلَهٌ يَصْنَعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ﴾ يعني إذا كان عمله خالصا ارتفع قوله وكلامه.

(٢) المصدر عن الكافي بسنده عن الامام الرضا (عليه السلام) في الآية قال : الكلم الطيب هو قول المؤمن لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفته حقا وخلفاء خلفاء الله والعمل الصالح يرفعه فهو دليله وعمله واعتقاده الذي في قلبه بان الكلام صحيح كما قلته بلساني .

الطيبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هي الكلم ، حيث تجمع في حقها وحاقها كل الكلم الطيب .  
 ف ﴿مَنْ كَانَ يُبَدِّلُ الْعِزَّةَ﴾ فيها هي في الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، عزة الحظوة المعنوية ، وعزه الرلфи الى مبدء العزة ومنشئها .

والعرش بمكانه ومكانته هو مصدع الكلم الطيب كما هو مصدع الملائكة : «ولو لا إقرارهن له بالريوبية وإذعافهن له بالطوعية لما جعلهن موضعاً لعرشه ولا مسكننا لملائكته ولا مصدعاً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه» <sup>(١)</sup> .

فليست العزة عناداً جامحاً على الحق ، جانحاً غارقاً في انانية الشهوات ، ضارباً في كل عتو وتجبر واستكبار ، فانها تنازلات عن صراط الانسانية الى حماة الحيوانية النكراء !  
 انما العزة هي الاتصال بمعدن العزة غير المحدودة ، بالتقرب اليه والزلفي لديه ، في سلب مطلق «لا اله» سلباً لكل عبادة وخشوع وخنوع آفاقية وأنفسية ، ثم إيجاب مطلق «الله» فلا يعبد إلا إياه ، ولا يطيع إلا إياه ، هنالك ترتفع الجبال صامدة في سجودها لله ، متعالية عن الخنوع لغير الله !.

هذه هي العزة وهؤلاء هم الاعزة! لكن :

﴿... وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ هُنْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ <sup>(٢)</sup> (١٠).

(١) في نوح البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) وضمير الجمع في إقرارهن راجع الى السماوات.

هنا ﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهناك ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ دون مكر ، وهنالك حسنات هي . بطبيعة الحال . خالية عن كل مكر ، حيث المرائي في حسنات ليست حستاته حسنات .

﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ابتغاء العزة منها وهي . في الحق . من اسباب الذلة ، و﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ إراءة للضعفاء والمستضعفين انها هي اسباب العزة ، ذلك المكر الماكر يجعل من سيئاتهم عقبات متعديات ان يصل بها من لا يعقلون ، ويغتر بها من لا يشعرون وهنالك الطامة الكبرى !

لفاعل السيئات غفران ام عذاب غير شديد ، ولكن ما يذكر السيئات له عذاب شديد ﴿وَمَكَرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورُ﴾ بائر غير سائر إلا ردحا من زمن الامتحان ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهْوَا﴾ !

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلَا تَضَعُ إِلَّا عِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١).  
 ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ هل تعني خلق الإنسان الأول وزوجه فاننا خلقنا بخلقهما و﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تعني خلق سائر الإنسان إلا أبوينا الأولين؟ وقد يبعده ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجًا﴾ حيث الزوجة ابتدأت منذ الأولين المخلوقين من تراب ! او تعني «خلقكم» كل الخلق أولاً وأخيراً ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ إلا الأولين ، ولكن ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجًا﴾ توخر الزواج عن الخلق من نطفة ، فتخرج الزواج الأول !

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجًا﴾ بعد ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تختص الزواج بغير الأولين كما النطفة ، ولكنهما لا تخصصان ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بالأولين ، حيث

النطفة ايضا مخلوقة من تراب ، مهما اختلف تراب عن تراب ، وتنويه آيات خلق الإنسان .

ككل . من تراب او طين<sup>(١)</sup> :

**﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾** عنصر ميت في أصله ، حي في نسله منذ النطفة حتى الجنين حيث تتم الحياة الإنسانية ، فمن أين أتت هذه الحياة وكيف وأنى **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** !

فالنقلة من حياة الى حياة ارقى هي قريبة ، ولكنها من موت الى حياة بعيدة غريبة ، إلا أنها نعيشها على مر الزمن ، **﴿أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَيْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** ! ثم هذه النطفة في صورتها الوحيدة ، وهيادة لانقسامها الى ذكر وأنثى **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾** . سبحان الخالق العظيم ! ومن ثم حمل الأزواج بكمه وكيفه ليس إلا بعلمه **﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يُعْلَمُه﴾** والنص في إطلاقه العام يتخطى أنثى الناس الى كل أنثى ، و «من» هنا تأكيد مستغرق للنبي وهو العام المستغرق لكل أنثى :

من حيوان البر والبحر والجو ، ومن الزواحف والحيشات ما تلد وما تبيض ، فالبيضة حمل من نوع خاص إذ لا يتم نموه داخل الجسم ، بل ينزل بيضة ثم يتبع نموه خارج جسم الام بحضانتها ام حضانة صناعية اما هيء؟ حتى يصبح جنينا كاملا ثم قفسا ومتابعة لسائر نموه الحيوى ! فكل حمل وكل وضع هو بعلمه كما هو بقدرته ثم :

(١). **﴿أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾** (١٨ : ٣٧) ؟ **﴿وَمَنْ آتَيْهِ أَنْ خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أُنْثَمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾** (٢٠ : ٢٠) **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ...﴾** (٤٠ : ٦٧) **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعْثٍ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾** (٥ : ٢٢)

﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنَقْصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾ وهو اللوح المحفوظ ، دون كتاب الحو والإثبات ، حيث الآية ت نحو منحى العلم الثابت ، ان يعمـر عمره حتى الأجل المحتوم ، او ينقص من عمره لأجل معلق ، و «عمره» هو المحتوم لا يزيد عليه وقد ينقص.

«ان ذلك» البعـيد البعـيد ، العـسـير العـسـير هو ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وأنـتم تعـيشـونـه طـولـ الحـيـاةـ وـعـرـضـهاـ ، فـبـاحـرـىـ «ان ذلك» الرـجـعـ فـيـ الـاخـرىـ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ بلـ هوـ أـهـونـ عـلـيـهـ .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ سَائِعٌ شَرَاعُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًاً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَارِخَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢).

كـماـ الـبـحرـ مـخـتـلـفـانـ فـيـ الصـورـةـ ،ـ مـتـقـنـانـ فـيـ سـيـرـةـ الرـحـمـةـ النـافـعـةـ الـيـافـعـةـ ،ـ فـهـمـاـ معـنيـانـ لـوـحـدـةـ الـفـائـدـةـ ،ـ كـذـلـكـ الـموـتـ وـالـحـيـاةـ ،ـ فـفـيـ كـلـ عـائـدـةـ ،ـ مـهـمـاـ كـانـتـ بـعـدـ الـموـتـ زـائـدـةـ خـالـفـ ماـ يـزـعـمـ مـنـ صـورـتـهـ .

فالـبـحـرـ العـذـبـ :ـ الـمـسـطـابـ ،ـ الـفـراتـ :ـ الـذـيـ يـرـوـيـ الـعـطـشـىـ بـسـاهـلـ الـأـنـدـارـهـ فـيـ الـخـلـوقـ ،ـ وـبـارـدـ طـبـعـهـ وـعـذـوبـتـهـ ،ـ وـالـبـحـرـ الـمـلـحـ :ـ غـيـرـ الـمـسـطـابـ لـلـشـرـابـ ،ـ الـأـجـاجـ الـحـارـقـ الـخـلـوقـ مـلـلوـحـتـهـ الـمـرـةـ ،ـ هـمـاـ عـلـىـ حـالـهـمـاـ الـمـتـضـادـةـ .ـ مـعـ بـعـضـ .ـ مـنـ نـعـمـ اللـهـ حـيـثـ يـلـتـقـيـانـ بـتـسـخـيرـ الـمـنـانـ فـيـ خـدـمـةـ الـإـنـسـانـ :ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًاً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَارِخَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤ : ١٦).

والـبـحـرـ قـدـ يـعـنـيـانـ .ـ ضـمـنـ مـاـ يـعـنـيـانـ .ـ مـثـلـ الـمـؤـمـنـ وـالـكـافـرـ ،ـ حـيـثـ الـعـنـيـةـ فـيـ بـقـاءـ الـكـافـرـ رـغـمـ كـفـرـهـ قـدـ تـكـوـنـ لـمـاـ يـخـرـجـ مـنـ الـمـؤـمـنـ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِتَ وَيُخْرِجُ الْمَمِتَ مِنَ الْحَيَّ﴾ وـ ﴿كـذـلـكـ النـشـورـ﴾ إـذـ يـخـرـجـ اللـهـ الـأـحـيـاءـ مـنـ الـأـمـوـاتـ كـمـاـ اـخـرـجـ الـأـمـوـاتـ مـنـ الـأـحـيـاءـ !

ارادة التنويع في خلق الماء بواقعها ظاهرة ، ووراءها حكمة ظاهرة في العذب الفرات ، باطننة في الملح الأجاج ، فمهمما كان العذب الفرات سائغا شرابه ، ولكن الملح الأجاج سائع فائق لحمه وحليه ، وان كان ﴿مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ حَمًّا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبِسُوهَا﴾ وain حلية من حلية وحم من لحم؟

و ﴿حَمًّا طَرِيًّا﴾ هو الأسماك المملحة دون لحوم البحر كلها حتى الكلاب والخنازير ، فانما حرمت بالسنة القطعية ، و ﴿حِلْيَةً تَلْبِسُوهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فِيَّ آلَهٌ رِّئَكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ .<sup>(١)</sup> (٥٥ : ٢٢).

﴿وَتَرَى الْفَلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ﴾ - ﴿وَتَرَى الْفَلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ (١٦ : ١٧) والماخر هي المشاق حيث الفلك تشق البحر وكأنها أصبحت «فيه مواخر فيه» حيث الأمواج الهائجة تجعل الفلك في خضمها وهي غائبة غارقة فيها ، وكل ذلك ﴿يَتَبَتَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يُولَجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولَجُ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِير﴾ (١٣). « يولج » ايلاجا واعيا حيث يلتج من أفق الليل في أفق النهار شتويا ، وعكسه صيفيا ، وآخر في المنظر حيث يتلقيان فجرا ومغربا ، ففي مشهد

(١). راجع تفسير «الرحمن» في الفرقان ٢٧ : ٢٨ ، تجد فيه تفصيل خروجهما من البحرين باختلاف الكم والكيف ، وان البحرين يشتراكان في وجود اللؤلؤ والمرجان فيما يبيهما كما ويصدقه العلم الباحث عنه الكاشف له.

ولوج الليل في النهار وعكسه وكأنما هناك عراك بين عسکر الليل والنهار ، والفتح والفلح لعسکر الليل أحيانا ولعسکر النهار أخرى.

وفي الولجين منظرا وواقعا آية لكتروية الأرض ، وإنّا فليكن ليلا كله او نهارا كله !

**﴿وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾** ادارة هما وسيرا كما سخر لادارة الكون قدر ما قدر.

**﴿ذِلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾** دون من تدعون **﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلَكُونَ**

**من قطمير** وهو اثر على رأس النواة ، مثلا للصغر.

**﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَعَوْا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفِّرُونَ**

**بِشَرِّكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** (١٤).

لا سمع لدعاء من لا سمع له كالآوثان ، والذي يسمع كالطواغيت ليس ليسمع اجاية

، ولو سمع ليس باماكانه اجاية ، ثم **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفِّرُونَ بِشَرِّكُمْ﴾** «و» هنا «لا ينبعك»

بحده الحقيقة المرة «مثل» القرآن ونبيه «خبير» الواقع الأمور وعواقبها.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** (١٥) إن يشاً يذهبكم ويات

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَنْزُرُ وَازِرَةً وَرَزْ أَحْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُشْقَلَةً إِلَى حِيلَهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبِي إِنَّمَا تُنذَرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فِيمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الطَّلَّ وَلَا الْحُرُوزُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُبِيرِ (٢٥)

**مَمْ أَخْذَتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿٢٦﴾**

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥)**

تعريف الخبر «الفقراء» هنا يعني كونه معروفاً فلا يخبر به إلا للتنبيه ، ومن ثم القصر كأنهم هم الفقراء لا سواهم كما **﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾** يحصر الغنى في الله . بيان ناصح ناصع لكيان الناس وهم في احسن تقويم . إذا . فما هو كيان من دونه فيسائر التقويم؟ فهو حجة قارعة لفقر الكون كله ، وليس إلا إلى الله الغني الحميد ، تقريراً لكلمة **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** نفياً لاي غنى عنسائر الكون ، ثم اثباتاً لكل غنى خالق الكون!

وترى لماذا الحصر **﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** لأن سواكم من الخلق أغنياء ، ام ليسوا بفقراء إلى الله؟ عله لما كان المشركون يزعمونهم أغنياء في أنفسهم بالهتّهم ، والله هو الفقير إليهم إذ يدعوهם إلى عبادته : **﴿لَقَدْ سَعَ اللَّهَ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ...﴾** (٣) : **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** (٤) : **﴿٦٤﴾** !

لذلك يرد عليهم بمعاكسة **﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾** لا **﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾** !

فأنتم محصورون في الفقر لا ان الفقر محصور فيكم.

ثم ذلك الفقر الفاقر ضارب الى الأعماق لحدّ كأن ليس كيان الإنسان إلا فقراً : **﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾** لا ان هناك انسان ام ايّا كان له الفقر الى الله ، بل هو بذاته الفقر الى الله بذاته الغني ، دون امكانية التحول من

ذاتية الفقر الى ذاتية الغنى وباحرى المعاكسة ، فانما ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الحميد !

والفقر والغنى وصفان لللّكائن ، فلا يقال للمعدوم المطلق فقير ، وأية الفقر تقرر أصل الفقر للإنسان ، وتعلقه في فقره بالله وإلي الله ، فالفقير الذات وفي الأفعال والصفات بحاجة ضرورية إلى غني في كافة الجهات والحيثيات ، فلو لا ان هناك كائناً غني الذات ، لما كان للفقير كون ، ام لو لم يكن حميداً لم يكن للفقير ما يكفيه به ويعنيه ، ولو لا انه حميد لم يقرر مصير الحساب يوم الحساب ، فهو غني حميد في غناه في النشأتين. إذا ففي فقر الكائنات من حيث الذات دليل لا مرد له على وجود كائن غني الذات ، وإنما فأين وجودات المكنات ، حيث الافتقار في أصل الذات وحاقها دليل المحدث ، فمن ذا الذي أحدثها إلا ازلى الذات وغنيةها؟.

وتحدد في آية الذاريات (٤٩) أعمق البراهين للفقر الذاتي في الكائنات كلها ، حيث الزوجية هي كيان كل كائن سوى الله : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(١)</sup> .

ومهما كان في الكون غنى نسبياً لكائن امام الآخر ، فهما في الفقر الى الله سواء ،  
كما وهما في اصل الفقر سواء ، فأنت الغني في المال بحاجة الى فقير العمال كما الفقير المال  
بحاجة إليك في المال ، فلكلّ فقر من جهة وغنى نسبياً من اخرى ، وهما في غناهما فقيران الى  
الله الذي أغناهما !

أنت ساكنٌ فقيرٌ صغيرٌ من سكان هذه الأرض ، وهي تابعةٌ صغيرةٌ من

(١). راجع الفرقان لتفسير الآية بقول فصل كاعمق البراهين لاثبات وجود الله.

تابع الشمس ، وهي نجم صغير من مليارات الشموس والنجوم في مليارات المجرات والجزائر السماوية ، أفانت الغني والله فقير؟!

أنزع عنك في بعث الرسل إليك ، وتوارthem في دعوتك بكتابات السماء ، ان في تلك الدعاية الفخمة المتواصلة ، والداعية الفخمة الدائبة ، حاجة من الله إليك ، فحين تستجيب الداعية فلله فيها حظوة وعزّة ، وحين تردها فعلى الله هزّه وذلة؟

لا! يا أيتها الحشرة الصغيرة الهزيلة ، بل ﴿أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

غنى إذ يدرّ عليكم رحمة دون ضئّة ، حميد إذ لا يحملكم على إنفاقه ، ما يعود بنفعه اليه ، فالكل عائد إليك في تقواك ، وما يد عليك في طغواك.

أنت الفقير ان يهديك الله اليه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ إذ لا يدرك في ضلالك ،

ولا يهدرك في كلالك.

سبحانك يا رب ، فانا الفقير في غنائي إليك فكيف لا أكون فقيرا في فكري إليك!

انا الفقر كله ، انا اللاشيء كله ، وأنت الغنى كلها ، وأنت مشيء الأشياء كلها ، لا حاجة منك إليها فهي المحتاجة إليك :

﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧).

﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٤ : ٢٠)

﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ (٤ : ١٣٣) ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (٦ : ١٣٣) ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ !

أفتزعمون انكم أنتم . فقط . الخلق العزيز ، والله لا يسعه ان يخلق بعدهم عزيزا ، فان ذهبت او اذهبكم فلا بديل عنكم؟ كلاما ايها الاغفال ، وقد اذهب قبلكم قرون مضت ، قبل آدم الاول حيث انقرضوا ثم استخلفكم من بعدهم.

﴿وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْعَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فِيمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمُصِيرُ﴾<sup>(١٨)</sup>.

«ولا تزر» نفس «وازرة وزر» نفس «اخري» فان ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةً﴾ ضابطة لا تستثنى لفردية التبعات ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْرَمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ ..﴾ لا سواه.  
 «لا تزر ..» حتى إذا وعدت ، ولا يسمح لها باللوفاء حتى إذا أرادت ﴿وَإِنْ تَدْعُ﴾ نفس «مثقلة» مثقلة اخرى ام اية نفس اخرى ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ لتحملها عنها ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ﴾ من ثقله «شيء».

فلا ان نفسا وازرة تزر وزر اخرى ، ولا انها إذا دعيت الى حملها يحمل منه شيء حتى ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ضابطة صارمة في «لا تزر» فردية التبعية ، وعدت ام سئلت واصرت!  
 حيث القرابات هناك ليست لتنفع شيئا ، فانه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَنِدِ شَأنٌ يُغْنِيهِ﴾ وانه ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ فلا ينفعهم هناك اي وصل : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(١) تجد البحث الفصل حول آية الوزرة في النجم فراجع الفرقان ج ٢٦ . ٢٧ .

فالنفس المثقلة من اعباء الذنوب والأوزار تستغيث ولا تغاث ، طلبا في تلك الحالة البئسية من يشاطرها في حملها ، فلا تهم كل نفس إلا نفسها ، ولا تعنيها إلا أمرها بامرها ولا تعين أحدا كما لا تعان مهما عننت ، وعانت من حملها ، ولو كانت اولى الناس بأمرها وأقر لهم التياطا به وارتباطا برفاقه ، وانتياطا بنسبه ! فافلة غافلة تمضي هناك حتى تقف اما الوزان والميزان ، اللهم إلا اهل التقوى فلهم هنالك الشفاعة الكبرى ، وليس هي حملا لوزر ، بل سماحا عنه بمؤهلاته المسرودة في الذكر الحكيم.

أنت يا رسول الهدى لست منذرا من لا يخشون ربهم بالغيب وهم معاندون ، إذ لا يؤثر فيهم إنذارك مهما كان إنذارك واجبا فيه اعدارك ﴿إِنَّا نُنذِّرُ﴾ مؤثرا فائقا ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ يخشونه بالغيب عن المشاهد ، ويخشونه وهو غيب عن المشاهد ، وخشيته بغيض قلوبهم ، الظاهرة الزاهرة في المشاهد ! ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾ كأظهر المظاهر من ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ .

﴿وَمَنْ تَرَكَ فِي أَنَّا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ﴾ ف : ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضْلِلُ عَلَيْهَا وَلَا تَرُرُ وَازْرَهُ وِزْرُ أُخْرَى...﴾ (١٥ : ١٧) ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ لأهل التقوى والطغوى «وهو احکم الحاکمين».

ثم الكفر والامان لا يستويان في اي ميزان كما الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والأحياء والأموات :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩) ﴿وَلَا الظُّلُماتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠) ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحُرُوزُ﴾ (٢١) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (٢٢).  
وحين ﴿مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ عن بصره «والبصير» فباحتى لا يستوي الأعمى في قلبه عن البصير!

وحين لا يستوي ظلمات الجو والنور فباحت ظلمات القلب ونوره ، وكذلك الظل والحرور والاحياء والأموات ومثلث «لا» بين الثالث الاخرى هي تأكيدات النفي باولية قطعية ، فالظلمات لا تستوي في أقسامها ولا النور في اقسامه ، فهل تستوي الظلمات والنور ، والظل لا يستوي في اقسامه ولا الحرور فهل يستوي الظل والحرور ، والاحياء لا تستوي في أقسامها ولا الأموات ، فهل تستوي الاحياء والأموات.

ولماذا تركت «لا» بين الأعمى والبصير؟ لأن الاعمين على سواء انهم لا يصرون  
مهما البصرون ليسوا على سواء!

فالبصير يصر الحق الم قبل اليه فيقبل ، ومن في الظلمات لا يصر الحق فلا يقبل ،  
والموت لا يسمع صوت الحق فيقبل !

**﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾** حقه بحقه دونما فوضى جزاف **﴿وَمَا أَنْتَ مِسْمِعٌ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ﴾** من قبور الشهوات والحيونات وسائر الإنينات!

لست أنت مسمعا وهاديا من أحببت : **﴿وَمَا أَنْتَ هَادِي الْعُمَّى عَنْ ضَلَالِّهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾** (٢٧ : ٨١)

ان الإيمان بصر وبصيرة وظل ونور وحياة ، والكفر عمى وظلمات وحرور وموت ،  
فهل يستويان؟ بصر يرى الحقيقة ناصعة صادقة دون اية هزازة ولا خلخلة ، وظل عن حرور  
الشهوات ، ورياضة للنفس ورياحة للقلب ، وظل عن هاجرة الشك وحاضرة التيه في الظلام  
، وحياة في المشاعر والقلوب دون خمود ولا ركود ولا جمود ، فهل يستويان مثلا الحمد لله  
رب العالمين؟.

لست أنت يا رسول المدى مسمعا وهاديا لمن في قبور الظلمات والعميات والمنينات:

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحُقْقِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤).

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ وهذا قصر دون حصر بالنسبة لمن في القبور ، ثم هو للعالمين بشير ونذير ، حيث البشارة لا تأتي إلا بعد النذارة لمن يتأثر بالإندار وبينهما عموم مطلق (١) ، ثم ولست . فقط . أنت النذير ..

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٤).

وترأها في هذه النذارة العامة لكل امة ، تتنافى وسلبها ككل عن كل قرية : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٥١) ..

كلاً فان ﴿كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ هي أعم من كل امة ، فرب امة تسكن في قرى عدّة ، والنذير مبعوث في أمها : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفُرْقَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا﴾ (٥٩ : ٢٨) وكلما كانت الرسالة أعم وأتم ، فالأم التي يبعث فيها رسولها أهم وأطم ! وكما ام القرى مكة المكرمة هي أهم عاصمة من عواصم الرسالات الإلهية.

فلا تخلو امة من العالمين من الجنة والناس أجمعين وسائر المكلفين ، لا تخلو من نذير ، إما بشخصه العائش فيهم ، ام بدعوته الواصلة إليهم بمن حملوا رسالاتهم ، فان حملوها وبلغوها فحجة بالغة ، وان قصروا في حملها ام لم يبلغوها فتقصير من الحملة عن الرسل دون المرسلين ، وقصور للمستضعفين.

وهل ان «نذير هو كل منذر عن الله ، برسالة او سواها؟ وليس

(١) فكل من يبشر فقد انذر قبلها ، وليس كل من ينذر يبشر بعدها حيث البشارة تخص المؤمنين.

في نذارة دون رسالة حجة بالغة إلا تبينا ومناصرة لحجۃ الرسالة كما ﴿جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِيْرِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُو الْمُرْسَلِينَ ..﴾ والظاهر من ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ هو نذارة الرسالة بالوحى ، دون النذير الوسيط! ولم يأت النذير في سائر القرآن إلا للرسل ، بل وقد يسلب عن سائر النذر : ﴿إِنْتَ نَذِيرٌ فَوْمَا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣٢) وقد كان في الفترة الرسالية بين المسيح (عليه السلام) و محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نذر من غير الرسل !.

ثم و ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ دون كل شخص ، تنفي ضرورة النذارة الواصلة الى كل احد ، إلا حاصلة فيهم كاملة ، و اصلة الى اشخاص وغير واصلة!

ومن جهة اخرى ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ توسيع لساحة الرسالات طول المكان وعرض الزمان ، فما أنت بداعا من الرسل ! ليطمئن خاطره الشريف وينبه مكذبيه انه نذير من النذر الاول . ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَثِيرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥) ثم أخذت الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ؟ (٢٦).

تسليمة لخاطر النبي الأقدس ان التكذيب من قبل المكذبين سائد في تاريخ الرسالات ، وكذلك أخذ ربكم للمكذبين ، ﴿فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ وَلَا تَكُ في ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ !

﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ  
بِيَضٌ وَحُمُرٌ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانُ  
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْسَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتَلْقَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُوزَ (٢٩) لِيُوَقِّيْهُمْ أَجْوَاهُمْ  
وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحُقْقُ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ يُعِبَادُهُ حَقِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أُرْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا  
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُمْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ

بِالْخُيَّارِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ  
مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا  
لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحْلَانَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا  
لُغُوبٌ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيُمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا  
كَذِلِكَ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرُ الَّذِي كُنَّا  
نَعْمَلُ أَوْمَئِنْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءُكُمُ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)  
إِنَّ اللَّهَ عَالَمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)

تعدد لعديد من النعم البارزة لكل عين ناظرة وبصيرة حاضرة من سماوية وارضية ، قراءة يراعة في كتاب التكوين والتدوين ، ابتداء بكتاب التكوين ، ثم ما يصدقه من كتاب التدوين ، لتعلم القراءة كل كتاب نازل من العزيز الحكيم :

**﴿إِنَّمَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرُجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيَضْ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفَةُ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾** (٢٧).

«انزل» بمضيها تضرب الى اعماق الماضي حين كانت الأرض محترقة عطشانة فروّاه ربهما من ماء السماء ، وكما تشمل مستقبل الإنزال ، حيث الغني الحميد ليس ليقطع رحمة شاملة تحتاجها الاحياء في عالم الحياة.

ثم «انزل» مفردا لفردية الذات والنعمة المنزلة ، واما «فأخرجنا» فهي لحة الى جمعية الصفات في إخراج مختلف الثمرات ، فالإخراج قاصد دون فوضى ، فالماء الواحد والأرض الواحدة لا يخرجان . لو لا مختلف التصميم . إلا ثمرة واحدة كما المكائن الخاصة ! ومن **﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً أَلْوَانُهَا﴾** ثمرة واحدة في ألوان ، كما الكثرة في ألوان ، ألوان الطعوم والأشكال وألوان الألوان : سبحان العزيز المنان !

وليس الثمرات . فقط . ألوان ، بل **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ﴾** ايضا مختلف الألوان : **﴿جُدَدٌ بِيَضْ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفَةُ أَلْوَانُهَا﴾** في بياضها واحمرارها **﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾**.

والجدد هي الطرائق والشعوب ، بيضا وحمرا وغرائب سود : حالكة شديدة السوداد . مما تراه من مختلف الألوان في الثمرة تراه في الصخرة ، مما يزيدك تدليلا على ارادة قاصدة ، وانها لفتة راصدة تحز القلوب ، وتوقظ حاسة

الذوق وخصائصه في نظرة ناضرة تحريرية الى جمال الكون ، فالى جمال المكون حيث يبرز كونه الوحيد من مصارح في مسارح صفاتـه .

ثم نتخطى الثمرات والجبال الى مختلف الناس والدواوب والأنعام :

**﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْغَلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨).**

اختلاف سائد في كم الكائنات وكيفها في مختلف ألوانها. ولئن قلت : إن ذلك الاختلاف هو قضية اختلاف العناصر وخصوصيات التأليف ، تجده الاجابة في المادة الأهم السادجة المركبة . فقط . من زوجين اثنين ، فلا بد . إذا . من تصميم قاصل في كل فصل ووصل ، متفرع عن هذا الأصل : **﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَقْنَا رَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.**

**﴿وَمِنَ .. كَذَلِكَ﴾** الذي ذكرناه من مختلف الألوان ، وفي ذلك المسرح الجميل ، باختلاف الألوان ، من ألوان الذرات والجزئيات والعناصر وسائر المخلفات هذه الاختلافات .

في ذلك المسرح **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْغَلَمَاءُ﴾** فالعلم بالله عبر آيات الله هو سبب الخشية ، والجهل بالله نتيجة الغفلة والتتجاهل عن آيات الله ، هو سبب الغفوة الباغية . ليس الجهل بالأسباب الكونية هو الموجب للاعتقاد بسبب غائب كما يهتفه الماديون ، وإنما العلم بالأسباب هو الذي يدلنا الى سبب الأسباب ! <sup>(١)</sup>.

(١) راجع كتابنا «حوار بين الإلهيين والماديين» ص ٢٠ : ٣٠ . العلم والعلماء في فكرة الإله .

لذلك نرى القرآن يحرض العالمين الى توسيع العلم والتعقل في الكون ، ولكنكى ﴿يَخْشَى  
اللهَ مِنْ عِبادِ الْعُلَمَاءِ﴾.

فالقصد من «العلماء» هنا هم العلماء بالله ، الذين يستخدمون فلسفاثم العقلية وكشوفهم العلمية لمعرفة الله ، فكلما زادوا معرفة بالله زادوا خشية من الله ، انقلابا في قلوبهم الى الله ، وانقلابا عمما يصرفهم عن الله! .

أترى «اما» حين تحصر خشية الله في «العلماء» فما ذنب الجهل إذ لم يؤتوا من العلم ما يخشون به الله؟ العلم هنا ليس يعني - فقط - علم الصالحات في بحوث فلسفية ام تجريبية إما فيه ، مهما تساعد على المعرفة ان حفظت فيها امانة التدليل على وجود خالق المدلول والدليل.

بل هو علم الایمان مهما كان صاحبه أميأ لم يدرس اية صلاحات ، كما القرآن يربط الخشية أحيانا بالایمان : ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣ : ٩) واخرى بعمل الایمان : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢ : ٢٤).

لذلك ترى ان الآيات هنا وهناك هي الافقية والنفسية لكل ذي بصر وبصيرة ، لا تكلف دراسات عقلية او علمية ، مهما كانت تساعد قضية المعرفة مع الحفاظ على الأمانة. فرب عالم قتلته جهله ، علما بالصلاحات وتجاهلا عن التبصر بها في المعرفيات والعلم هنا هو الحجاب الأكبر ! ..

ورب جاهل أحياه علمه ، حيث يستخدم كافة الوسائل بمختلف الاساليب لمزيد المعرفة

الإلهية ، والعلم هنا يزيل الحجاب الأكبر ! .

فيما ويلاه من جهل على جهل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، ويا عليه من علم على علم نور على نور؟.

﴿كَذِلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ «عزيز» يخشى

«غفور» لمن لا يخشى مغبة ان يخشى ! .

والخشية . وهي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشى منه . لزامها العلم قدرها ، وهي حالة في القلب يجعل الخاشي خائعاً لربه خاضعاً ، في رقابة دائبة على أقواله وأفعاله وأحواله قدر معرفته بربه . يخشاه لعدله تعالى على ظلمه هو وعظمته تعالى .

فمن لا يخشى الله ليس من العلماء مهما كان أعلمهم في الصالحات ، حتى الإلهية عقلية وعلمية ، ومن يخشى الله فهو من العلماء مهما كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فميزيانية العلم هي حسب ميزيانية الخشية في ميزان الله ! وكما يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «العلم علمان علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه» <sup>(١)</sup> حيث يحتاج به على عالمه وعلى من يسمعه من عالمه !

اما علمتكم ان الله عباداً أسكنتهم خشيتهم من غير عي ولا بكم ، انهم لهم الفصحاء النطقاء النباء العلماء بأيام الله غير انهم إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقوتهم من ذلك ، وانكسرت قلوبهم ، وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استقاموا من ذلك سارعوا الى الله بالأعمال الزاكية ، فأين أنتم منهم؟ .. » <sup>(٢)</sup> .

(١) الدر المنشور ٥ : ١٥٠ . اخرج ابن أبي شيبة والترمذى والحاكم عن الحسن قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

(٢) الدر المنشور ٥ : ١٥٠ . اخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن وهب بن منبه قال : أقبلت مع عكرمة اقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره حتى دخل المسجد الحرام فإذا قوم يمرون في حلقة لهم عند باب بني شيبة فقال : أمل بي إلى حلقة النساء فانطلقت به حتى أتاهم فسلم عليهم فأرادوه على الجلوس فأبى عليهم وقال انتسبوا إلى أعرافكم .

وقد سئل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن العالم والعبد فقال : فضل العالم على العابد كفضلني على أدناكم ثم تلا هذه الآية <sup>(١)</sup> فليتزود المؤمن على ضوء فطرته وعقله وشرعته بسائر العلم ، تذرعاً إلى معرفة أكثر بالله.

أجل «وما العلم بالله والعمل إلا إلسان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحشه الخوف على العمل بطاعة الله. وإن أرباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغباً إليه <sup>(٢)</sup>.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوُنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُوَقِّيْهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَرِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠).**

هؤلاء هم من العلماء بالله الذين يخشون الله ، دون الجهال الاغفال الذين لا يتلون كتاب الله ، مهما أقاموا الصلاة وأنفقوا ، ودون من لا

. فانتسبوا إليه فقال : أما علمتم ... ». أقول لعله رواية عن رسول الله لم يذكر أنها عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

(١) المصدر أخرج عبد بن حميد عن مكحول قال سئل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ... ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السماء وأهل الأرض والنون في البحر ليصلون على معلمي الخير.

وفي المجمع في الآية روى عن الصادق (عليه السلام) انه قال : يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن ثم يصدق قوله فليس بعلم ، وفي الحديث : أعلمكم بالله أخوكم الله.

(٢) تفسير البرهان عن الكافي بسنده عن أبي حمزة الشمالي عن زين العابدين (عليه السلام) قال : ... قال الله : إنما يخشى الله من عباده العلماء.

يصلون ولا ينفقون مهما تلوا كتاب الله ، فاما هو الایمان وعمل الصالحات عن علم الكتاب  
تفصيلا باجتهاد ، ام اجمالا بتقليد عن اجتهاد.

والتلاؤ في حق المعنى منها هي المتابعة : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾  
(٩١ : ٢) فهي أعم من متابعة القراءة والاستماع ، فالتدبر ، فالتصديق والايمان ، فالتطبيق  
بعمل الایمان ، فإذا فـ ﴿أَفَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا ..﴾ هي من خلفيات التلاوة حقها ، أفردت  
بالذكر لأنها هي القاعدة الاصلية التي تتبعها التلاوة ، وإلا فرب تال القرآن والقرآن يلعنه!  
ثم الإنفاق هو الإفءاء ألا يطالبوا به بحارة تبور ، فيطلبوا به جزاء أو شكورا ، فاما  
﴿تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ افباء في ظاهر الحال وإبقاء بزيادة في باطن الحال : ﴿لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ  
وَبِزِيَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

و ﴿مَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعم كافة الأرزاق ولا سيما الروحية ، من علم وأخلاق اما هيه :  
«سرا» عن الناس «وعلانية» فان لكل مجالا يناسبه : ﴿إِنْ تُبْدِلُ الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ  
تُخْفِوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٢ : ٢٧١).

«نعمما هي» في نفسه حيث يقتدى به فهو . إذا . من شعائر الله ﴿وَإِنْ تُخْفِوهَا ...  
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أنفسكم ابتغاء عن رثاء وسمعة .  
.. ﴿إِنْ تُبْدِلُ ... فَنِعْمًا هِيَ﴾ في نفسه حيث يقتدى به فهو . إذا . من شعائر الله «  
﴿وَإِنْ تُخْفِوهَا ...﴾ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أنفسكم ابتعدا عن رثاء وسمعة .  
﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لهولاء الأكابر ، أي لم طاريء في سبيل الله.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحُقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ حَفِيرٌ  
بَصِيرٌ﴾ (٣١).

«هو الحق» كله ، ثابتًا ما بقي الدهر دون نسخ ولا تحريف ، مهما كان ما بين يديه حقاً لردد من الزمن ، ولكن بطل أولاً بتحريف ومن ثم بنسخ ، فهو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون ، والصحيفة المقررة من كتاب الكون وهو الصفحة الصامدة!

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا .. مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من وحي ، دون خليطه بغير وحي ، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ حَفِيرٌ بَصِيرٌ﴾ انهم بحاجة الى حق لا ينسخ ولا يحرف ، وانهم حرفوا كتابات السماء من قبل ، لذلك اوحى إليك «الحق» كله هدى للناس.

﴿إِنَّمَا أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢).

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحُقُّ﴾ فـ «ثم» بعد ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ..﴾.

فمن هو الوارث للكتاب القرآن بعد من اوحى اليه؟ أهم كل المسلمين وكما فيبني إسرائيل ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدَى وَذِكْرَى لِأُولَئِكُلَّ الْأَلْبَابِ﴾ (٤٠ : ٥٤) وقد تشمل الوارث الشاك! : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُرْثَوُا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مُرْبِّبٌ﴾ (٤٢ : ١٤) كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ

**وَالْأَحْجَارُ إِمَّا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءٌ** ﴿٤٤﴾ (٥ : ٤٤).

وهنا ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ دون من هو في شك مرير ، ولا المتوسطين في الایمان ، بل المصطفين ، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمله من انزل عليه ، وهناك عام يعم كل من حمله! صحيح ان «عابادنا» هنا يعم كافة المسلمين من اهل الجنة كما تشهد التالية : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ ...﴾ (٢٣) مقابلة لهم باهل النار : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾.

ولكن وارث الكتاب هنا ليس «عابادنا» ليعم المسلمين ، بل ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إذا فهم المصطفون من المسلمين منذ ايراثه الى يوم الدين ، لا كلهم. ولأن الاصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلا للمعصومين ، أنبياء وسواهم من المخلصين <sup>(١)</sup> ف ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ لا تعني الا المعصومين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمته ، أورثوا القرآن ليحملوه كما حمله من اوحى اليه كميراث خاص.

(١) فآيات الاصطفاء بين نبي مصطفى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِنْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣ : ٣). (٣٣)

ام وملك مصطفى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَصُنْفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٢٢ : ٧٥).  
ومعصوم غير نبي ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ...﴾ (٤٢ : ٣) وملك عادل مصطفى » ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْهِمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجُنُونِ﴾ (٢٤٧ : ٢) ام دين مصطفى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ (١٣٢ : ٣).

فأقل المصطفين في قرينة خاصة هم اعدل العدول!

ثم التقسيم الثلاثي لـ «عبادنا» الى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات ، ... دليل قاصد قاطع لا مرد له ان ليسوا داخلين في ذلك الایراث ، إلا ان يسوى بين «ظالم لنفسه ومقتصد سابق بالخيرات» في احتم من ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>(١)</sup> وتلك إذا تسوية ضيزى! فحتى ولو عمت «اصطفينا» غير المقصوم ، ليست لتعم المأثور في تلك المقابلة الثلاثية الواضحة.

ثم من هذا الذي اصطفى عليه ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وليس للظلم صفاء حتى يفضل في صفاءه على سائر الأصفياء وسواهم! .

هنا الله تعالى يقتسم عباده الى هؤلاء الثلاث ليوضح من هم ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وعلى من اصطفاهم؟

فالمسلمون بين ظالم لنفسه ومقتصد سابق بالخيرات والظالم لغيره هو خارج من «عبادنا» والمصطفى بينهم . بطبيعة الحال . ليس إلا السابق بالخيرات ، فهم مفضلون على اصحاب اليمين المقصدين ، فضلا عن الظالمين : ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَالِثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨)

(١) الدر المنشور ٥ : ٢٥١ . اخرج الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وأبن جرير وأبن المنذر وأبن أبي حاتم وأبن مروييه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة وفيه اخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن اسامه بن زيد في الآية قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم من هذه الامة وكلهم في الجنة . أقول : صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحناه من الآيات ، وكلهم من اهل الجنة على شروط الاهلية ، ولكن كيف يكون هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة؟ تزيلا للمصطفين الى منزلة الظالمين وترفيعا للظالمين الى منزلة المصطفين؟.

**﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) (٥٦﴾**

إذا فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون ، دون اصحاب اليمين المقتضدين ، فضلا عن الظالمين المسلمين وان لم يكونوا من اصحاب المشامة والداخلين في الجحيم!

ذلك المثلث الرابع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجد له في سائر القرآن اللهم إلا لنبي القرآن ثم من أورثوا القرآن من بعده.

وهنا قيد «ظلم» بـ«لنفسه» لإخراج الظالمين من المسلمين لغيرهم ، فالمعتدون منهم الطغاة على الإسلام والمسلمين ليسوا من أهل الجنة والسلام.

و **﴿مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾** لا ظالم لنفسه» كأصل في حياته ، ولا سابق بالخيرات ، بل هم عوان بين ذلك ، فهم المعتدون من امة الإسلام عدواً وسوادهم فـ**﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾** هم غير العدول الذين قد تناهملم الشفاعة وهم مصيرهم إلى الجنة ، من اصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة ، فاما أمثال يزيد ومعاوية الطاغية واضراهم من طغاة هذه الامة ، فخارجون عن هذا التقسيم ، داخلون مع الذين كفروا في الجحيم ، فـ«الظالم يحوم حوم نفسه ، والمقتضد يحوم حوم قلبه ، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه»<sup>(١)</sup>.

(١) في معاني الاخبار مسندًا عن الصادق (عليه السلام) قال : .. وفي الدر المثور ٥ : ٢٥١ . اخرج جماعة عن أبي الدرداء سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى : **﴿مَمْ أُرْثَنَا الْكِتَابَ ..﴾** فاما الذين سبقو فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتضدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا أنفسهم .

فوريثة القرآن العظيم علما وعملا وتطبيقا هم المصطفون السابقون المقربون ، فوق المقتضدين العدول فضلا عن الظالمين! ومن ذا الذي يدعى ذلك الاصطفاء العاصم ، المعصوم اهله من كل رين وشين! أهم الخلفاء الثلاث ، المعترف بكثير اخطائهم وخلافاتهم وتخلفاتهم بين اتباعهم؟

ام هم الأئمة الاربعة ومن يحذو حذاتهم ، المخالفين . في اقل تقدير . في تفهم الكتاب والسنّة ، والمخالفين أحيانا عن نص الكتاب والسنّة.

ام هم الأئمة الإثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم ، ولم يتخللوا قيد شعرة عن الكتاب والسنّة ، وهم الثقل الأصغر بعد الكتاب . الأكبر؟! وهنا نجد تجاوبا فيهم بين الكتاب والسنّة القدسية الحمدية (صلى الله عليه وآلـه وسلم) <sup>(١)</sup> .

فأولئك يحبسون في طول المحرر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ...

أقول وقد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهو المستفاد من الآية كما بیناه.

وفيه عن ابن مردويه عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في ﴿قَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قال : الكافر وهو خلاف ظاهر الآية كما بیناه.

(١) في تفسير البرهان ٣ : ٣٦٣ عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المؤمنون بمرو وقد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق وخراسان فقال المؤمنون اخبرني عن معنى هذه الآية ﴿مَ أُورِثْنَا الْكِتَابَ ..﴾؟ فقال العلماء أراد الله عز وجل الامة ، فقال المؤمنون : ما تقول يا أبا .

وهنا ﴿يَأْذُنِ اللَّهِ﴾ يخص ﴿سَايْقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ إذا تكويننا وشرعيا لسبقهم سائر الخيرين في الخيرات وهو العصمة القمة المتعالية ، دون ﴿ظَالَمٌ لِنَفْسِهِ﴾ حيث الظلم غير مأذون في تشريع ولا تكوين ، وكذلك «مقتصد» فان الله لا يقتصر من عباده بالاقتصاد في معرفته وطاعته !

فإذنه تعالى للسابق بالخيرات هو ارادة التطهير وكما في آية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣ : ٣٣).

هنا «باذنه» وكما في الدعوة الرسالية : ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٣٣ : ٤٦) ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (٤٢ : ٥١) كما و ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (١٠ : ٣) ﴿وَمُسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٢٢ : ٦٥) .

فهناك للمصطفين السابقين إذن يخصهم ، تكوينا في عصمة وتشريعا

. الحسن (عليه السلام) فقال الرضا (عليه السلام) لا أقول كما قالوا ولكن أقول : أراد العترة الطاهرة ، فقال المأمون : وكيف أراد العترة الطاهرة؟ فقال له الرضا (عليه السلام) لو أراد الأمة وكانت بأجمعها في الجنة لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايْقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذُنِ اللَّهُ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُوكُمْ﴾ فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم ، فقال المأمون ، من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (عليه السلام) : الذين وصفهم في كتابه فقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني مختلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض انظروا كيف مختلفون فيهما ، ايها الناس لا تعلمونهم فإنكم اعلم منكم.

في ولاية شرعية ، لا يعم سواهم فكما ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم : ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ﴾  
٤ : (٥٩) الذين ولوا وراثة الكتاب بعد وحيه الى الرسول ، فولوا ازمة امور المسلمين كما  
ولي !

ولأن «سابق» مطلق غير محدد ، فسبقهم . إذا . مطلق غير محدد ، فهم السابقون على كافة المصطفين على مر الزمن في الاصطفاءات ، اللهم إلّا من أوحى اليه القرآن ! .  
ولأن «الخيرات» جمعاً محلى باللام تعم كافة الخيرات عدّة وعدّة ، فهي الخيرات المعرفية والعقائدية والعملية. أما هيء ، المعنية من ﴿وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ المسبوقة بـ «انما» الحاصرة فيهم قمة العصمة الإلهية.

وليس السبق هنا زمنياً . إذ ليس له فضل على اللاحق الأفضل ، بل هو سبق في الرتبة ، كما الرسول في كونه ﴿أَوَلُ الْعَابِدِينَ﴾ مهما سبق في علم الله وتقديره سبقةم هذا!. فهؤلاء الأكابر الذين أورثوا الكتاب بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبقوه بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات ومسارحها ، فلذلك يفضّلون على سائر النبيين في سابق الخيرات طول الزمان وعرض المكان .

ترى ولماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتضى وهم على سابق بالخيرات ، والأخير متقدم في ناصية الآية ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ..﴾؟ انه بيان لطرف الاصطفاء ، تقديمًا للأكثر افرادا ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ حيث تربو سيراته لنفسه على حسناته ثم «مقتضى» قد تعادل سيراته وحسناته ، ثم ﴿سَاقِ يَا لُكْرِياتِ﴾ المصطفين من بينهم إذ ليست لهم سيرات !

و «ذلك» الوحي للرسول ، ثم «ذلك» الايراث لأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) **﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾** إذ لا يساوى ولا يسامي في تاريخ الوحي والرسالات والوراثات.

فحالة البحث عن آية الوراثة ان «عبادنا» هنا هم اصحاب الجنة من المسلمين في درجاتهم الثلاث أدنىها **﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾** دون من يظلم دين الله ويظلم عباد الله ، فهم هنا غير موعودين بالجنة ، مهما دخلوها بعد حسابات وعقوبات ام لم يدخلوها ، كما **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ﴾** يلمح بمدى ظلم الظالم لنفسه ، وخروج الظالم لغيره ، حيث العفو عنه ظلم بغيره..!

فليس «عبادنا» هنا كافة المكلفين ، ولا كل المسلمين ، وإنما المسلمين الذين مصيرهم إلى الجنة.

ومقتضى هو المعقول المتعارض في حياته ، لا ظالم لنفسه حيث يتبنى حياة العدل مهما ابتلى بظلم ، والسابق بالخيرات هم الرعيل الأعلى من المقربين المعصومين من امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم الأئمة الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين.

فهم ورثة الكتاب روحيا في ولاية مطلقة شرعية ، وآخرهم القائم منهم يرث الكتاب زمنيا وروحيا : **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الدِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِلْقَوْمِ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** (٢١ : ١٠٦) !

**﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُهَا يُخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**  
**(٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَخْلَانَا دَارَ**  
**الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾** (٣٥).

علّ حق الفاعل في ﴿يَدْخُلُوهَا يُخْلَوْنَ﴾ هم الوارثون للكتاب المصطوفون ، فإنهم سابقون الكلام ومحوره وإنهم ﴿سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ﴾ !

ثم المقتضى الحزين بما قصر أو قصر : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ﴾ ثم ظالم لنفسه : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ .

ف ﴿قَالُوا﴾ . إلى . ﴿شَكُورٌ﴾ لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر ، ولا حزن حتى يذهب من أفضل من «لا ﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُجُونَ﴾ ! ثم ﴿الَّذِي أَحْلَنَا﴾ يناسب الطوائف الثلاث اجمع ، حيث الجنة . فقط . هي من فضل الله كما النار هي من عدل الله .

ويخلون من التحلية : التزيين ، «من أساور» اعجمية من دستوره وهي زينة اليد ، واللؤلؤ معروف كما الحرير و ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي دار الخلود التي لا حول عنها ولا خروج ، والنصب : التعب في جوها ، واللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها ، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب ، ولغب على نصب .

ويال له من مشهد حنون ، فالجلو كله يسر وراحة ، حتى الجو الموسيقي لجرس الألفاظ كله هادئ ناعم رطيب حتى الحزن بدل الحزن ، فضلا عن ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ .. والى صفحة أخرى من مسرح الحساب :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْكَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ﴾  
كذلك تجذب كل كافر (٣٦) وهم يصطرون فيها ربنا آخر جننا نعمل صالحًا غير الذي كننا نعمل أوم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرة وجاءكم التذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (٣٧).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم الحالدون المؤبدون في النار إذ ﴿لَا يُحْكَفُ﴾

**عَنْهُمْ** ﴿ والخروج عن النار من التخفيف فأين الظالمون لغيرهم مسلمين ام كفارا غير مؤبدين؟

لا نجد لهم هنا ذكرا ولا هناك قضية التفصيل في موارده وهنا موقع الإجمال!

**فَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ** ﴿ تحصر حظهم فيها ، فلا خروج لهم عنها ، إذا فهم اصول الكفر

متبعين واتباعا كما يلمح له «كل كفور» : غليظ الكفر وحضيشه ، دون المزيج الكفر بإيمان ، فان له نصيبا من الرحمة.

**لَا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوْثُوا** ﴿ في النار ، دون اصل الموت ولو مع النار ، فان قضية

العدل نهاية العذاب كنهاية الاستحقاق ، وأنهى النهاية للعذاب ان يموت المؤبدون مع النار ،

فلا نار . إذا . ولا اهل نار ! : **وَنَادُوا يَا مَالِكَ لِيُقْضِي عَلَيْنَا رِبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَفُّونَ** ﴿ ٤٣ :

٧٧) في النار . وطبعا . ما دامت النار .

**وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا** ﴿ تخفيفا في زمن العذاب ان يموتوا قبل تامة ام يخرجوا ،

ام تخفيفا في قدره وهم في النار ، ان يتعدوا العذاب ، فانه أشكال متلاحقة فلا تعود فيه

يخفف به ، و **كَذَلِكَ تَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ** ﴿ بالغ في الكفر نهايته ، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاء وفاقا.

**وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا** ﴿ بصوت غليظ مختلط الأصداء ، متناوح من شتي الطرق

**رَبَّا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرُ الدِّيْنِ كُنَّا نَعْمَلْ** ﴿ وترى ان «صالحا» لا يصلح تصريحا لـ

**غَيْرُ الدِّيْنِ كُنَّا نَعْمَلْ** ﴿؟ اجل ! فلكي يزيحوا كل شبهة عن أمرهم يفسرون «صالحا» بـ

**غَيْرُ الدِّيْنِ كُنَّا نَعْمَلْ** ﴿ لكي لا يفسر صالحهم هذا بما كانوا يرونـ صالحـ **وَهُمْ يَحْسَبُونَ**

**أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴿!

لا ! واما صالحـ في الحق ، يختلف عن كل صالحـ في زعمـ وكل طالـ في واقـنا فتصـ

من الصالـ حقـ !

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ فَائِلُهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرْزَخٌ  
إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٣) : (١٠٠) وهنا الجواب الحاسم يحمل تنديدا صارما صارحا  
بالمصطrixين في الجحيم ﴿أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ ..؟﴾

وهنا الواو تقتضي معطوفا عليه مخدوفا مثل «ا لم نذكركم بكل حجة صارحة وبينة  
صارحة» ﴿أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ ..؟﴾؟ فقاطع العذر ليس إلا أمران اثنان : ﴿نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ  
مَنْ تَذَكَّرَ . وَجَاءُكُمُ التَّذَكِيرُ﴾ فان جاء النذير ولم يفسح مجال للتفكير كمن عاش حين النذارة  
ساعات او أيام لا تكفي للتذكير ، فقد اعذر.

ام عاش حياة الذكر ولم يأته نذير فقد اعذر فضلا عنمن فقد النذير وفسحة التذكير  
 فهو اعذر واعذر !.

وعلى هذا الأساس فكلما كانت النذارة أقوى وفرصة التذكرة أكثر واندی ، فالعذاب  
أوفر واشجى ، وكلما كان قاطع العذر أضعف فالعذاب أخف ام يعفى عنه كما في  
﴿الْمُسْتَضْعِفِينَ .. لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

فمن عاش جو الغفلة والتغافل ، بمظاهر الشهوات وجواذب النزوات يخفف عنه  
حسب خفة الحجة ، ومن عاش جو الذكري بمديد العمر ولم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب.  
﴿أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ المكلف العاقل ك «من تذكر» من المؤمنين ﴿وَجَاءُكُمُ  
الْتَّذَكِيرُ﴾ زيادة للتذكير «فَنَوَّقُوا» عذاب السعير «فَمَا لِلظَّالِمِينَ بِحَقِّ اللَّهِ وَخَلْقِهِ «مَنْ نَصِيرٌ»

(١)

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٦ . ابن بابويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن احمد بن أبي عبد الله البرقي بسانده  
رفعه الى أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل «او لم .

هناك «عبادنا» في اقسامهم الثلاثة ، وهنا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بنا وبعبادتنا لـ «الكفر» وبينهما عوان لم يذكروا ، وانهما صورتان متقابلتان ، فهناك مسرح لكل عناءة وتبجيل ، وهنا كل نكایة وتخجل ، وكل ذلك بعلم الملك الجليل :

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ عَنِيبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨).

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ علم شامل دقيق لطيف ، يحيط بكل تفاصيل الكون والتدين وما في الصدور وتحتاجه الصدور ، وبذلك العلم الشامل يجري كل الأمور.

. نعمركم ..» توبیخ ابن ثانی عشر سنة أقول وعلمه اول توبیخ قارع حيث مضت عليه سنون ثلاثة ، وليس هذا القدر كضابطة ، فقد لا يوجد ظرف الذکر في ثلاثة وقد يوجد في يوم واحد ، وهذا الحديث ناظر الى الحالة الاكثرية في جو الذکر. وفيه يسند له عن أبي بصير قال قال الصادق (عليه السلام) ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه وبين أربعين سنة وإذا بلغ أربعين سنة اوحى الله الى ملكية ابي قد عمرب عبدي عمرا فغلظا وشدة وتحفظا عليه قليل عمله وكثيرة وصغيرة وكبيرة».

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَاّفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتَأً وَلَا يَرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا حَسَارًا﴾ (٣٩) فَلَمَّا أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَيْتُمْ مَا ذَا حَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ شَرُكُ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُولَا وَلَئِنْ زَالَنَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدِي مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢) اسْتِكْبَارًا

فِي الْأَرْضِ وَمُكَرِّرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبَدِّيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الدِّينِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِزِّزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِمَا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ ذَبَابَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِيَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَالِقَنَّ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُّرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفُّرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفُّرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩).

هذه اشمل آية في خلافة الأرض للإنسان ، تعم خلافة هذا النسل بأجمعه عنمن سلفه وانقرض ، حيث تعني «كم» هذا النسل كله ، خطابا على وجه القضية الحقيقة ، دون الخارجية الخاصة بالملوّجودين زمن

الخطاب ، وكما تلمحناه من آية الخلافة الاولى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢ : ٣٠).

كما وتعني . فما تعنيه . خلافة كل قرن من هذا النسل قرونا مضت ، وهنا تخص الخطاب ما سوى القرن الأول البادي لهذا النسل . وهو داخل في الخطاب الأول .  
وكما للخلافة الاولى دلالة من آية البقرة كنص ، واخرى من هذه كمطلق ظاهر وفي الانعام ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ﴾ (١٦٥) كذلك للثانية آيات عدة <sup>(١)</sup>.

ثم وهامة هذه الخلافات هي الاخيرة ، الحلقة على كافة بني الإنسان طول الزمان وعرض المكان ، زمن القائم المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (٢٧ : ٦٢) !

وانما خلافة عامة اسلامية سليمة تختلف عن كافة الخلافات ، حيث تطبق شرعة الله على ارض الله ، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره وأعونه .  
وان في تتبع الأجيال تلو بعض ، بانتهاء جيل وابتداء آخر ، وانتهاء دولة وقيام اخرى ، بانطفاء شعلة واتقاد اخرى ، ان في ذلك لآية ملـن

(١) «لَمْ جَعْلْنَاكُمْ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (١٤ : ١٠) «وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ وَأَغْرِقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» (١٠ : ٧٣) «وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ» (٧ : ٦٩) «وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْكُمْ فِي الْأَرْضِ» (١٧ : ٧٤).

القى السمع وهو شهيد ، ان لكل بداية نهاية ، فليستعد عاقل لكي يخلى نفسه بعد النهاية ،  
 ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ !

ومن شأن السائح في هذه الرحلة المتعاقبة المترافقه ان يحسن ثواهه القليل ويترك وراءه  
 الذكر الجميل . وان عجلة القرون المتتابعة سارعة متcharعة ، دون ان يحمل اهلها إلا التبعية  
 الفردية ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ في أولاه وعقباه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ إِلَّا  
 مَقْتَنَأً﴾ مهما يزيدهم عند أنفسهم في الشهوات خبطا .

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ عن ذلك المقت الناتج عن ذلك الكفر !  
 ان مقت رحيم في نفسه خسارة عليهم ، فلا نعم لهم ليسوا . هنا . ليشعروا مدى خسارة ،  
 فليشن بصراح الخسار .

﴿قُلْ أَرَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ  
 شُرُكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا  
 غُرُورًا﴾ (٤٠) .

﴿.. أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فضلا عن شرك في السماء ، فكيف . إذا . هم  
 آلهة وليس لهم شرك في خلق لا في الأرض ولا في السماء ، فإنهم ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
 اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ !  
 لهم شرك .؟ فاروني ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أولاء المشركين «كتابا» فيه سماح للاشراك ﴿فَهُمْ  
 عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ فاروني ؟ كلام ! فلا واقع للشرك لا ملموسا بروية ، ولا واردا برواية من كتاب  
 وهي ﴿بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ

**بعضُهُمْ بعضاً** فيما يشركون «إلا غرورا» إذ لا يملكون حجة فيما يعدون «إلا غرورا»!

وإذ ليس هنالك كتاب من الله يسمح بذلك الإشراك ، ولا كتاب من الشركاء لرسلهم

، فيه دعوة إليهم ، فهذه الوهنة فاضحة فاضية ، وليس إلا غرورا!

كلا! ليس هنا او هناك شرك ولا من قطمير في سماء ام في ارض ، بل :

**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَنْزُلَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ**

**إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** (٤١).

هذه! ولا ثانية لها إلا في الحج : **.. وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**

**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ** (٦٥).

وإمساك السماوات والأرض ان تزولا ، يعم زوال الفناء ، وزوال السماوات وقوعها على

الأرض ، وزوال الأرض سقوطا الى عمق السماء ، وزوال كل وقوعا لاكتافها بعضا الى بعض

اما ذا من زوال؟

«ان الله» لا سواه **يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** عن كل زوال عن حالتهما العاملة

**وَلَئِنْ زَالَتَا** لا يمسكهما الله وكفى **إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ** مسكة بعد الواقعة

ام اشرافه ، فهو المسك لهما وهو المزيل ، كما هو الخالق لهما دون اي بديل.

وصحيح ان ذلك الإمساك في كافة جنباته ليس إلا بقدرته الخلاقة ، ولكنـه عالم

الأسباب ، يتطلب منه سببا في ذلك الإمساك ، وعلـه عـمد لا تروـنـها : **رَفَعَ السَّمَاوَاتِ**

**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** (١٣ : ٢)

إذا فتم عمد ولكن لا تروخا ، من عمد القوة الجاذبية أمهاته؟

إنه ليست السماوات والأرض . وهم الكون كله . كبناء يبني فييقى متamasكا ما له مسكة في أجزاءه ، إذ لا مسكة ذاتيا في أجزاء الكون ، لا في كونه ولا كيانه ، إذ ليس إلا فقرا إلى الله ، فبمجرد تركه تعالى إمساكا للكائن في أية جهة ، فهو زائل من تلك الجهة دونها حاجة إلى إزالة .

فكم لا يملك أي كائن قبل تكونه شيئا من كونه وكيانه ، فهو الآن . بعد خلقه . كما كان ، دون أية غنى واستقلالية عن خالقه ولا قيد شعرة في آن من الأوان ! سبحان الملك المنان !.

فالإمساك عن الزوال هو عبارة أخرى عن الإيجاد بعد الإيجاد ، استمرارية للكائن بعد تكوينه الأول ، كونا أو كيانا ، فما كان إمساكه للكون فالكون كائن ، فإذا زال زال ، زوالا على قدر زوال !.

فنظرة ناظرة إلى ناضرة السماوات والأرض ، ألمحا لا تقومان . في ظاهر الحال . بعمر ، ولا تشدان بأمراس ، جديرة بأن تفتح البصيرة على اليد الحفية الحفية ، القاهرة القادرة ، التي تمسكها عن أي زوال !

**﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدِي مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢).**

يروى أنه يبلغ قريشا قبل جيئة هذا الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أن اهل الكتاب كذبوا رسلاهم فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى أتهم رسلاهم فكذبواهم فوالله لعن أثانا رسول لنكونن أهدي

من إحدى الأمم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾!

وهذا الوجه قد يقرب لسابق ذكر المشركين ، وقد يبعد لأن قريشا كانوا قوما ليست لهم سابقة الإنذار حتى يستقبلوا منذرا برحابة صدر ، وقسمها بالله وهم مشركون !  
إذا فهم أهل الكتاب : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢ : ٨٨) وبطبيعة الحال كفر الكتابي . ولا سيما في زيادة النفور . إنه أضل وأنكى .

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هو مدى الطاقة والمشقة منها أن بالغوا وغلظوا في مختلف أيامهم ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ من النذر وقد ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ فهم له منتظرون ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدِي﴾ لسابق الأنس بوحى الكتاب ، وسابع البشارات بهذا النذير .. أَهْدِي مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ ولماذا إحداهم؟ لا «كل الأمم» لأنهم أنفسهم الأمم الكتابية ، والمشركون هم أحدي الأمم ، إذا فهم المشركون ، دون اليهود والنصارى ، إذ ليسوا هم بإحدى الأمم .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ﴾ مجيهه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ وتبعادا وهروبـا ، ولماذا ذلك النفور بعد جهد الأيام وذلك الاستفتاح؟ .

وقد تعني ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ كلهما ، مهما كان أهل الكتاب أصلاء في ذلك المكر السيء والمشركون فروعهم !.

﴿اسْتِنْكِبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمُكْرِرُ السَّيِّئَاتِ وَلَا يَحِيقُ الْمُكْرُرُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا

**بِأَهْلِهِ فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** (٤٣).

وإنه لقبع ما أقبعه ، ومكر سيئ ما أمكره ، أفهم بعد ما استفتحوا على المشركين وأقسموا بالله جهد أيماهم : **﴿مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾** فإنه مادة أصلية لضلال المشركين ، أن لو كان خيراً لسبقونا إليه لسابق الوحي الكتابي لهم ، وسابغ إيمانكم !

ولم يكن ذلك النفور الزائد إلّا **﴿إِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾** كيف يأتيهم النبي إسماعيلي وبهدم صرح النبوة الإسرائيلية ، **﴿مُكْرَرَ السَّيِّئِ﴾** فالسيئ قد يسيء دون مكر فيجتبه المتحرى عن الحق ، ولكنه إذا مكر فوا ويلاه للبعيدين عن الحق ، حيث يتخدون ذلك المكر حجة على الحق ، فهو . إذا . المكر السيئ من ما يكر سيئ ، وهل يتحقق المكر السيئ بغير أهله ، من الله أو الرسول أو المؤمنين اليقظين ؟ كلا !

**﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمُكْرَرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** : ما يكر ومحكرا ، فمن لا يكر ولا يمحكرا لا يتحقق به المكر السيئ ، فإن المؤمن هو الكيس الفطن ، لا يحار ولا يغار مهما كان المكر محيرا مغيرا ! (١) .

**﴿فَهُلْ يَنْظُرُونَ﴾** انتظارا ، بعد ذلك المكر السيئ **﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾** من مكذبي النبيين ، سنة الله في إهلاكهم واستئصالهم ? **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾** أن يحررها في الغابرين ، ويستثنوها عن الحاضرين ، فلا قرابة ولا نسبة لهم إلى رحمة يفقدوها الأولون !

(١) الدر المنشور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : إياكم والمكر السيئ فإنه لا يتحقق المكر السيئ إلا باهله وهم من الله طالب.

فالنوميس الإلهية والسنن الربانية مطردة ماضية ، مستقبلة وحاضرة وماضية ، دون تبديل بغيرها ، ولا تحويل لها إلى غير أهلها ف ﴿لَا يَحِقُّ الْمُكْرُرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ! ﴿سَتَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ حَلَّتِ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٠ : ٨٥).

لقد سن الله سنة تكوينية لكل من الحسن والسوء ، والحسن والسيء في النشأتين ، كضابطة سارية المفعول ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ إلى غيرها ، ثوابا إلى عقاب أم عقابا إلى ثواب ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنْتَ اللَّهِ تَخْوِيلًا﴾ من أهلها إلى غير أهلها ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾ !.

إن القرآن يقرر هذه الحقيقة حقها جهارا وتكرارا لكي لا ينظروا إلى الأحداث فرادى ام هي فوضى ، عائشين الصدف والفضوبيات ، وإنما هناك سنن ثابتة مطردة و ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ الْغَنِيْرِ الْعَلِيِّم﴾ !

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ فُؤَدًّا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِذِّرَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤).  
وإذا لم يذكروا بما جاءهم من نذير فكذبواهم بكل نفي ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في تاريخها الجغرافي وجغرافيا التاريخي «فينظروا» بصرًا وبصيرة أحوال الماضين ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في تكذيبهم رسلهم «و» قد ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ فُؤَدًّا﴾ في أموال وأولاد ومادية الأحوال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِذِّرَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ حتى ولو كانوا . هم . أقوى من الذين من قبلهم وهم أضعف منهم ﴿.. مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ كيف يعاملهم «قديرًا» بما ينتقم منهم.

فالأرض بأكناها الواقعية والتاريخية كتاب مفتوح ... لكل سائر فيها ، وهي من الآيات الافقية القريبة إلينا فلما ذا التغافل عنها؟ ثم وأرض القرآن أصدق عرض لتأريخ

الغابرين<sup>(١)</sup> تجاوبا رائعا بين أرضي التدوين والتوكوين في ذلك العرض المتين!

**﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ مَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهِيرَهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ**

**مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤٥).**

**﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**

**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١).**

«ولو» عرض الواقع استحقاق عذاب الظالمين ومداه ، **﴿يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ مَا كَسَبُوا﴾**

. بظلمهم» مؤخذ العقاب ، لا . فقط . العقاب ، فإنه مليء الكتاب ، فلو جعل الله دار

العمل هي دار الجزاء **﴿مَا تَرَكَ ...﴾**.

وترى هؤلاء الظالمون يؤاخذون بما بال غير الظالمين من الناس وما بال سائر الدواب

على ظهر الأرض؟!

إنه بالنسبة لغير الظالمين فتنة غير عذاب ، وله عذاب فوق

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٧ . القمي عن الكليني بسنده عن أبي الريبع الشامي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل **﴿فُلْ سِيرُوا ..﴾** فقال : عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم.

عذاب : ﴿وَأَتَّهُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٨ : ٢٥).

ثم هو بالنسبة للدواب على ظهرها لا فتنة لها ولا عذاب ، وإنما عذاب للظالمين حيث يفقدون منافع لهم منها كما يفقدون أنفسهم ، حيث الأرض بما فيها مخلوق لهم : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (٢٩ : ٢)

ففي آية الفاطر والبقرة تجاذب لطيف حفييف ، عرضا للأرض بما فيها لاستثمار إنسان الأرض كما يرضاه الله ويصلح حيوية إنسانية تضم سائر مصالح الإنسان دنيوية وأخروية.

ثم وآية الفاطر والتحل تتجاذبان في ضخامة الظلم والطغيان للإنسان ، أن لو يؤخذهم الله بظلمهم وما كسبوا لما ترك على ظهرها من دابة ، فإنه عذاب شديد يعم الأرض ويطممها ، ويقللها ظهر بطن ، وذلك هو طبيعة العذاب والدار واحدة ، ولكن أرض الجنة والنار متبعذتان !

ولكنه ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حيث الدنيا دار عمل ولا جزاء ، وأن في استئصال غير الظالمين وسائر الدواب ظلما وما الله يريد ظلما للعباد ! لذلك تراه يبدأ بـ « ولو » تأشيرا بشيرا بالامتناع ، ثم نذيرا بمستقبل العذاب ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو القيامة الكبرى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ الظالم منهم والمظلوم ، ثم يجزون بما كانوا يعملون ! وهذا هو الإيقاع الأخير ، البشير النذير ، في هذه السورة بنهاية

الحياة والحياة النهاية ، وكما بدء ب ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ  
رُسُلاً ..﴾ حيث يحملون رسالات السماء تذكيراً لسكنة الأرض ، وبين المبدء والختام تلك  
المسارح المصارح من حوار وحجاج ، وسير في الآفاق والأنفس ولكي يعرفوا المبدء والختام.

- سورة الأحزاب : أحزاب صالحة وطالحة . تقوى النبي ..... ١٩ - ١٠  
 قلبين في جوفه؟ جاهلية الأدعياء! ..... ٣١ - ١٩  
 الولاية الشرعية المطلقة للنبي ، لا تكوبية ولا تشريعية . الولايات العشر؟ ..... ٤٢ - ٣١  
 نطاق الأولوية في أولي الأرحام وأبعادها . ميثاق النبيين؟ ..... ٥٤ - ٤٢  
 حرب الأحزاب بجذافيرها . هنالك ابتي المؤمنون .. موقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض .  
 الرسول الأسوة؟ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..... ٩٠ - ٥٥  
 تخلفه عارمة في نساء النبي . نصائح وتحذيدات لهن . مضاعفة العذاب والثواب ..... ١١٤ - ٩٠  
 آية التطهير في قول فصل . المعنيون من أهل البيت خمسة في التنزيل واربعة عشر في التأويل .  
 قرابة ألف راو لنزلوها فيهم في مائة كتاب ..... ١٣٨ - ١١٤  
 زواج الرسول بحليلة زيد في قول فصل . لقد كان واجبا رساليا حيث فرض الله له . خاتم  
 النبيين؟ ..... ١٦٠ - ١٤١  
 من اختصاصات النبي في الزواج والأزواج ..... ١٨٨ - ١٧٦  
 الداخلون بيوت النبي؟ كيف نصلي عليه وما هو التسليم ..... ٢٠٦ - ١٩١  
 ... يدنين عليهم من جلابيهم ..؟ كأنها أولى آيات الحجاب ! عرض الأمانة وخيانتها من  
 الإنسان الظلوم الجھول؟ ..... ٢٢٢ - ٢٠٩  
 سورة سباء : من آبات كرويه الأرض ونظرات حوطها ..... ٢٣٩ - ٢٣٥  
 داود وسليمان بميزات رسوليّة ورسالية ..... ٢٥٣ - ٢٤٠  
 سباء في مسرح الفرح والشرح ..... ٢٥٩ - ٢٥٥  
 إنما أعظمكم بواحدة؟ ليس اجر الرسالة إلا لهم! ..... ٢٨٢ - ٢٧٧  
 سورة فاطر : اجنحة الملائكة؟ ..... ٢٩٥ - ٢٩٠  
 كيف «إليه يصعد الكلم الطيب ..؟»؟ «والعمل الصالح يرفعه»! ..... ٣١٢ - ٣٠٩  
 ذاتية الفقر للناس وكل الكائنات ..... ٣٢٤ - ٣٢٠  
 من هم روثة القرآن المعصومون؟ ..... ٣٤٣ - ٣٣٦  
 فسخة زمن التكليف للمسؤولين يوم الدين . موت الحالدين في النار مع النار . الناس هم  
 خلائف الأرض؟ ..... ٣٥١ - ٣٤٤  
 كيف «لو يوأخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة»؟ ..... ٣٥٩ - ٣٥٧